بسم الله الرحمن الرحيم



جامعـــــة الخليــــل

كلية الدّراسات العليا

برنامج اللغة العربيّة

الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي

(518هـ - 648 هـ)

إعداد الطّالبة:

ميّ إبراهيم حسن عمرو

إشراف:

الأستاذ الدّكتور حسن محمد عبد الهادي السّراحنة

قدمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابهـــا بكليـــة الدرّاســـات العليـــا في جامعـــة الخليـــل

1432هـ - 2011 - م

الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي

(489هـ - 648هـ)

إعداد الطالبة: ميّ إبراهيم حسن عمرو

نوقشت هذه الرّسالة يوم... الثلاثاء... .بتاريخ...2011/7/5م.... الموافق 4/ شعبان/1432هـ.. وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة: **التوقيع:**

1. الأستاذ الدّكتور حسن محمد عبد الهادي ....أ.د.
2. الأستاذ الدّكتور مشهور عبد الرّحمن الحبازي ....
3. الأستاذ الدّكتور علي عبد الله عمرو ....أ.د.

الإهداء

إلى والدي العزيزين كلأهما الله بعين رعايته........

إلى أستاذي الفاضل الدّكتور حسن عبد الهادي الّذي غمرني بعلمه الفيّاض.

إلى إخوتي، مراد، ووسيم، وشادي، وسها، وأحمد، وهاني، وعدنان....

إلى كل من وقف إلى جانبي، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي في هذا العمل.

الشّكر

أتقدم بجزيل الشّكر، وتمام العرفان إلى أستاذي ومعلمي الّذي وفر لي الوقت اللازم، وسدّد خطواتي وأغنى بحثي بملحوظاته القيّمة، إلى الدّكتور حسن محمد عبد الهادي، جزاه الله خير الجزاء، وأسبغ عليه الصّحة والعافية، وأدامه ذخراً للعلم والمتعلمين.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشّكر الجزيل لأساتذة قسم اللغة العربية، بجامعة الخليل.

وإلى كل من مدَّ يد العون والمساندة لإتمام هذا العمل.

المحتويات

المقدمة

الحمد لله الّذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فالحنين موضوع قديم في الشّعر العربي، أكثر منه الشّعراء لأنه يُعبِّر عن عاطفة إنسانية صادقة، ويرتبط غالباً بالغربة الّتي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحباءه لظروف مختلفة.

وكان لشعراء الدّولتين الزّنكيّة والأيوبيّة نصيب وافر في هذا الموضوع من الشّعر، فقد عبّروا عن حنينهم لوطن تركوه، وأودعوا فيه مفتقدات غالية من الأهل والأقرباء والأحبة والأصدقاء والذّكريات ، إما رغبة في العلم، والجاه، والمال، أو مكرهين في حالة الفقر والنّفي.

لذا تعود أهمية هذه الدّراسة إلى كونها تضيف شيئاً جديداً للأدب العربي، في وقوفها على أشعار الحنين في شعر الدّولتين الزّنكية والأيوبية.

وتتناول هذه الدّراسة البحث في ظاهرة الحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي، في الفترة الواقعة ما بين (518هـ- 648هـ).

وتأتي أهمية هذه الدّراسة في أنها استكمال لدراسات سابقة، درست الحنين من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي الثّالث، ولذلك لم تكن هذه الدّراسة الأولى في موضوعها، بل سبقتها دراسات أخرى حول ظاهرة الاغتراب والحنين في العصور السّابقة، فقد تناولها عبد المنعم حافظ الرّجبي في رسالة دكتوراة، عنوانها:" الحنين إلى الدّيار في الشّعر العربي إلى نهاية العصر الأموي"، ومحمد إبراهيم حوّر في كتابه " الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، وأيضاً: دراسة خليل صاحب إبراهيم، وهي رسالة ماجستير بعنوان " الغربة والحنين في الشّعر العربي قبل الإسلام".

ومن الدّراسات الأخرى: دراسة وهران محمود حبيب، وهي رسالة دكتوراة عنوانها " الحنين في شعر صدر الإسلام"، وكتاب "الحنين في الشّعر الأندلسي (القرن السّابع الهجري)" لمحمد أحمد دقالي وغيرها من الدّراسات، علما بأن هذه الدّراسات أفادت البحث في كثير من الجوانب.

ولإنجاز هذه الدّراسة المتواضعة الّتي دعا إليها السبب الآنف الذّكر، واجهت الباحثة بعض الصّعوبات أبرزها: افتقار الجامعات المحلية إلى كثير من المصادر والمراجع، مما جعل لزاماً عليها تحمل أعباء السّفر ومشاقه للحصول على هذه المصادر من مكتبات الدّول المجاورة، حيث استعانت الباحثة كثيراً بمكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة دمشق، وإذا تحدثت الباحثة عن الصّعوبات، فلا بدَّ من ذكر بعض العوامل الّتي سهّلت السّير في هذه الدّراسة، حتى أُنجِزَت في وقت ليس بالطويل، منها: توافر كتب الأدب، والتّراجم، ودواوين الشّعراء المعروفين في تلك الفترة لدى المشرف، كما أن المتابعة المستمرة من الأستاذ المشرف، وفرت وقتاً وجهداً على الباحثة.

وقد تطلبت هذه الدّراسة مناهج بحث متعددة، من خلال معالجة الكثير من الموضوعات، فكان من المناسب اعتماد المنهج التّكاملي، فقد كانت بحاجة إلى المنهجين الوصفي والتّحليلي في تناول النّصوص وتحليلها، والمنهج الجمالي في الدّراسة الفنية، والمنهج النّفسي في الكشف عن الأمور الّتي تكتنف نفسية الشّاعر في حنينه.

وقسمت الباحثة الدّراسة إلى تمهيد،وثلاثة فصول،وخاتمة ففي التّمهيد: تناولت الباحثة ظاهرة الحنين في مفهومها اللغوي والاصطلاحي، كما قدمت نبذة موجزة عن شعر الحنين، كغرض قديم في الشّعر العربي.

أما الفصل الأول: فقد تحدثت الباحثة فيه عن الظّاهرة من حيث ما يتضمنه شعر الحنين، وقد قُسّم الشّعر إلى قسمين هما: حنين بكاة الأطلال والدّيار،وحنين المكرهين، وتناول شعر الأطلال والدّيار، الموضوعات الآتية: الوقوف على الأطلال، و التّحية والسّلام، وسؤال الأطلال، والبكاء على الأطلال، والدّعاء لها بالسّقيا، والبرق والرّيح، وأخيراً الآثار والدّمن والرّسوم.

وجاء حنين المكرهين في عنوانين، هما:

المنفيون أو المطرودون،والمسجونون أوالنّازحون.

وفي الفصل الثّاني تحدثت الباحثة عن موضوعات شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي،(518هـ- 648هـ)،وقُسّم الفصل إلى خمسة موضوعات، هي: الحنين إلى الوطن، والحنين إلى المحبوب، والحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء، الحنين إلى الذّكريات الماضية ، والحنين الدّيني.

وقد تنوعت هذه الموضوعات عند معظم الشّعراء وتميز بعضهم بموضوعات معينة، مثل: باب الحنين إلى دمشق عند ابن عنين، والحنين إلى الدّيار الحجازية عند الزّمخشري، وشكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق وشكوى الفراق عند أسامة بن منقذ.

وفي الفصل الثّالث: تناولت الباحثة الجانب الفني لشعر الحنين في هذا العصر،من حيث: بناء القصيدة، والأسلوب، والموسيقا الشّعرية، والصّورة الشّعرية.

وخُتمت الدّراسة بخاتمة ذكرت الباحثة فيها النّتائج والتّوصيات.

وأما المصادر والمراجع الّتي أفادت منها الباحثة، فهي كثيرة لا يمكن ذكرها هنا، ويكفي التّمثيل ببعضها، ففي التّراجم أفادت الباحثة ،من معجم الأدباء لياقوت الحموي، و الوافي بالوفيات للصّفدي، وشذرات الذّهب لابن العماد الحنبلي وغيرها، وفي مجال الأشعار واستقراء النّصوص، أفادت من قلائد الجمان لابن الشّعّار الموصلي، ودواوين بعض الشّعراء، مثل : أسامة بن منقذ، والعماد الأصبهاني، والملك الأمجد، وابن عنين، وابن مطروح وغيرها .

ومن المصادر والمراجع ذات الصّلة بموضوع الحنين،الّتي أفادت الباحثة منها: رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ، وكتاب الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان، والوطن في الأدب العربي لإبراهيم الإبياري، والحنين في الشّعر الأندلسي لمحمد أحمد دقالي.

وفي التّرجمة لبعض المواضع، أفادت الباحثة من معجم ما استعجم للوزير البكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي

وفي الدّراسة الفنية، أفادت الباحثة من مصادر ومراجع مختلفة،منها: العمدة لابن رشيق، والبديع في نقد الشّعر لأسامة بن منقذ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجنّي،والأسلوب لأحمد الشّايب، والنّقد الأدبي لأحمد أمين، وموسيقا الشّعر لإبراهيم أنيس، والصّورة والبناء الشّعري لمحمد حسن عبد الله ،وفن الشّعر لإحسان عباس، وغيرها.

ولم تقتصر الدّراسة على المصادر والمراجع المتقدمة بل استعانت الباحثة بالبحوث والمقالات المنشورة في الدوريات، من ذلك مقال "الغربة المكانية في الشّعر العربي" لعبده بدوي، ومن الرّسائل الجامعية: استعانت الباحثة برسالة الدّكتور عبد المنعم حافظ الرجبي " الحنين إلى الدّيار في الشّعر العربي إلى نهاية العصر الأموي،ورسالة "الحنين في شعر صدر الإسلام" لوهران محمود حبيب و"شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية" لرولا ناصر سليمان، وغيرها.

والله أسأل التّوفيق والسّداد في دراستي هذه

التّمهيد: الحنين التّطور والنّشأة

أولاً: مفهوم الحنين.

1- الحنين لغة.

2-الحنين اصطلاحاً.

ثانياً: شعر الحنين.

أولاً: مفهوم الحنين، لغة واصطلاحاً.

1- الحنين لغة:

يقال: حنَّ يحنُّ حنيناً، فهو حانّ، والحنين: الشّديد من البكاء والطّرب، وقيل هو صوت الطّرب كان ذلك عن حزن أو فرح، ويقال حنّت القوس إذا صوتت، وأحنّها صاحبها [1].

والحنين الشّوق وتوقان النّفس، والمعنيان متقاربان[2] وحنّت الإبل نزعت إلى أوطانها أو أولادها، والنّاقة تحنُّ إثر ولدها حنيناً تطرب مع الصّوت والحنون من الرّياح الّتي لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين[3].

وقال رؤبة بن العجاج[4]:

حنّـــت قلوصـــي أمـــس بـــالأردنّ   حِنّـــي فمـــا ظُلمّـــت أنْ تحنـــي[5]

ويقال: حنَّ قلبي إليه فهذا نزاع واشتياق من غير صوت،وحنَّ عليه،أي عطف عليه، وحنَّ إليه، أي نزع إليه[6].

ومن معانيه: العطف والرّحمة،[7] قال تعالى:" وحنانا من لدنا"[8] أي رحمة والحنّان من صفات الله عزّ وجل أي ذو رحمة وتعطف[9].

والعرب تقول:" حنانك يارب وحنانيك بمعنى رحمتك"[10]، ويقال للأم البرة "الحانية" وقد حنّت على ولدها تحنو وتحننت عليه أي رقت عليه ورحمته[11].

وفي المثل "حرّك لها حوارها تحنُّ"[12] ومعناه ذكرّه بعض أشجانه، يهج له"[13].

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (حنن).
(2) ينظر: الجوهري، **الصحاح**، مادة (حنن).
(3) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حنن).
(4) رؤبة بن العجاج: هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، راجز مجيد، شاعر أموي، توفي نحو 90هـ، ينظر ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، 575/2.
(5) الديوان، 190.
(6) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حنن).
(7) ينظر: نفسه، والمادة نفسها.
(8) مريم: 13.
(9) ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حنن).
(10) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**. والزبيدي، **تاج العروس**، مادة (حنن).
(11) ينظر: الجوهري، **الصحاح**، مادة (حنن).
(12) الميداني: **مجمع الأمثال**،191/1.
(13) نفسه، 191/1.

والحنّانة من النّساء: هي الّتي تحنُّ إلى زوجها الأول، وقيل هي الّتي تحنُّ على ولدها من زوجها المفارقها[1].

2- الحنين اصطلاحاً.

تظل كلمات الحنين وإيحاءاتها تدور في معنى الرّقة والعطف مع انتقالها إلى معنى آخر وهو الحنين إلى الدّيار، وهذا أمر طبيعي، لأن الحانّ إلى وطنه يعبر عن حنينه، ويصور شعوره بألفاظ ناعمة، تعبرعن صدق الإحساس ورقة الشّعور، وفيض الوجدان، وصدق التّجربة والمعاناة، فهي تنبع من نفس إنسانية متنقلة[2].

فالحنين "مصطلح أدبي طغى على الشّعراء الّذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشّوق إليه، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يعبرون عنه، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه، إلا إذا كان في غربة نفسية"[3].

وكان الشّعراء يصدرون شعراً رقيقاً مرهفاً ووجدانياً صادقاً، ولا سيما شعراء الفتوح، والمقهورون البعيدون، وبرز الحنين أكثر في شعر شعراء المهجر الذين كانوا يحنّون إلى أرضهم في الشّام ولبنان[4].

لقد اقتصر المصطلح السّابق على الشّوق والنّزوع للوطن المفتقد دون الوقوف على المفتقدات الأخرى، مثل: الأهل والأحبة، والأصدقاء، والذّكريات الماضية، حيث يعد الحنين إلى الوطن، التّشوق إليه وإلى قاطنيه من الأهل والأقارب والأحبة والأصدقاء. إلا أن بعض الباحثين ربط بين مفهوم الحنين والفقد للأشياء جميعها وليس للوطن وحده، "فمفهوم الحنين يرتبط بالفقد ويعبر عن شغف المرء بالمفتقد إليه وشوقه إليه أيا كان نوعه"[5].

"والحنين نزوع إلى كل ما فقد تغذيه الذّاكرة، بخاصة وأن الماضي يزداد جمالاً على مر السّنين كما يرتبط الحنين بالأمل، فهو يجعل المهاجر يأمل بالعودة إلى وطنه يوماً، كما يجعل المحب يأمل بالرّجوع إلى أيام الوصال مع الحبيب"[6].

---

(1) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**،والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (حنن).

(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(3) التونجي، محمد، **المعجم المفصل في الأدب**، 385/1.

(4) ينظر: نفسه،385/1.

(5) حبيب، وهران محمود، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، رسالة دكتوراة،1،جامعة تشرين، 2003م.

(6) سليمان ،رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 184،**رسالة ماجستير**،(د.م)،(د،ت).

وبقي مفهوم الحنين في كتب الأدب والأخبار مقتصراً على الحنين إلى الوطن والدّيار، فقد سجل الجاحظ (ت 255هـ) رسالة في الحنين إلى الأوطان تحدث فيها عن الملوك والأنبياء والأعراب.

حيث قال:" إني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الدّيار، والنّزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخصب من جنانه، ولم يزل عظيم الشّأن، جليل السّلطان تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها، وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلّا راغب إليه أو راهب منه، فكان إذا ذكر التّربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها"[1].

ثم يورد الجاحظ بعض الأقوال في حب الوطن منها:" وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب[2] عليه"[3].

وخصص البيهقي(ت 320هـ) في كتابه "المحاسن والمساوئ" بابين أحدهما في محاسن الحنين إلى الوطن[4]، والآخر في مساوئ من كره الوطن[5] ومن ذلك:" وكان يقال بحب الأوطان عمرت البلدان"[6]، وأيضاً وقال آخر: "ما حن أحد إلى بلد جمع شمله إلا لوصمة في عقله، ولا تنزع نفسه إلى بلد فارقه إلا لاستيلاء الشّوق عليه"[7].

وصنف ابن المزربان الكرخي(ت 330هـ) كتابين في الحنين والشّوق هما:-

أ- كتاب (الحنين إلى الأوطان)، قسمه إلى أربعة عشر باباً.

ب- الشّوق والفراق، تناول فيه موضوعات مختلفة، منها: العجز عن المكاتبة لغلبة الشّوق، والجواب عن وصف الشّوق، والدّعاء بالاجتماع بعد وصف الشّوق، وتلهب الشّوق بالقرب. ووصف الشّوق قبل الرّؤية، وذكر موقف يوم الفراق، والدّعاء للمسافر، وذم الدّهر بالفراق، وحمد الفراق، والتّحية، وتذكر

(1) الجاحظ، **الحنين إلى الأوطان**،4.
(2) يحدب عليه: يعطف عليه، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (حدب).
(3) الجاحظ، **الحنين إلى الأوطان**،11.
(4) 286،287.
(5) نفسه، 290، 291.
(6) نفسه، 286.
(7) نفسه،290.

العهد والأيام، وما قيل عند الوداع،والطّيف والخيال، وفنون ما قيل في الفراق وغيرها من الموضوعات ذات الصّلة القريبة من موضوع الحنين [1].

وقد أفرد أسامة بن منقذ(ت 584هـ) فصلين من كتابه (المنازل والدّيار) في ذكر الأوطان، نقل فيها أخباراً وأشعاراً تظهر حب المرء لوطنه وتمسكه به[2]،

فمن ذلك قول المتنبي: {البسيط}

بِـــمَ التّعلّـــل لا أهـــلٌ، ولا وَطَـــن   ولا نـــديمٌ ولا كَـــأسٌ ولا سَـــكنٌ[3]

وحذا الأبشيهي (ت 850هـ) حذو السّابقين له، فقد خصص باباً من (المستطرف) أورد فيه مقتطفات من الأخبار والأشعار، تعبر عن صدق الإحساس تجاه الوطن. وهو الباب الخمسون، وعنوانه:"فيما جاء في الأسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين إليه" [4].

---

(1) ينظر: ابن المرزبان، **الشّوق والفراق** 27، 28، 31، 35، 37، 40، 47، 50، 68، 73، 84، 79، 124 ، 127.
(2) ينظر: 219، 231.
(3) الديوان: 4/ 236، 237.
(4) ينظر: 298، 299، 300، 301، 302، 303.

ثانياً: شعر الحنين.

الحنين باب قديم في الشّعر العربي، فيمكن القول إن أول من حن إلى الدّيار وبكى عليها في الشّعر العربي هو ابن حذام[1] فيما وصل إلينا ويستدل على ذلك من قول امرئ القيس: **{الكامل}**

عُوْجَا عَلى الطّللِ المُحيلِ لأنّنا نَبكي الدّيارَ كما بكى ابنُ حِذامِ[2]

ويعد موضوع الحنين من الموضوعات التي تناولها عدد من الشّعراء الجاهليين ليعبروا فيها عن تجربة إنسانية صادقة عاشوها وضاعفت شعورهم تجاه وطن رحلوا عنه لسبب من الأسباب، فمن يقرأ في المعلقات السّبع يجد أن الشّعراء الجاهليين كان يستهلون قصائدهم بمقدمات طللية يحنون فيها إلى الدّيار والمنازل والأحبة، ومن ذلك قول طرفة بن العبد: **{الطويل}**

لِخَوْلةَ أطلالٌ ببُرْقةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليَدِ[3]

وقد حظي شعر الحنين باهتمام النّقاد القدامى، فقد عدوه غرضاً شعرياً كالمديح، والهجاء، والغزل، وغيرها من الأغراض الشّعرية الأخرى، فقدامة بن جعفر وضع الحنين تحت باب النسيب، حيث قال: "قد يدخل النّسيب التّشوق والتّذكر لمعاهد الأحبة بالرّياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطّائفة، وآثار الدّيار العافية، وأشخاص الأطلال الدّاثرة"[4].

أما المرزوقي فقد جعله أول أغراض الشّعر العربي القديم، فقال: "والشّعراء إنما أغراضهم الّتي يسددون نحوها، وغاياتهم الّتي ينزعون إليها، وصف الدّيار والآثار، والحنين إلى المعاهد، والمبالغة في التّشبيب بالنّساء، والتّلطيف في الاحتذاء، والتّفنن في المديح والهجاء....." [5].

(1) ابن حذام: هو شاعر من شعراء طي، ينظر: ابن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**،39.
(2) **الديوان**، 114
(3) الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، 65.
(4) **نقد الشعر**، 134.
(5) المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، 20/1.

الفصل الأول

مضامين شعر الحنين.

أولاً: حنين بكاة الأطلال والدّيار.

ثانياً: حنين المكرهين، ومنهم:

1-المنفيون أو المطرودون.

2-المسجونون أو النّازحون.

أولاً: حنين بكاة الأطلال والدّيار.

ارتبطت الأطلال بمواقعها وآثارها ورسومها بالشّعراء ارتباطاً وثيقاً، لأنها تخلّد ذكرياتهم، وتوقظ مشاعرهم، وتعيد أيام شبابهم، وتذكرهم بالأحبة، والأهل، والمنازل التي رحلوا عنها.

وهذه الأشياء جميعها تخلق عند الشّاعر رغبة في وصف هذا المكان جزءاً جزءاً، وتحديد جميع نواحيه والبكاء عليه والدّعاء له بالسّقيا والخصب[1]، لكونه نوعاً من استرداد الوطن القديم المشتت[2]، وضرباً من الحنين إلى الماضي والنّزوع إليه، لإشاعة الفرح[3].

وقد أشار النّقاد القدامى إلى أن الوقوف على الأطلال هو الحنين إلى الوطن في أصله، فابن قتيبة يقول: "إن مقصّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الدّيار، والدّمن، والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرّفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها"[4].

أما الآمدي فيقول في موازنته "العرب تقصد الدّيار للوقوف عليها وإما تجتاز بها، فيقول الرّجل لصاحبه أو صاحبيه، قف وقفا، ولو كان هناك مقصد إليهما لكانوا إذا وصلوا لا يقولون "قف" "قفا"، وإنما ذلك تعريج على الدّيار في مسيرهم"[5].

وكان الآمدي يشير في قوله هذا إلى أن الغرض من ذكر الدّيار، والوقوف عليها هو الحنين والشّوق إليها، وإلى أيامها الخالية، لأنه لا غرض له، فماذا يريد الشّاعر من أطلال خالية وآثار بالية[6].

ويقول ابن رشيق في الوقوف على الأطلال: "وكانوا أصحاب خيام يتنقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الدّيار، فتلك ديارهم[7]"

ويقول في موضوع آخر: "وتوقع البين، والإشفاق منه،وصفة الطّلول والحمول، والتّشوق بحنين الإبل ولمع البروق، ومر النّسيم..."[8].

---

[1] ينظر: حوّر، محمد إبراهيم، **الحنين إلى الوطن**،4.
[2] ينظر: بدوي، عبده، **الغربة المكانية في الشعر العربي**، 15، **مجلة عالم الفكر**،م15، ع1، 1984م.
[3] ينظر: الخشروم، عبد الرزاق، **الغربة في الشعر الجاهلي**، 16.
[4] **الشعر والشعراء**، 406/1.
[5] 379/1.
[6] ينظر: حوّر، محمد إبراهيم، **الحنين إلى الوطن**،45.
[7] **العمدة**، 198/1.
[8] نفسه225/1.

وقد تابع المحدثون ظاهرة الوقوف على الأطلال، فاتفقوا مع القدامى على أن الوقوف على الأطلال هو في أصله حنين ونزوع للوطن المفتقد.

فشوقي ضيف يرى أن الوقوف على الأطلال وبكاءها هو صورة ثابتة لهذا الحنين الذي نما مع العرب على مر الزّمن، واختلاف المنازل والأمكنة[1].

فتارة يبكي الشّعراء منازل الحبيبة، وتارة يهيّج الحمام أشواقهم، وقد تهيّجه ريح الصّبا وغيرها من الرّياح، وكان نزوحهم عن أوطانهم سبباً في استمرار هذا الحنين[2].

والطّلل عند بعض الباحثين هو التّعبير عن الانفعال في الحاضر، والاتحاد بالماضي البعيد[3].

ويرى آخر أن الطّلل تعبير عن رؤية فلسفية عميقة تعبر عن معنى الدّيمومة والخلود، أو تعبير عن صورة ثاوية في طوايا نفس الشّاعر، فالإنسان بجبلته مطبوع على حب الملك والخلود [4]، وفي هذا إشارة واضحة إلى قوله تعالى" **هل أدلّك على شَجرة الخلد وملك لا يبلى**" [5].

فالشّاعر في حديثه عن الأطلال يكرس ثنائيتين: الزّمن في مروره يجرد الأشياء ويعريها، لكنه في الوقت نفسه يخلد الأشياء ويمنحها الدّيمومة[6].

ويمثل الحنين إلى الطّلل، الحنين إلى الوطن وما يحيط به، وما يتناثر حوله من الدّمن، ويمثل مجموعة الذّكريات الّتي عاشت في ذهن الشّاعر، يحفظ فيها أجمل الأوقات وأسعد الأيام. [7]

والطّلل في حدّ ذاته رمز للوطن عند الشّاعر، أو هو الوطن، فقد كان الطّلل الحالي يمثل المكان المفضل للقاء العشاق يوم أن كان داراً عامرة، وغدا الآن آثاراً عافية دارسة مغلفة بالذّكريات[8].

---

(1) ينظر: **دراسات في الشّعر العربي المعاصر**، 263.
(2) ينظر: نفسه، 256.
(3) ينظر: الخشروم، عبد الرزاق، **الغربة في الشعر الجاهلي**، 244.
(4) ينظر: هياجنة، محمد سليم، **الاغتراب في القصيدة الجاهلية**،83،84.
(5) طه: 120.
(6) ينظر: هياجنة، محمد سليم، **الاغتراب في القصيدة الجاهلية**،83،84.
(7) ينظر: القيسي، نوري، **الطّبيعة في الشّعر الجاهلي**، 364.
(8) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**،254، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

وهناك من يرى أن الطّلل هو المكان المقترن بالزّمن الّذي يجلو معطيات ذات قيمة إنسانية تبلورت في اغتراب الشّاعر، وإذا ما انسلخ عن تلك المعطيات عبر تجاربه الماضية وحرمانه منها، فالشّاعر يتواصل مع الطّلل والذّكريات الماضية للاستمرار في الحياة، ويودع فيه قصيدته وتجربته الماضية والحاضرة بقدر ما تتيح له قدرته الفنية الإبداعية في أداء ما يصبو إليه من تمثيل الحالة، وتكثيف التّجربة، وتعميمها واستيحاء رموز الفناء والخلود، فتغدو اللّوحة الطّللية مستوعبة لزخم المعطيات الحياتية في ضوء وعي الشّاعر لتجربته وبواعثها**(1)**.

سار الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون على نهج الشّعراء الجاهليين في وقوفهم على الأطلال وبكائها، فقد عبروا عن حنينهم لهذه الدّيار التي خاطبوها وسألوها وبكوها، وألقوا عليها السّلام، فهي رمز للأيام الماضية بما تحمله من ذكريات جميلة، وأحاديث سارة دارت بين الأحبة.

والمتتبع للمقدمات الطّللية في قصائد الزّنكيين الأيوبيين يرى أن هؤلاء الشّعراء لم يأتوا بجديد، فقد وقف الشّاعر الأيوبي على الأطلال، وألقى عليها التّحية والسّلام، ثم ناجاها وسألها عن مصير الأهل والأحباب الرّاحلين عنها، وبكى المنازل والدّيار الّتي غدت رسوماً عفّى عليها الزّمن، وعبر عما أصابه من حنين لماض منصرم لم يبق منه سوى الذّكريات.

وقد اشتمل موضوع حنين بكاة الأطلال على الظّواهر الآتية:

1- الوقوف على الأطلال.

جرت العادة أن يقف الشّاعر أو أن يستعين بصحبه للوقوف على الطّلل المقفر من أهله، فقد كان هذا الطّلل داراً آهلة بالأهل والأحباب، وغدا الآن آثاراً دارسة مقفرة، لا يجاب فيها عن سؤال، فالشّاعر يتخذ من هذه الأطلال باعثاً له أو مساعداً للشّوق والحنين المستمرين، فهذه الدّيار تمثّل قطعة غالية من شبابه ونفسه وأحبته**(2)**.

---

(1) ينظر: إبراهيم، صاحب خليل، **الغربة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام**، 30،رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.
(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**،272، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

وفي العصرين الزّنكي والأيوبي، جاء الوقوف على الأطلال على النّحو الآتي:

يقف القاضي الفاضل[1] على الطّلل الدّارس المقفر، ويسأله عن الماضي المنصرم، فلا يجد جواباً غير الصَوت المتردد في نواحي الدّيار الخالية من أهلها وما هو إلا استرجاع لشريط الذّكريات الماضية بما فيها من أيام سارة عزيزة على قلب الشّاعر، إذ يقول: {**الطّويل**}

وَقفــتُ عَليــه، بَــلْ بــهِ مُتَــأوِّداً　　أُســائِلُ عَــنْ عَهْــدٍ بــهِ مُتقَــادمِ
يُجيبُ صَدَاي الرّبْعُ، لا ما نَظنُّهُ　　بِــرَغْم خَــوَاه: مــن جَــوَابِ الْحَمــائِمِ
أرَى طَيْفَكم كَالحَظِّ فِي الدّهْر: مَالَه　　سُرىً أبداً إلّا إلى عَيْنِ نَائِمِ[2]

أما الأرجاني[3] فيطلب من صحبه أن يساعدوه بالوقوف على ديار الأحبة، فلكل منهم قلب سليم لايؤلمه، أما الشّاعر فله ألم لا قلب، ولم يبقَ منه إلّا نفس يتردد، وعين تدمع، يقول: { **الكامل** }

عُوجُوا عليها أيُّها الرّكْبُ　　لا عارَ أنْ يَتَساعدَ الصُّحْبُ
كلٌّ لَه قلبٌ ولا ألمٌ　　عَجَباً وَلِي ألمٌ ولا قلبُ
مالي سِوى نَفَسٍ أُرَدِّدُهُ　　وَجْداً، وَعَينٌ دَمْعُها سَكْبُ[4]

في حين أن أسامة بن منقذ[5]، لا يرى جدوى من الوقوف على الأطلال وسؤالها عن سكانها الظّاعنين عنها، إذ هي خرساء لا تنطق ولا تسمع، فكيف تجيب عن السّؤال؟

---

(1) القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد بن المفرج ، المعروف بالقاضي الفاضل، محيي الدين أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني الأصل ،العسقلاني المولد، المصري الدار، سنة 529هـ، وتوفى سنة 596هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 18/ 335، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 4/ 219.

(2) **الديوان**، 291/1.

(3) الأرجاني: أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، الأرجاني، شاعر، ولد بأرجان، في شعره رقة وحكمة، ولى القضاء بتستر وعسكر، وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان، توفي بتستر، كان مولده في 460هـ وتوفى في سنة 544هـ، له ديوان شعر، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 47/1.

(4) الأرجاني، **الديوان**، 128/1.

(5) أسامة بن منقذ: هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكلبي الشيزري،أبو المظفر، مؤيد الدولة، أمير من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر قرب حماة، وسكن في دمشق، له تصانيف في الأدب، والتاريخ منها" البديع في نقد الشعر"، "والمنازل والديار"، ولد سنة 488هـ، وكانت وفاته سنة 584هـ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 572/21،571

حيث يقول: { **الكامل** }

مَــاذا وقوفُـكَ فــي الـدِّيار مُـسائِلاً عـن أهْلِهـا، ومتـى يُجيـبُ الأبْكَـمُ؟![1]

وترى رولا ناصر أن وقوف أسامة بن منقذ على أطلال دياره كان تلبية للحنين الّذي يجيش في أعماقه، هذا الحنين الذي لن ينتهي إلا بموت الشّاعر، فما أمرّ إحساسه بفقدان دياره وأهله معاً، لقد حن أسامة إلى الأهل والدّيار عندما كان نائياً عن وطنه، فكيف سيصبح هذا الحنين بعد أن فقدهم نهائياً؟ وبعد أن بات أمله بالرّجوع إليهم أو لقائهم يوماً أمراً مستحيلاً[2].

يقول أسامة بن منقذ: { **الكامل** }

هَـــذِي مَنــــازلُهم عَفَـــتْ وتَفرَّقُـــوا فَـــسلِ المَنـــازلَ عَـــنهم مَـــاذا لَقُـــوا؟!

تُخْبِـــرْك أن الأرضَ قَـــدْ وارثهُـــمُ وأبَـــتْ لَهُـــم أنْ يَـــسْمَعوا أو ينطِقُـــوا

وبَقِيـــــتُ بَعْـــــدهُمُ لِهَـــــمٍّ فـــــادحٍ وكآبـــــةٍ تُـــــضْنْني وخَطْـــــبٍ يُطـــــرُقُ

أرجــو اللّحــاق بهــم ودون لَحــاقهم بـــابٌ مـــن الأجـــلِ المُؤقـــتِ مُغلَـــقُ

فـــإذا نَهـــاني عـــن رَجـــاءِ لقـــائِهِمْ يَأســـي هفـــا قلـــبٌ إليـــهم شَـــيِّقُ[3]

ويمكن القول إن موضوع الوقوف على الأطلال لم يكن موضوعاً تقليدياً تعمده أسامة، وإنما نتيجة تجربته الذّاتية، فوقف على الأطلال ليبث دواعي حنينه وشوقه إلى قومه[4].

ويقسم الأرجاني بالرّبع الذي أقفر من محبوبته أميمة، وقد حلت به الأنداء كحبات اللؤلؤ الرّطب، وقد طالع الشّاعر ديار المحبوبة بمقلة تسفح دموعها، لشدة الألم يقول: **{الطّويل }**

فَلِلّـــهِ رَبْـــعٌ مـــن أُمَيمـــة عَاطِـــلٌ توشَّـــحَهُ الأنْـــداءُ بـــاللؤلؤِ الرَّطْـــبِ

رَمَيْـــتُ مُحيّـــا دارهِـــمْ عـــن صَـــبابة بِـــسافحةِ الإنْـــسانِ ســـافِحةِ الغَـــرْبِ

---

(1) أسامة بن منقذ، **المنازل والديار**، 26، لم يرد بيت الشعر في ديوان أسامة بن منقذ.
(2) ينظر: **أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنيّة**،187، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت).
(3) **المنازل والديار**، 26، لم ترد الأبيات في ديوان أسامة بن منقذ.
(4) ينظر: سليمان، رولا ناصر، **أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنيّة**،187، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت).

أُروِّي بِهـا خَـدّي وفـي القَلْـبِ غُلّتـي   وَقَـد يتخطّـى الغَيْـثُ أمْكِنَـة الجَـدبِ[1]

لقد اعتاد الشّاعر أن يقف على الأطلال برفقة خلّانـه، إلا أن المهذب بن الزّبير[2] لم يوقف خليله على الدّيار شأن غيره من الشّعراء، بل أوقف فؤاده وسكب دموعه في دار الأحباب الّتي وجدها خراباً في وجدانه، حيث يقول: **{ الكامل }**

رَبَـــعَ الفـــؤادُ خِـــلالَ تِلْـــكَ الأرْبُـــعِ   فكأنّهـــا أولـــى بـــه مِـــن أضْـــلُعي
وَأَقـــامَ فيـــه، فـــالجوانحُ بَلْقَـــعٌ   منـــه، وَمَـــا البِيـــدُ القِفـــارُ ببَلقَـــعِ
وأرى الـصَّبا تَمْـري الـسّحابَ، وإنّمـا   تَمْـــري صـــبابتُهُ سَـــحابَ الأدمُـــعِ[3]

ويطلب الأرجاني من صاحبيه أن يقفا معه على منازل الأحبة، وألا يبخلا بوقفة على عاشق مغرم، كما أنه يقول سأقيم في منزلهم وأبكي، لو نفع البكاء في ردهم: **{الرّجز}**

قِفـــا مَعـــي فـــي هـــذِهِ المَعاهِـــدِ   لا بُـــدَّ للـــصّبِّ مِـــنَ المُـــساعِدِ
لا تَـــبْخَلا يـــا صـــاحِبَيَّ واســـمَحا   بوَقْفَـــةٍ علـــى المُعَنّـــى الواجِـــدِ
فـــي مَنْـــزلٍ عَهِـــدْتُ فـــي عِراصِـــهِ   لـــو رَدَّ مَعْهـــودًا بُكـــاءُ عاهِـــدِ[4]

وهذا شاعر آخر يطلب من صاحبه أن ينزل بالحمى، ويسأل عن دار سلمى وماذا فعل الزّمان بها، وأن يهديها سلامه، يقول فتيان الشّاغوري[5]: **{ الوافر}**

خَليلـــي بِـــالْحِمى عَـــرِّجْ وسَـــلْ مـــا   تُـــرى فَعـــلَ الزّمـــانُ برَبْـــعِ سَـــلْمى

([1]) الأرجاني، **الديوان**، 133/1.
([2]) المهذب بن الزبير: الحسن بن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير، الملقب بالمهذب، من ن بيت كبير بالصعيد معروف بالمال والرئاسة، كان فاضلاً، توفي القاضي المهذب بالقاهرة في ربيع الأول سنة 561هـ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 942/1،943
([3]) المهذب بن الزبير، **الديوان**، 200.
([4]) **الأرجاني، الديوان**، 289/1.
([5]) فتيان الشاغوري :فتيان بن علي جمال الدين الأسدي النحوي، ولد الشهاب الشاغوري بعد سنة 530هـ في بانياس الساحلية وعاش طفولته وشبابه الأول في حي الشاغور من دمشق وقضى ردحا من حياته العلمية في الزّبداني، وقد شارف التسعين من عمره، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 407/1.

وأهْـــدِ إلـــى رُبـــي نَجْـــدٍ سَـــلامي　　فَتِلْـــكَ مَعاهِـــدُ الأحبـــابِ قِـــدْما[1]

إن الوقوف على الأطلال في شعر العصرين الزّنكي والأيوبي وقوف تقليدي في معظمه وليس حقيقة، وإن اتخذ طابعاً حقيقياً عند أسامة بن منقذ، وذلك لعل الشّعراء يريدون من وقوفهم هذا أن يتوصلوا إلى الأغراض الأخرى بطريقة سلسة واضحة تشد الانتباه والإصغاء إليهم لا غير.

2- التّحية والسّلام.

عبر الشّعراء الجاهليون عن حنينهم إلى الدّيار و الأيام السّالفة بإلقاء التحية والسّلام على مسامع الدّيار الخالية من أهلها، وكأنها تعقل، وهم في هذا إنّما يقصدون أهلها الظّاعنين، فقد تبادلوا التّحيات بينهم وبين أحبابهم فوق هذه الدّيار التي غدت رسوماً دارسة[2].

واستمر الشّعراء في صدر الإسلام بإلقاء التّحية والسّلام على الأطلال والرّسوم المقفرة من أهلها، والأمر نفسه في العصر العباسي بمراحله المختلفة، وإن لم يكن بالكثرة الّتي كان عليها في العصر الجاهلي.

أما شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي فلم يكثروا من إلقاء السّلام والتّحية على الأطلال فالنّصوص الشّعرية التي جاءت في هذه الظاهرة قليلة إلى حد ما، فابن السّاعاتي [3] يطلب من صاحبه أن يحيي الدّيار برامتين، ثم يدعو الله أن تسقيها السّحاب الممطرة، فربّما يرد جمادها على مخاطبها، وهو إنسان شديد التّشوق واللهفة لهذه الدّيار، ثم يطلب من صاحبه أن ينظر إلى آثار الدّيار ورسومها، فهو مشغول عن النّظر إليها ببكائه وقلقه.

---

(1) **الديوان** : 472، 473.

(2) ينظر: الرجبي،عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصرالأموي**،227، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة،1979م.

(3) ابن الساعاتي: علي بن رستم بن هردوز، أبو الحسن بهاء الدين الساعاتي، شاعر مشهور، خراساني الأصل ولد ونشأ في دمشق، وكان أبوه يعمل في الساعات، برع في الشعر، ومدح الملوك، وسكن مصر، توفي بالقاهرة، سنة 604هـ، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 362/1.

إذ يقول: :**{الكامل}**

حـــيّ الـــدّيار بِـــرامتين[1] وَنادهـــا   جـادتْ عهـادُ المُـزْنِ عَهـدَ سُـعادها
فَلربّمـــا بَلـــغَ المُـــرادَ مُخاطِبـــاً   عـن حـالِ ناطِقِهـا لـسانُ جَمَادهـا
انظـــر مَعالِمهـــا سَـــلمْتَ فَمُقلتـــي   مَـــشْغولةٌ ببكائِهـــا وَسُـــهادِها[2]

اتخذ ابن مطروح[3] من التّسليم على الدّيار متنفساً لآلامه وأحزانه،فهو يبعث بتحيته للدّيار، ويدعو لها بالسّقيا.

يقول: **{المجتث}**

تحيّـــــــةٌ وسَـــــــلامْ   ووقفـــــــةٌ واسْـــــــتلامْ
علـــى الحِمَـــى، وسَـــقاه   للـــدّمع منّـــي غمـــامْ
فَللـــدموع انْتـــشار   ببُرْقـــه، وانْتظـــامْ[4]

يطلب الملك الأمجد[5] من صاحبه أن يبلغ تحياته الخالصة للدّيار بحي الرّقمتين، وأن يبلغ زماناً قضاه في السّرور، لقد كان ذلك أعز الأزمنة على نفس الشّاعر، ثم يرحل الأحبة، فيبكي رحيلهم بالدّموع الغزار، فينظر إلى هذه الدّيار فيراها قد تلاشت إلا القليل بفعل الأمطار، ودموع الشّاعر الغزار، وتقلبات الزّمن، كما أنه لم ينس عيشه الرّغيد فيها، فيقول: **{الخفيف}**

حـيّ عنّـى الحِمـى، وحـيّ المـصلّى   وَزمانـــاً بِـــالرّقمتين[6] تـــولّى
كـان أغلـى الأوقـاتِ فـي الـنّفس قـدْراً   فَتلاشـــى زَمانُـــه واضْـــمحَلّا
ثـــمَّ لمّـــا نـــوى الفريـــقُ فِراقـــاً   نَهـلَ الحـيُّ مـن دُمـوعي وعَلّـا
مربـعُ الوجـدِ فيـه أرسـلتُ دَمْعـي   بَعْـدَ بُعـدِ الأحبـابِ وبـلاً وَطلّـا

---

(1) رامتان: هو تثنية رامة، يقول الشاعر: تسألني برامتين سلجما، وهي نجد: ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 18/3.

(2) ابن السّاعاتي، **الديوان**، 248/1.

(3) ابن مطروح: هو جمال الدين أبو الحسن، يحيى بن عيسى بن إبراهيم المعروف بابن مطروح، ولد في أسيوط، من محافظات صعيد مصر، يوم الاثنين 8 رجب سنة 592هـ، توفي بالقاهرة، سنة 649هـ، ينظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**27/7، وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 257/5.

(4) ابن مطروح، **الديوان**، 189.

(5) الملك الأمجد: هو المظفر بهرام بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب، الملقب بالملك الأمجد مجد الدين، ولد سنة 520هـ، ونشأ الملك الأمجد في دمشق،توفي سنة 628هـ، ينظر:الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 156/1، واليافعي، **مرآة الزمان**، 666/8.

(6) الرقمتان: تثنية الرقمة، وهو مجتمع الماء في الوادي، والرقمتان، موضع قرب المدينة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 67/3.

مَنـــزلٌ لـــم تُبـــقِّ منـــه الغَـــوادي   ودمـــوعي والـــدّهر إلّـــا الأقلّـــا[1]

وابن السّاعاتي أيضاً يطلب من خليله أن يسلم على الأطلال والدّمن، ويدعو لهما بالسّلامة، فالتّحية والتّسليم ما هما إلا وسيلة للتخفيف من وجد الشّاعر وهيامه بالمحبوب الّذي رحل، وهما باعث للحنين والشّوق لأيام شبابهم الّتي مضت، إذ يقول: **{البسيط}**

سلّم- سَلِمْتَ- علـى الأطْـلالِ والـدّمنِ   وَقـف علـى الحَزْن لا روّعت بـالحَزَنِ
كَمْ بَيْنَ تِلكَ المَغَاني مِنْ قتيلِ الهوى   مِثْلـــي وصـــبٌ شـــجٍ بـــالبينِ مُمْـتَحنِ
يُحـــلُّ ســـرَّ الغـــواني مـــن جوانحِـــه   جَـــزْلُ الأمانـــةِ لكـــنْ ناحـــلَ البَـــدنِ
حـــال الـــشّبابِ ومـــا حَالـــتْ صَـــبابتُه   وخَانَـــه دَهْـــرُه فـــيهُمْ وَلَـــمْ يخُـــنِ[2]

3- سؤال الأطلال.

يعد السّؤال عن الدّيار وساكنيها، وسيلة من وسائل الحنين، ومعنى من معانيه، وقد عرف العرب هذا الموضوع منذ القدم.

فالشّاعر يعبر عن حنينه لماضيه المنصرم من خلال تساؤلات كثيرة يطرحها على مسامع الأطلال الدّارسة، فهو يسأل عن مصير أحبابه الذين كانوا فيها، وعن حالهم، ويسأل عن أشياء تتعلّق به وبالمحبوبة وديارها[3].

وقد أكثر الشّعراء الزّنكيون الأيوبيون من تساؤلاتهم للأطلال المقفرة الخالية من أهلها، الّتي لا تجيب عن سؤال السّائل، فالشّاعر يطلب من صاحبيه أن يسألا بقايا الرّاحلين في الدّار، ماذا عندها من أخبار، وأن يخففا من دموعه، وقد وقف الشّاعر بالدّار، وصدّ سمعه عن سماع الملام، وانهمر دمعه بانسجام، كأنّ خدّه على أرض الدّيار قلم يرسم سطوراً هي رسومها ، يقول الأرجاني: **{البسيط}**

سَـلا رُسـوماً أقامـتْ بَعْـدَ مـا سـارُوا   أعِنـــدَها بِمكـــان الحـــيِّ أخْبـــارُ؟
ورَوِّحـــا عـــاتِقي مِـــنْ حَملِهـــا مِنَنـــاً   للـــسُّحْبِ فيهـــا وللأجْفـــانِ آثـــارُ

(1) الملك الأمجد، **الديوان**، 295.
(2) ابن الساعاتي، **الديوان**، 94/2.
(3) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 172 رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

دارٌ وَقَفــتُ بِهــا والــسَّمْعُ مُرتَــشقٌ   عــن المــلامِ وَدمــعُ العَــين مِــدْرارُ
كــأنّني واضـــعاً خـــدّي بهـــا قلَـــمٌ   أبْكـي أسـىً، وَرُسـومُ الـدّارِ أسْطارُ[1]

والشّاعر حينما يسأل الدّيار، يوجه سؤاله إلى ساكنيها، فهو يسأل ساكني الحمى، هل سيجتمع بهم يوماً؟ رغم البعد والقطيعة، وهل سيكون له سبيل للقاء؟ فيقول ابن مطروح: **{الوافر}**

أجيــرانَ الحِمَــى، هــل لــي إلــيكمُ   علــى رغــم العِــدَى- يومــاً ســبيلُ؟
لَــئنْ نَزَحــتْ بكــم عنّــا الليــالي   فَــأنتم فــي حِمــى قلبــي نــزولُ
أيـا بـانَ الحِمَـى، قُـلْ لـي، وَهَـلْ لـي   -وَقَـد بـانوا- إلـى وصـلٍ وَصـولُ؟[2]

يعود الشّاعر إلى الأطلال ليسألها عن المحبوبة الّتي رحلت منذ زمن، فليس له غير المعالم والدّمن ليحافظ على ذلك العهد الّذي بينه وبينها، فهو لم يجد شيئاً بعد رحيل الأحبة سوى الرّماد ، فقد غيرتها الرّيح والمطر الدّائم والرّعد، وأوحشت من أهلها، يقول الملك الأمجد:**{البسيط}**

حتّـى رَجعـتُ إلـى الأطـلالِ أسـألُها   عنْهـا وأخبرُهـا مِـن بعـدِها مـا بـي
ومـــا علـــيَّ- إذا أحييـــتُ معلمَهـــا   حِفظـاً لِعهـدكِ يـا لميـاءُ- مِـن عَـابِ
وَمَـا وَجـدتُ- وَقَـد خاطبـتُ أرسـمَها   بعدَ الأحبَّةِ – غيرَ الأورَق[3] الهَابي[4]

أما القاضي الفاضل فقد اتخذ من الدّمع وسيلة ليسأل رسوم الدّار عن المحبوب الّذي هجره وتركه في ألم وعذاب وشوق ملتهب، وحنين مستمر، في قوله: **{الكامل}**

الــدّمعُ يَــسألُ عَنْــكَ رَســمَ الــدّارِ   والنَّـــومُ فَـــضَّ خَـــوَاتمَ الأسْـــرَارِ
فالحـــبُّ نـــارٌ لا يكَـــدَّبُ مَـــسُّها   والهَجْـرُ فيــه مِــن عَــذّابِ النّــارِ[5]

ويسأل المهذب بن الزّبير الدّيار عن الّذي غيرها، بعدما كانت دار الشّباب والأحباب والأهل والأصحاب، وباتت موحشة مقفرة، غيّرتها عوامل الطّبيعة

---

(1) الأرجاني، **الديوان**، 402/1.
(2) **الديوان**، 213،214.
(3) الأورق: الرماد، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ورق)
(4) **الديوان**، 213، 214.
(5) القاضي الفاضل، **الديوان**، 395/2..

حيث يقول:**{الكامل}**

أمنــــازلَ الأحبـــابِ غيَّـــرك البِلَـــى فَلَنـــــا اعتبــــارٌ فيــــك واســــتعبارُ
سَــقْياً لـــدهرٍ كَـــان مِنْــكَ تــشابَهتْ أوقاتُـــــــهُ؛ فجميعُـــــــهُ أسْــــــحارُ[(1)]

4- البكاء على الأطلال.

يعدُّ البكاء على أطلال الدّيار وسومها العافية من الظّواهر الّتي شاعت في شعر الحنين."فالبكاء يسوغه ارتهان قلب الشّاعر من الحبيب الّذي أرقه وأثار أشجانه"[(2)] فقد عبر بكاة الأطلال والدّيار عن حنينهم الصّادق، وشوقهم بمعان وأفكار كثيرة ومختلفة، فالبكاء باعث للحنين والشّوق، ويظل مخففاً لمعاناة الشّعراء فالشّاعر يبكي ماضيه الدّاهب، وعزه المفقود، الّذي يتجسد ببقايا الدّيار المتمثلة في الأطلال الدّارسة والرّسوم العافية[(3)].

وقد بكى الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون أطلال الدّيار، وكان بكاؤهم وسيلة للتّعرف على معالم الدّيار وآثارها ودمنها، وحذوا في ذلك حذو الشّعراء السّابقين لهم، فابتدؤوا معظم قصائدهم المدحية بمقدمات طللية صدروها بالبكاء.

ويرسم الأرجاني صورة دقيقة لبكائه على منازل الأحبة، فهو إذا مر بمنزل من المنازل السّابقة بكى بين سهل وجبل، فهو بين أرض تعبرها الأنسام، ودمع جار بين أضلعه، دموع تنهال كأنها سحاب منهمر، بكاء يستغربه الأصحاب، حتى أنه أخفى دمعه بكمه حتى لا يراه الصّحب خجلاً،فيقول: **{ البسيط }**

ومَـــا مَـــرَرتُ بِرَســـمٍ مـــن مَعاهِـــدِهُمْ إلّـــا بَكَيـــتُ بِـــسَهْلٍ كـــانَ أوْ جَبَـــلِ
فَــثمَّ أرضٌ بِــرِيحٍ فـــي الـــدّيارِ لَهُـــمْ وثــــمّ مــــاءٌ بِنــــارٍ فـــي الجَـــوانِحِ لِـــي
وَعَارِضـــي فيـــهِ بَـــرْقُ الـــشّيبِ مُبتـــسِمٌ وَفَوقَـــه عَبْرَتـــي كالعـــارِضِ الهَطِـــلِ
إذا رَمَتنـــــيَ أصْـــــحابي بِـــــأعْيُنِهمْ جَعَلتُ كُمّي مَفِيضَ الدَّمْعِ مِنْ خَجَلِ[(4)]

ويعد البكاء وسيلة من الوسائل الّتي عبر فيها الشّاعر عن أشواقه وأشجانه للحبيب الرّاحل، إذ يقول فتيان الشّاغوري: **{المجتث}**

---

(1) المهذب بن الزبير، **الديوان**، 190.
(2) هياجنة، محمد سليم، **الاغتراب في القصيدة الجاهلية**، 87.
(3) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 260، 286، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.
(4) الأرجاني، **الديوان**، 219/2.

وَقفـــــتُ فــــي الـــدّار أبْكـــي   وَمَـــا بهـــا مِـــنْ عَريــــبِ[1]
سَــــــألتُ فيهـــــا صَـــــداها   ســــــؤالَ صــــــبٍّ كَئيــــــبِ[2]

ومن الشّعراء من بكى الدّيار بحرارة حيث انهمرت دموعه غزيرة، يقول الملك الأمجد:**{الطّويل}**

وقفـتُ بهـا أبْكـي وَمِـن نَفْـسي وَمِـنْ   دُمُــوعيَ مُنهــلّ عليهـا ومِنهــالُ[3]

أما ابن السّاعاتي فقد أضفى صفة الدّيمومة والاستمرارية على بكائه، فهو يجد في البكاء متنفساً يخفف من آلامه وأحزانه، فيقول: **{البسيط}**

ظللـتُ فـي الـدّار أبْكيهـا ويُـضحكها   دَمـعٌ عَلـى تِلكُـمُ الأطـلالِ مَطلـوُلُ[4]

ومن الشّعراء من بالغ في بكائه على الأطلال، فقد جعل دموعه الغزار تسقي الأطلال وترويها، حتى أن هذه الأطلال لم تعد بحاجة إلى مطر السّماء ليسقيها، يقول أسامة بن منقذ. **{الكامل}**

غاضَتْ دُموعيَ في المنازلِ وارعوَى   صَــبْري، وراجَعَنــي الرّقــادُ النّــافرُ
إن لــم أسُــحَّ بهــا ســحائبَ أدْمــعٍ   يَنجــابُ خـــشيتهَا الغَمـــامُ البـــاكرُ
أأحمّــلُ الأطـــلالَ منّـــة عَـــارضٍ   وســحابُ دَمعــي مُــستَهلٌّ مَــاطِرُ[5]

كما أن الشّاعر يجعل من نفسه ناكثاً بالعهد، إذا لم يبك هذه الرّبوع بكاءً مُرّاً، ويبخل عليها بسح دموعه، فبكاء الشّاعر وفاء بالعهد للأحبة الذين أقاموا بتلك الرّبوع، إذ يقول: **{الكامل}**

إنّـــي إذَن بـــشُئُونِ عينـــيَ باخِـــلٌ   وبِعَهـدِ مَـن سَـكن المنـازلَ غَـادرُ[6]

أما ابن السّاعاتي فقد أظهر لوعة وألماً في بكائه، عندما جعل بكاءه دماً لشدة الشّوق الملتهب، فالنوق سائرة بكل شخص خال من لوعة الحب لكن في الحي من شغل بحبه، فدموعه جارية مستمرة لا تتوقف فكيف له أن يمضي وقد نفذ صبره، فالأحبة الأماني الكاذبة، والسّؤال غير مجاب، يقول: **{البسيط}**

قَــالوا بَكيــتُ دَمــاً والعِـيسُ ســائرةً   بكــلِّ خــالٍ بــه فــي الحَــيّ مَــشغُولُ

---

(1) عَريبٌ: أحد، شخص، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(عرب).
(2) **الديوان**، 9.
(3) **الديوان**، 254.
(4) ابن الساعاتي، **الديوان**، 47/1.
(5)**الديوان**، 69.
(6) نفسه ، 69.

والومضُ يغمضُ في جَفْنيَّ صارمهُ   لا غرو للسّيف يَدْمي وهو مَسلولُ
وقفتُ والدّمع جارٍ يومَ بَيْنهم   وكيفَ أمضي وحدّ الصّبر مَفلولُ
هُمُ المُنى والأمَاني غير صادقة   وَعداً وسؤلي هُمُ لَوْ يُدرك السّولُ[1]

5-الدّعاء بالسّقيا.

عبر الشّاعر الزّنكي و الأيوبي عن حنينه إلى وطنه بطرق ووسائل مختلفة، أظهر من خلالها مدى حبه وعشقه للوطن المفتقد، ومن بين هذه الوسائل الدّعاء بالسّقيا والحياة للديار " ومن هنا يعد الدّعاء بالسّقيا للدّيار وسيلة الحنين، ومعنى من معانيه"[2]، فقد قرن الشّعراء الحنين إلى المعاهد والدّيار بالدّعاء لها بالسّقيا والخير[3].

أكثر شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي من الدّعاء بالسّقيا للدّيار والمنازل،من ذلك قول ابن عنين[4] حيث يدعوأن يسقي الله الحمى بطويلع، كي تظل فيها مغاني الحياة، ففي دعائه هذا وفاء وإخلاص لوطنه الغائب عنه: **{الكامل}**

فسقى زماناً مرَّ لي بطُويَلعٍ[5]   صوبُ الحيا وَسَقى عَراص طُويلع
فلأصبرنَّ على الزّمان وجوره   صبرَ امرئٍ متجمّلٍ لم يَخْضع[6]

و يدعو الملك الأمجد للدّيار بالغيث الوافر الّذي يحيي النبات بعد موته: **{الطّويل}**

سَقى دارَهُمْ بالخَيف كلُّ غمامةٍ   يعيشُ بها ميتُ النّباتِ ويَغْتذي
أناسٌ نأوا عنّي فها أنا بعدَهُمْ   أجوبُ الفيافي منفذاً بعدَ مَنْفذِ[7]

---

(1) ابن السّاعاتي، الديوان، 48/1.
(2) الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 279، رسالة دكتوراة، القاهرة، 1979م.
(3) ينظر: مبارك، زكي، **مدامع العشاق**، 18.
(4) ابن عنين: محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين، الأديب الرئيس أبو المحاسن، أعظم شعراء عصره،ولد بدمشق سنة 549هـ، أصله من الكوفة، وكان هجّاءً، توفي عام 630هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 122/5.
(5) طويلع: موضع بنجد، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 54/4.
(6) **الديوان**،13.
(7) الملك الأمجد، **الديوان**، 321.

وقد غلب عرقلة الكلبي[1] الشّوق والحنين إلى وطنه، فدعا له وإلى مرابعه بالسّقيا والخصب والخير ، فيقول: **{الطّويل}**

سقى اللهُ مِن سَطْرا[2] ومقرا[3] منازلاً بهـــا للنَّـــدامى نَظــــرةٌ وســــرورُ
ولا زال ظِـــلٌّ "النيـــربين"[4] فإنّـــه طويـلٌ وعـيشُ المـرءِ فيـه قـصيُر[5]

ومنهم من جعل طلب السّقيا بعودة الأهل والأحباب وبجمع الشّمل، وذلك أفضل من السّحب الممطرة، فالدّيار حية بأهلها وقاطنيها، يقول الشّاعر:**{ الطّويل }**

سَــقَى اللهُ تلــكَ الــدَّارَ عَــودَةَ أهْلِهــا فَــذلكَ أجْــدَى مــن سَــحَابٍ وَقَطــرهِ
لَــئنْ جَمَــعَ الــدَّهرُ المُــشتَّتُ شَــملهُ فمَــا بعــدَهَا ذَنْــبٌ يُعــدُّ لِــدَهرهِ[6]

وابن مطروح يدعو للدّيار بالسّحاب الممطر، والنّعم، فقد كانت الدّيار مليئة بالخيرات والملذات والذّكريات السّعيدة، فيقول: **{البسيط}**

ســقاكِ- يــا دارُ – هطّــالٌ مــن الــدِّيمِ ولا خلـــوتِ مـــن اللّـــذاتِ والـــنِّعمِ
فَكَــم قَطعنـــا ثمـــارَ العـــيش يانعـــةً بهــا، ولــذاتُنا كَانــت علــى عَلَــم![7]

أما سبط بن التّعاويدي[8] فيدعو بالسّقيا للدِّمن الدّارسة التي خلت من أهلها الظّاعنين ويتمنى أن يعود إليها الأنس والحياة، فالهوى العذري ما زال حياً فيها، وإن هي مقفرة، فطلب السّقيا وفاء للعهد الّذي كان بين الشّاعر وسكان الدّار.

---

(1) عرقلة الكلبي: أبو الندى حسان بن نمير بن عجل، شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق، اتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحه ونادمه، كان مولده سنة 486هـ، وتوفي 567هـ ، ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 112/1.
(2) سطرا: قرية في غوطة دمشق،ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 248/3.
(3) مقرا: قرية في غوطة دمشق، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 202/5.
(4) النيربين: قرية مشهورة بدمشق على فرسخ وسط بساتين، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 380/5.
(5) عرقلة الكلبي، **الديوان**، 51.
(6) القاضي الفاضل، **الديوان**، 488/2.
(7) ابن مطروح، **الديوان**، 186.
(8) سبط بن التعاويذي: محمد بن عبيد الله أبو الفتح بن التعاويذي، كان شاعر العراق وقته، وكان كاتباً بديوان الاقطاع ببغداد، عمي في آخر عمره، وتو في سنة 576، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 11/4.

فيقول:**{مجزوءالوافر}**

سَـــقى صَـــوْبَ الحَيَـــا دِمنـــاً بِجَرْعَـــاءِ[1] اللّـــوَى دُرِسَـــا
وَزَادَ مَحَلَّـــكِ المَـــأنُو سَ يـــا دَارَ الهَـــوَى أنَـــسَا
لَـــئِن دَرَسَـــتْ ربوعُـــكِ فَالْـــ هـــوى الـــعذريُّ مَـــا دَرَسَـــا[2]

ويدعو ابن السّاعاتي بالسّقيا لدارالأحبة ،وأن تسقيها سحابة سكوب تطفئ ظمأ أرضها فتعود خصباً بعد جدبها، ويصف لوعته لدى وقوفه بها، فيشبهها بلوعة الخنساء تبكي أخاها صخراً، ويتذكر شبابه الّذي قضاه به، فيبكي على هجره لها، فالشّاعر يتخذ من الدّعاء وسيلة يعبر بها عن مدى شوقه للدّيار الّتي تركها :**{الطّويل}**

سَـقى اللهُ تِلـكَ الـدّارِ دَرَّ سـحابةٍ تُعيـد غِنـى فقـرِ المهامـةِ والقفـرِ
متـى وَقَفـت تَبكـي علـى عَرَصـاتها تَقـلْ هـذه الخنساء تبكـي علـى صَـخرِ
خلعـتُ الـشّبابَ الغـضَّ فـي حجراتهـا وأنفقـت كنـز العمـرِ فـي ذلـك العُمـرِ
ألـم ترنـي أبكـي علـى الهَجـرِ لوعـة ومِن قبلِها قد كُنتُ أبكي من الهَجرِ[3]

ويحن ابن منير الطّرابلسي[4] إلى الرّبوع فيدعو لها بالسّقيا وأن يسقي أوديتها النّاضرة، وقصورها الشّامخة وخيامها سحاب هطّال ، فيقول: **{ المتقارب}**

سَـــقى بَـــرَداً أنَـــضرَ الأودِيَـــةْ وشَـــمَّ الجواســـيق[5] والأخبيَـــه
سَـــحابٌ يعلَـــمُ مَـــن ســـحّه معـــاقِرَةَ الـــرَّوضِ بالأســـقِيه[6]

([1]) الجرعاء: موقع قرب الكوفة،ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 149/2.
([2]) سبط بن التعاويذي **الديوان**، 239.
([3]) **الديوان**، 57/1.
([4]) ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير أبو الحسن مهذب الدين الملقب ابن منير الطرابلسي، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام ولد بها، وسكن دمشق، ولد سنة 473هـ، وتوفي في عام 548هـ، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 299/5.
([5]) الجواسيق: مفردها: جوسق بمعنى القصر، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة،(جوسق).
(6) ابن منير الطرابلسي، **الديوان**، 123.

6-البرق والريح.

تناول الشّعراء في العصرين الزّنكي والأيوبيّ عناصر الطّبيعة المختلفة من البرق والرّيح والمطر والرّعد، وكانت هذه العناصر جميعها باعثاً للشّوق والحنين، فقد وجد الشّعراء في الطّبيعة ومظاهرها منفذاً جسّدوا خلاله إحساسهم بالغربة والبعد.

فالحنين إلى مظاهر الطّبيعة تعبير عن لحمة الرّابطة الوجدانية الّتي اجتذبت الشّعراء إلى موطن نشأة الفتوة، صاغوه آهات موجعة بكوا خلالها ذل الاغتراب في البيئات الجديدة وتحسّروا على شظف العيش في الوطن[1].

وعند البحث في هذه الجزئية يلاحظ أن الشّعراء أكثروا من ذكر البرق الّذي لاح من ديار الأحبة مقارنة مع العناصر الأخرى، فهو باعث للشّوق والحنين عندهم.

فقد جعل الأرجاني البرق يخطف الأبصار والنظر، وبدا ساري البرق متناعساً ليؤرقه، وقد جعله ساهراً طوال اللّيل، ومضى عنه ثاني جانبيه مستعجلاً كأنه يتبع الظّلام مسرعاً، فالشّاعر في صورته هذه الّتي رسمها للبرق الّذي لاح من بعيد يظهر شوقاً ملتهباً وحنيناً دائما لدياره وقومه ومحبوبته: **{البسيط}**

بِمُلتقَى لحظِنا البرقُ الذي وَمَضا ... استَوقفَ الطَّرفَ في آثارِهِ وَمَضى
لمّا تَناعسَ ساريهِ أرقتُ لهُ ... تراهُ أودَعَ جَفْني عِنْدَهُ الغَمَضا
وَعادَ ثانيَ عِطْفيْهِ على عَجَلٍ ... يجدُّ دَرْسَ خِطابٍ للظّلام نَضى[2]

والبرق عند ابن عنين رسول يحمل الأشواق والحنين لأهله، حيث يقول:**{الكامل}**

يا برقُ حيّ إذا مررتَ بعزَّتا[3] ... أهلي وإنْ زادوا جفاً وَتَعنُّتا
أبلغهمُ عنّي السَلام وقلْ لهم ... أحبابَنا هذا الصّدودُ إلى متى
كمْ أحملُ الشَّوقَ المبرّحَ والأسى ... لو كانَ قلبي صخرةً لتفتتا[4]

---

(1) حبيب، وهران محمود، **الحنين في شعر صدر الإسلام**،79، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003.
(2) **الديوان**، 14/2.
(3) عزتا: إقليم بالقرب من قرية الفيحة من قرى دمشق ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 4/ 131.
(4) ابن عنين،**الديوان**، 86.

فلمعان البرق من أرض الأحبة يبكي ابن مطروح ويؤرقه، فهو يحن وينزع إلى الدّيار وساكنيها، فيقول : **{البسيط}**

ما أومضَ البرقُ من تلقاءِ أرضكمُ إلّا ولي ناظرٌ بالدّمع هطّالُ
ولا تقرّبتُ يوماً مِن ديارِكُم إلّا وداخَلني خوف وإجلالُ[(1)]

ويلمع البرق فيحدث لمعانه أثراً في نفس القاضي الفاضل، فيبعث به رسولاً إلى الأهل والوطن، فيشتعل الحنين في قلبه، إذ يقول: **{البسيط}**

يا لَمْعَةَ البَرقِ، بل يا هبَّةَ الرِّيح رُوحي بجسمِي إلى مَن عندَه رُوحي
خُذِي لهم سَلامي عنبراً عَبِقاً وأوقِدِيه بِنارٍ من تَبَاريحي
ناشدتُكِ الله إلّا كنتِ مُخبِرَةٍ عنِّي بأنهمُ ذِكْري وتَسْبيحي[(2)]

ويثير البرق أشجان ابن النبيه المصري[(3)] وأحزانه، فيحن إلى العقيق، وأيام اللهو والشّباب، فيذوب جسمه شوقاً وحنيناً. **{المنسرح}**

يا بارقاً أذكَرَ الحَشَى حَزَنْه مَنزِلُنا بالعَقيق[(4)] مَن سَكَنه
ومرتع اللّهو يانِعٌ خَضِرٌ أمْ غَيَّرَ الدَّهرُ بَعْدَنا دِمَنَهْ
يا بَرْقُ أشكو عَساكِ تُخبرُهُم وَكلُّ مَن هَامَ يَشْتكي شِجِنَهُ
أسَمِعهُ ذِكْرَ الحبيب مُقترباً فَقَد أصَمّت عُذّاله أذُنَه[(5)]

والبرق باعث للأشجان والأتراح أيضاً عند الملك الأمجد، إذ يقول: **{البسيط}**

أبارقاً شِمته بالغَور لمّاحَا أهَدى لقلبِكَ أشجاناً وَأتراحا؟[(6)]

---

(1) **الديوان**، 163
(2) القاضي الفاضل، **الديوان**، 27/1.
(3) ابن النبيه المصري: هو كمال الدين علي بن محمد بن يوسف بن النبيه الكاتب الشاعر، صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل، توفي في الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة 619هـ ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات** 143/2، وابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 6/**243.**
(4) العقيق: واد لبني كلاب نسبة إلى اليمن لأن أرض هوازان في نجد مما يلي اليمن وأرض غطفان في نجد مما يلي الشام، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 158/4.
(5) ابن النبيه المصري، **الديوان**، 204.
(6) **الديوان**، 104/1.

أما الأبيوردي[1]، لم يكن يظن أن البرق يبعث على النّوى، فقد اتهم القلاص على أنها هي الّتي تبعث على النوى: **{ الطويل}**

ومَا خِلْتُ أنَّ البَرقَ يَكْلفُ [2]بالنَّوى ولَـمْ أتَّهـم إلّـا القِـلاصَ النَّواجِيـا[3]

ومن مظاهر الطّبيعة الأخرى التي وظفها الشّعراء في قصائدهم ليعبروا عن حنينهم ونزوعهم إلى الوطن "الرّيح" فابن مطروح يجد في ريح الشّمال عزاءه، فيحلّفها أن تحمل أشواقه للأحبة والأهل فيقول:**{مجزوء الكامل}**

بـــــاللهِ، يـــــا ريــــحَ الـــــشّمالِ قُـــصّي علــــيهم شـــــرحَ حَـــــالي

وتحمّلــــــــي شَـــــوْقي الّـــــذي يُنْبيــــك عــــن سَـــهرِ الليــــالي

فلعلّهـــــــــــم أنْ يُنْعمـــــــــــوا لـــــــي بالــــــدّنو وبالوصــــــالِ

أو يَبعثـــــــــوا إن هَجَعـــــــــــتُ- علـى النّـوى- طيـف الخيـالِ[4]

ويطلب العماد الأصبهاني[5] من ريح الشّمال أن تبلغ تحياته وسلامه إلى ديار الأحبة، لعلها تخفف عن قلبه شدة الوجد والعشق والهيام، إذ يقول: **{الكامل}**

بـــاللهِ يـــا ريـــحَ الـــشّمالِ تحمّلـــي منّـــي التحيّـــة نحـــوَ ذاكَ المنـــزلِ

خفَّـي علـى حمـلِ الـسّلامِ وخَفِّفـي عــن قلــب صــبٍّ بالــصّبابةِ مثقــلِ

قـــولي لِمـــن شـــغلَ الفـــؤادَ بحبّـــه ويحـــاكَ إنَّ فـــؤادَه ُمنـــه خَلـــي

حلَّـــتْ عقـــودُ دموعـــهِ، وعقـــودُهُ وعهـــودُهُ مَعقـــودةٌ لَـــمْ تحلـــل [6]

---

[1] الأبيوردي: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الرئيس ، أبو المظفر، ولد في أبيورد ، ومات مسموما في أصبهان، شاعر ومؤرخ، وعالم بالأدب من كتبه: "تاريخ أبيورد" والمختلف والمؤتلف"، كانت وفاته سنة، 507هـ، ينظر، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 92/2.

[2] يكلف: يحرص، يتهم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة(كلف).

[3] الأبيوردي، **الديوان**، 121.

[4] ابن مطروح، **الديوان**،168.

[5] العماد الأصبهاني: محمد بن محمد أبو العلاء الأصبهاني يعرف بابن الشرف الدمشقي. اجتمع به العماد بأصبهان،كان أديباً فقيهاً، توفي سنة 597هـ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 6/ 2623، 2624.

[6] العماد الأصبهاني، **الديوان**، 352.

وفي موضع آخر يتمنى ابن الخيّاط[1] أن يمر النّسيم العليل بنجد، ليبلغ الأشواق والحنين للأحبة والأهل،وبذلك يكون قد صنع معروفاً للشّاعر،وإنْ هبّ ذلك النّسيم برائحته الطّيبة من ديار هند، سيكون الشاعر سعيداً بذلك:**{الخفيف}**

يــا نــسيمَ الــصَّبا الولُــوع بوَجــدي	حبّـــذا أنـــتَ لـــو مَـــرَرت بِنَجـــدِ
أجـر ذكـري نَعمـتَ وانعـت غرامِـي	بـــالحمى ولـــتكن يـــدا لـــك عنـــدي
ولقَـــد رابنـــي شـــذاك فباللّـــ	ـــهِ متـــى عَهـــده بـــأطلال هنـــدِ
إن يكُـــنْ عَرْفهـــا امتطـــاك إلينـــا	**فَلَقْـــد** زُرتَنـــا بأســـعدَ سَـــعْدِ[2]

[1] ابن الخياط: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي ولد بدمشق سنة 450هـ، وكان أبوه خياطاً، فنسب إلى مهنته، وكانت وفاته سنة 517هـ، ينظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، 56/2.
[2] ابن الخياط، **الديوان**، 104.

7-الآثار والدّمن والرّسوم.

وجد الشّاعر في آثار الوطن بعداً واقعياً وجهه وجهة رمزية وأضفى عليه أحاسيسه، فأدى الغرض في تجسيد تجربته الشّعرية بعمق ووضوح يغذيهما الشّوق إلى استعادة الحياة الماضية في المنازل والدّيار، فرثى الشّاعر مظاهر الاندثار ليعبر عن لوعة الفقد، وحاجته الملحة إلى الجماعة الّتي أحس في ظلها وجوده[(1)] ويحرص الإنسان على أن يؤكد وجوده عن، وذلك لأن حالة الإحساس بالغربة تجسد في الذّات الإنسانية هواجس الموت ومشاعر الانقطاع، وربما كان هذا الدافع الّذي يختفي وراء ظاهرة الخلود الّتي عاشت في نفس الإنسان، وهذا ما دفع بالشّعراء أن يصفوا تجربتهم مع الآثار والدّمن وبقايا الأطلال التي ترمز إلى البقاء والخلود، لأن الخلود صوت من أصوات الحنين ولون من ألوان الحياة[(2)]، وقد نهج الشّعراء الزّنكيون الأيوبيون نهج السابقين فتحدثوا عن الدّيار الدّاثرة والدّمن البالية الّتي أضحت مقفرة من أهلها. يقول ابن السّاعاتي: **{الرّجز}**

إنّ الــــدّيارَ كالجُـــسوم أصـــبحت   موحـــشةً الأرجَـــاءِ مـــن ســـكّانِها[(3)]

ويتحسر سبط بن التّعاويذي على ما ألم بالدّيار من إقفار وخلاء فلم يبق سوى بقايا الدّمن والآثار، فالإقفار يحرك لواعج الشّوق والحنين إلى الدّيار وأهلها، كما أنه يجسد لوعة افتقاد الماضي، فعفاء الطّلل رمز لتبدل الزّمان، وانقلاب الأحوال، كما أنه يرمز إلى الاغتراب والبعد، وهذا ما يزيد من حزن الشّاعر وألمه على ما حل بالمنازل الّتي غدت آثاراً ورسوماً دارسة، وغابت عنها مظاهر الحياة والسّعادة والسّرور :**{البسيط}**

لـــمْ يَبْـــقَ فيـــكَ لمُـــشتَاقٍ إذَا وقَفَـــا   إلّـــا ادّكـــارُ رُسُـــومٍ تَبعَـــثُ الأسَـــفَا
وَنَظـــرةٌ رُبّمـــا أرْسَـــلتُ رَائِـــدَها   والطّـرْفُ يُنكـرُ مـن مَغنَـاكَ مَـا عَرَفـا
يـــا منـــزلاً بـــاللّوى أقْـــوى مَعَالمُـــهُ   لَـمْ يَعـفُ وَجْـدي عَلـى سـكّانهِ وَعَفـا
لـولاكَ مـا هَـاجَني نَـوْحُ الحَمَـام وَلَـا   هَفَـــا بـــيَ البَـــرقُ عُلويّـــاً إذا خَطَفَـــا
أعَائِـــدٌ وَأحَاديـــثُ المُنِـــى خُـــدَعٌ   علـى الغَـضَا زَمَـنٌ مِـن عَيْـشِنا سَـلَفَا

---

(1) ينظر: حبيب ،وهران محمود، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، 95، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.

(2) ينظر: إبراهيم، صاحب خليل، **الغربة في الشعر العربي قبل الإسلام**،24،رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.

(3) **الديوان**، 134/2.

هَيهـاتَ أن تَخلـفَ الأيّـام مـن عُمـري   شَـــبيبةً فـــيكُمُ أنفَقتُهَـــا سَـــرَفَا[1]

وتهيّج معارف الرسوم فؤاد الملك الأمجد، وأية رسوم تلك؟ إنها ديار الأحبة، الّتي قضى فيها الشاعر أياماً جميلة، فرسم الشّاعر صورة واضحة للمرابع الّتي عفى عليها الزّمان، ومحت ريح الجنوب آثارها ومعالمها، وغيرت دمنها الّتي قضى فيها الشّاعر مآربه وشبابه، ولعل الشّاعر من خلال مقطوعته الشّعرية هذه يريد أن يضفي عمقاً إيحائياً يحكي المعاناة الّتي يعيشها، فهو يمعن في إظهار الحزن والتألم على أيامه المنصرمة، وشبابه الذّاهب، فيقول: **{الكامل}**

عفّـــى الزمـــانُ مَرابعـــاً وملاعِبـــا   كانـــــتْ إلـــــيّ بـــــأهلهنَّ حبائِبـــــا
طمـسَتْ معالِمَهـا الجنـوُبُ وغيَّـرتْ   دِمنـــاً بهـــا قـــضَّى المـــشوقُ مآرِبـــا
دَمنـــاً أســـوفُ تـــرابهنَّ كـــأنّني   أســـتافُ فـــي أرجِ الـــصَّعيدِ ترائبـــا
قَــد كَــانَ وَصــلكِ والتَّــداني جَـامعٌ   شـــملَ الهـــوى- ردَّ الـــشّبابَ الـــذّاهبا
حتّـــى تعرَّضـــتِ النّـــوى مـــا بَيْننـــا   والـــدّهرُ يُحـــدثُ فـــي بنيـــهِ عَجائبـــا[2]

ويقول أيضا :**{الطويل}**

عَفـا منــزلٌ قَـد كــانَ للغيـدِ مألفـا   فـــسقَّيته دمعـــي أســـىً وتلهُّفـــا
إذا مـا الغمـامُ الجَـونُ ضَـنَّ بمائِـه   تَـــدفّقَ لا يختـــارُ أنْ يتكفكفـــا
منـازلُ أنـسٍ قـد كـستْها مَـدامعي   غـداةَ ذوتْ روضـاتُها الفِـيحُ زُخرُفـا
فيـا صـاحبيَّ اليـومَ عوجـا بربعِـه   فقـد كـانَ بـردُ اللَّهـوِ فيـه مُفَوّفـا[3]

ومن الشّعراء من عاهد الرّسم أن يشاركه الضّعف والهلاك، فالشّاعر يخشى فناء الطّلل واندثاره، ويظهر هذا مدى رغبته في صمود الرّسوم في وجه الزّمان، كما أنه يشير إلى حالة وجدانية يعيشها الشّاعر، فهو يتأرجح بين الرّغبة في بقاء المنازل

---

(1) سبط بن التعاويذي، **الديوان**، 291.
(2) الملك الأمجد، **الديوان**، 166.
(3) نفسه،240،241.

والتّخوف من زوالها[1]، وذلك لأن إدراك الشّاعر للفناء يدفعه للإحساس بالغربة الدّائمة، فالشّاعر حريص على إحياء الطلل.

يقول العماد الأصبهاني: **{الكامل}**

رَســـــمٌ علـــــيَّ لـــــذلك الرَّســـــم   أنِّـــــي أقاســـــمُهُ ضَنَـــــى الجـــــسمِ[2]

وفقد أسامة بن منقذ الأمل بجمع الشّمل واللقاء بالأهل والأحبة، وذلك لأن الدّيار درست وأوحشت من أهلها، فهي قفراء خالية لا أمل يرتجى منها، إذ يقول: **{الكامل}**

يـــا لّيـــتَ أن ديارَنـــا كانـــت كـــذا   طـــوراً تفرِّقنـــا وطـــوراً تجمـــعُ
لكنهـــا دَرَسَـــت وأوحَـــشها الـــرّدى   مـــن أهلهـــا فهـــي القِفـــار البلقـــعُ
لا يُرتَجَـــى لهـــم إيـــابٌ جـــامع   لِـــشتاتِهم حتـــى يَـــضُمُّ المجمـــعُ[3]

ويرى ابن الخيّاط أن الوقوف على بقايا الدّار ورسومها لا يعني شيئاً، وما هو إلا شوق وحنين لتلك الدّيار وساكنيها: **{البسيط}**

هـي الـدّيارُ فَعـجْ فـي رسـمِها العـاري   إن كـــانَ يُغنيـــكَ تعـــريجٌ علـــى دارِ
إنْ يَخْـلُ طَرفـك مـن سـكّانها فبهـا   مـا يمـلأُ القلـبُ مـن شـوقٍ وتـذكارِ[4]

---

(1) ينظر: حبيب محمود، وهران ، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، 95، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين دمشق، 2003م.
(2) **الديوان**، 394.
(3) أسامة بن منقذ، **المنازل والديار**، 8 ، لم أعثر على الأبيات في ديوان الشاعر.
(4) ابن الخياط، **الديوان**، 154.

ثانياً: شعر المكرهين، ومنهم.

من الموضوعات الّتي تناولها شعر الحنين حنين المكرهين، وذلك لقدرته على تصوير ما يكتنف الشّاعر من إحساس بالظّلم والقهر، فقد ابتعد عن وطنه مجبراً ومكرهاً، وهذا يعمق فيه الإحساس بالغربة المريرة المظلمة.

والمكرهون " هم الّذين أجبرتهم ظروفهم الاضطرارية على مغادرة ديارهم والارتحال عنها إلى غيرها، رغم تعلقهم بها وحبهم الشّديد لها، لكنهم يتركون أوطانهم كرهاً أو يجبرون على ذلك قسراً وجبراً، فينتزعون من ديارهم انتزاعاً ويغادرونها رهبة لا رغبة، لا يتذوقون في غربتهم غير المرارة والحسرة، فلا تلذ لهم إقامة ولا يطيب لهم مأوى وسكن وهم مبعدون عن ديارهم، وأهلهم قسراً وجبراً.... فهم في حنين دائم وشوق متصل للأهل والأحبة والدّيار"[(1)].

وعند البحث في حنين المكرهين في شعر شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي، يستطاع القول إن هذا الموضوع لم يشكل ظاهرة بارزة في شعر هذا العصر، وإن نفى بعض الشّعراء، وسجن بعضهم الآخر، وفر آخرون من بلادهم لأسباب مختلفة.

يُقسّم المكرهون في هذه الدّراسة إلى قسمين، هما:المنفيون أو المطرودون، والمسجونون أو النّازحون.

1-المنفيون أو المطرودون.

كان النّفي والطّرد من مكان ما، أو الوطن كله من الطّرق الّتي اتخذها الحكام والخلفاء للتّخلص من شخص يشكل في نظرهم خطراً على حكمهم وعلى أبنائهم من بعدهم، لهذا يمكن القول إن الأسباب السّياسية هي الأسباب الرئيسة وراء طرد الشّعراء من بلادهم، وممّن قال في الحنين مكرهاً جرّاء الطّرد أو النّفي السياسي.

1-**أسامة بن منقذ.**

فقد طلب منه عمه أن يرحل من شيزر[(2)] لما كان يرى فيه من المزايا الّتي تؤهله للرّئاسة والحكم[(3)]، فشعر أسامه بغيرة عمه فغادر شيزر مكرهاً ومجبراً، وهذا الإبعاد زاد من حنينه إلى أهله ووطنه وأحبائه وأصدقائه، فقال شعراً عبر فيه عن تجربته المريرة بالغربة.

(1) الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 339، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بألام قرب المعرة، في وسطها نهر عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص وهي قديمة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 434/3.

(3) ينظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، 90/8، 91.

فقد حنَّ أسامة بن منقذ إلى الأهل والأحباب والأصحاب عندما نفي من بلاده، وحنين أسامة حنين صادق يصدر عن قلب جريح موجع، فيقول: **{ الطّويل}**

أألحبَابَنا،مـــا أشـــتكي بَعـــد بُعـــدكمْ سِـــوى أنّنـــي بـــاقٍ، ولبّـــي حاضـــرُ
ومــا هكــذّا يَقِـضي وفَــائي، وإنّمــا جَـــرَتْ بهواهـــا لا هَـــوايَ المقـــادِرُ
وقـــد كـــان للبَـــين المُـــشتِّ أوائـــلٌ ولـيس لــه، حتّــى الممــاتِ، أواخــرُ[(1)]

فأسامة يرى أن هذا التّرحال لن ينتهي إلا بانتهاء حياته وموته، وكأنّما كتبت عليه حياة الفراق والحنين.

وحياة التّرحال هذه فرضت على الشّاعر الحنين الدّائم، فكلما شعر بالأنس في مكان ما شد رحاله من جديد وارتحل مفارقاً أحبته ثم تذكرهم فحن إليهم، وامتلأ قلبه بالحزن والأسى، فهو لا يشعر بالسّعادة لأنه أصبح بلا وطن ولا أحباب[(2)]: **{الكامل}**

أيـنَ الـسّرورُ مــن المــروَّع بــالنَّوى أبـــدًا، فَـــلا وَطـــنٌ، ولا خُـــلاَّنُ
عِيـــدُ البريَّـــةِ مَوســـمٌ لِعَويلـــه وسُـــرورُهُمْ فيـــه لـــهُ أحـــزانُ
وإذا رأى الـشَّملَ الجميـعَ تَزاحمــتْ فـــي قلبـــه الأمـــواهُ والنّيـــرانُ[(3)]

ويظهر أسامة لوعة وحزناً فهو سيبقى مغترباً طوال العمر، بعيداً عن الأهل والوطن: **{البسيط}**

أهكــذا أنَـــا، بـــاقي العمــر مُغتــربٌ نــاءٍ عــن الأهـلِ والأوطــانِ والـسَّكنِ
لا تَـــستقرُّ جِيَـــادي فـــي مُعَرَّسِـــها[(4)] حتـــى أروعهـــا بالـــشّدّ والظّعـــنِ[(5)]

حلت المصائب بأسامة فزادت من آلامه وأحزانه وفرضت عليه الوحدة والاغتراب، فراح يتألم من حاضره الّذي يعيشه، فقد غدا دون أنيس أو معين، ولا وطن يحتويه، إذ يقول: **{الطّويل}**

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 74.
(2) ينظر: سليمان، رولاناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 191، رسالة ماجستير،دمشق (د.م)، (د.ت).
(3) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 74.
(4) المعرّس: البيت، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عرس).
(5) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 104.

وقـد أفْردتنِـي الحادثـاتُ، فَلَـيس لـي أنـيسٌ ولا فـي طَـارقِ الخطـبِ أعـوانُ
كـأنّيَ مِـن غيـرِ التُّـراب، نَبَـتْ بـيَ الــ بـلادُ فمـا لـي فـي البَـسيطةِ أوطـانُ[1]

" وحينما يعيش المرء وحيداً تأخذه أفكاره في كل الاتجاهات، كما تنشط ذاكرته في ساعات الوحدة، فيتذكر الأهل والأحبة والأصدقاء، ويذكر أيضاً الأهوال والمصائب الّتي مرت في حياته، فتصبح الذكرى مبعث ألم وحزن، فإذا تذكر الأهل المفقودين تدفق دمعه بغزارة شوقاً وحسرة"[2] يقول: **{الكامل}**

فــإذا ذكـــرتُهُم عَرَتْنـــي حـــسرةٌ تَمــري ســحائِبَ دمعــيَ المُتبــادرُ[3]

والتّذكار يبطل الصّبر ويزيد الأشواق فيهيجها، ويجعل المرء أكثر حزناً وحنينا ويقول أسامة بن منقذ: **{الطّويل}**

تظنُّـــونَ أن الـــصَّبرَ يُنجـــدُ بَعـــدكم علـى بُعـدِكُم، هَيهـاتَ، صَـبري غَـرّارُ
إذا عـــنَّ ذِكـــراكُم عرَتْنـــيَ سَـــكرةٌ كـــأنّي سَـــقاني البابليّـــة خمّـــار[4]

وأقام أسامة مقارنة بين ما كان عليه من ماض مشرف وبين ما هو عليه في حاضره من ذل وضعف فهو من آل منقذ، وهم ذو مجد عريق بموتهم يشعر أسامة بأنه فقد عزه ومجده: **{البسيط}**

يــا دارُ أنــتِ الّتــي كــان الجميـعُ بهــا وكـــان فـــي رَبْعِـــك الوُلـــدَانُ والحَـــشَمُ
وكنـــتِ للـــضَّيفِ والعـــافينَ مُرْتبَعـــا يقتـــادُهُم نحـــوَكِ الِـــإكرامُ والكـــرَمُ
أصبحتِ قفراً، وأضحى أهلُكِ افترقوا أيـدي سبَا، وانثنَـتْ عـن قَصْدِكِ الهمَـمُ
ما أعَجَبَ الدّهرَ!عيشُ النّاس أجمعِهم إن ســرَّهُم صَــرْفُه أو ســاءَهم-حُلُــمُ[5]

وعلى الرغم من ألم أسامة وحزنه لما لقيه من عمه من نكران وجحود، إلا أن نفيه وارتحاله لم يحطّ من قيمته وقدرته بل رفع من منزلته وزاد من همته، ويتساءل هل ارتحاله عن بلاد تنكرت له ولأمثاله هل لساكنيها فخر[6]؟ **{الطّويل}**

أظـــنَّ العِـــدَا ارتحـــاليَ ضـــائِري ضــلالاً لمــا ظنُّــوا، وهـل يكـسدُ التبـرُ

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 105.
(2) سليمان ، رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 195، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت)
(3) أسامة بن منقذ، **المنازل والديار**،27، لم أعثر على البيت في الديوان.
(4) **الديوان**،69.
(5) أسامة بن منقذ، **المنازل والديار**، 304،.305.
(6) ينظر: الألوسي، **جمال الدين أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية**، 34.

وما زادني بُعدي سِوَى بُعدِ همَّةٍ كما زاد نُورا في تباعُدِهِ البدرُ
ولو كان في طول الثَّواءِ فضيلةٌ لما انتقلتْ في أفقِها الأنجمُ الزُّهْرُ
ولو لَزِمت أغمادَها البيضُ ما انَجلتْ بها غمراتُ الحربِ ، واتّضح النَّصرُ
وهَلْ في ارتحالِي عن بلادٍ تنكَّرتْ لِمثلِيَ أو للسّاكِنينَ بها فَخرُ
وإنّ بلاداً ضاق عنّي فضاؤُها لا رحَبُ من أكنافِها للعُلا فِترُ[1]

إن المرء عندما يغترب ويقيم في بلد غير بلده إقامة جبرية، يضيق صدره فيسأم حياته ويشعر بالنّقمة على نفسه، فيشكو الأقدار الّتي دفعت به إلى هذا البلد، وهذا ما حل بأسامة بن منقذ الذي شكا إقامته بمصر[2]، فقال: **{البسيط}**

يَا مصرُ ما دُرتِ في وهْمي،ولا ولا أجَالَتْك خَلَواتي بأفْكاري
مَّا أنتِ أوّل أرضٍ مسَّ تُربتها جسمي ولا فِيكِ أوطاني وأوطَاري
لكن إذا حمَّتِ الأقدارُ كان لها قُوىً، تُؤَّلف بين الماءِ والنّارِ[3]

2- أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين.

فقد كان هجّاءً وبلغت به الجرأة مبلغاً بعيداً حتى تعرض لصلاح الدين[4] قائلاً: **{المنسرح}**

سُلطانُنا أعرجٌ وكاتبُهُ ذو عَمَشٍ والوزير مُنحدِبُ[5]

فضجر منه النّاس وضاقوا به ذرعاً، وأخذ أحد المقربين من السّلطان صلاح الدّين الأيوبي يحرضه على نفي ابن عنين، حتى أمر صلاح الدّين بنفيه من دمشق بسبب وقوعه في النّاس[6]، فلما خرج منها قال شعراً يتساءل فيه عن أسباب النّفي، إذ لم يقترف ذنباً، ولم يخن يوماً، بل قال الحقيقة، فلينفوا المؤذن معه؛ لأنه أيضاً يقول الحقيقة :

(1) أسامة بن منقذ،**الديوان**،200.
(2) ينظر: الآلوسي، جمال الدين، **أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية**، 43.
(3) أسامة بن منقذ،**الديوان**،75.
(4) ينظر: اليافعي، **مرآة الزمان**، 1696/8، وابن أبي عذبية، **إنسان العيون**، 298.
(5) ابن عنين،**الديوان**، 210.
(6) ينظر: ابن أبي عذيبة، **إنسان العيون**، 298.

{ الكامل }

فَعَـــــلامَ أبعـــــدتُمْ أخـــــا ثقـــــةٍ   لـــــم يَجتـــــرمْ ذنبـــــاً ولا سَـــــرَقا
انفــــوا المــــؤذّنَ مــــن بلادكُــــم   إنْ كـــانَ يُنفـــى كـــلُّ مَـــنْ صَـــدقا[1]

لم يجد ابن عنين في رحيله وتنقله بين الممالك الإسلامية ما يخفف عنه ألم الغربة فبدأ يشعر بالنّدم على ما ذهب منه، وأيقن أن ملوك بني أيوب ألين جانباً وأرحب صدراً[2]، فقال قصيدة يذم فيها الأعاجم ، وأظهر ما في نفسه من مشاعر النّدم: **{ الوافر }**

أحــــنُّ ومــــن وراءِ النّهــــرِ داري   حنــــينَ العَــــود أوثَقــــه العِــــراسُ[3]
فَبانــــتْ عنــــه شِــــرَّتُه ولانــــتْ   عريكتُــــهُ وكــــان بــــه شِــــماسُ
بــــأرضٍ لا الكــــلابُ بهــــا كــــلابٌ   ولا النّــــاسُ الــــسَّراةُ هنــــاك نــــاسُ
لهــــم حمــــلٌ بوعــــدك إن أرادوا   جمــــيلاً لا يَكــــونُ لَــــهُ نِفــــاسُ
فكيــفَ تبيــتُ تطمــعُ فــي مــديحي   رجــــاءَ نَوالهــــا العجــــمُ الخِــــساسُ
إذا طَمْــــعٌ كــــسا غيــــري ثِيابــــاً   يَــــذّلُّ بهــــا كــــساني العــــزَّ يــــاسُ[4]

ومن المعروف أن النّفي يسبب الضجر والملل، فقد ملّ ابن عنين غربته الكريهة ووحدته القاسية، إذ لم يندمج مع البلاد الجديدة الّتي يقيم فيها، فقال يدعو على الهند ويتمنى لها السّقيا بالصّواعق والدّماء، بدلاً أن يدعو لها بالخير: **{ الكامل}**

وإذا سَــقى اللهُ الــبلادَ فــلا سَــقى   بلــدَ الهنــودِ سِــوى الــصَّواعقِ والــدّما
قــد غيَّــرتْ غِيَــرُ الليــالي كــلَّ حــا   لاتــي؛ وَشَــوقي والغــرامُ هُمــا هُمــا[5]

(1) ابن عنين، **الديوان**، 94.
(2) نفسه، مقدمة المحقق،7.
(3) العراس: الحبل الذي يعرس به البعير، أي يشد من عنقه إلى ذراعه، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (عرس).
(4) ابن عنين، **الديوان**،32،33.
(5) نفسه، 79

ويساور ابن عنين في الهند رغبة في العودة إلى بني أيوب واسترضائهم، بعد أن أغضب سيدهم صلاح الدّين: **{الوافر}**

وَلَــو أنّــي مــدحتُ ملــوكَ قــومي تراغَــتْ حَــوليَ الــنَّعم الــدِّخَاسُ[1]
فــإنَّ النّــاسُ فــي طُــرقِ المعــالي لهـــم تَبَـــعٌ وهـــم للنّـــاس راسُ
ملـــوك دأبُهـــم شـــرفٌ ومجـــدٌ ودأبُ ســـواهمُ طـــربٌ وكـــاسُ
فلـــولا آلُ أيـــوبَ بـــن شـــاذي لكـــانَ لمعهـــدِ الجـــودِ انـــدراسُ[2]

وقال يتشوق إلى دمشق، ويدعو لأهلها بالعزة والقوة وإن لم يحفظوا عهده، وكان سبب نفيه وإبعاده عن وطنه: **{الطّويل}**

رعــى اللهُ قومــاً فــي دمــشقَ أعــزةً علــيَّ وإنْ لم يَحْفظـوا عَهـدَ مـن ظَعـنْ
أحبّــة قلبــي فــي الــدُّنوّ وفــي النَّــوى وأقصى أماني النَّفْسِ في السّر والعلنْ
أناسًــا أعــد الغــدرَ مــنهم بــذمتي وفــاءً وألقــى كــلَّ مــا ســاءَني حــسنْ
وكمْ فوَّقوا نحوي سِهاماً على النَّوى فأصْمتْ فؤادي واعتددتُ بها منن[3]

وهكذا يصور شعر المنفيين معاناة الشّاعر في غربته، وشعوره بالألم والحسرة بعد أن فارق الأهل والأصحاب مجبراً على ذلك، وهذا ما زاد من مرارة الغربة وقسوتها عليه، وهو يتواصل مع الأهل والأحبة وإن بعد عنهم، لأنه يتواصل معهم بروحه لا بجسده، كما أنه يعبر عن شعور المنفي بالتّضجر من العيش في بلاد غريبة لم يألف العيش فيها.

(1) الدّخاس: الكثير، ينظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (دخس).
(2) ابن عنين، 33.
(3) نفسه، 77.

2-المسجونون أوالنّازحون.

يشكل الأسر والحبس اتجاهاً واضحاً في شعر المكرهين وحنينهم، وتعدُّ هذه التّجربة المريرة مثيراً كافياً لإثارة الأحاسيس، وإشعال العواطف، بالإضافة إلى الألم النّفسي والجسمي، وما أكثر آلام المحبوسين، وما أوسع فراغهم على ضيق سجنهم فترى الشّاعر الأسير حزيناً ؛ لأنه مكره على الإقامة[1].

وبما أن السّجن شيء بغيض، والمسجون مصادر الحرية مكره الإقامة محصور في مكان ضيق لا يلقى فيه سوى المعاملة القاسية الفظة من السّجان، وهذه الأشياء جميعها تعزز النّفس القلقة في الشاعر فتدفعه إلى البحث عن وسيلة تخفف من آلامه وأحزانه، وما هذه الوسيلة إلا أن يقول شعراً يعبر فيه عن تجربته المريرة ومعاناته في السجن[2].

لهذا تناول بعض الشّعراء في العصرين الزّنكي والأيوبيّ تجربة السّجن في أشعارهم، فتحدثوا عن تلك التجربة الّتي مروا بها، وما تركته في نفوسهم من آثار سلبية، ومن الشّعراء الّذين تم حبسهم:

1- **المهذب بن الزبير**، إذ قبض عليه شاور[3]، وحبسه وذلك بسبب اتصال أخيه الرّشيد[4] بالملك صلاح الدّين يوسف بن أيوب[5].

وكانت تجربة المهذب بن الزّبير في الحبس تجربة مريرة قاسى خلالها آلاماً جساماً، فلا غرابة أن يتغير سلوكه فيجافي النّاس، ويسيء الظّن بهم، بل يفقد الثقة بهم،قال: **{البسيط}**

تـشابَهَ النّــاسُ فــي خَلْـقٍ وفــي خُلُـقٍ　　تـشابُهَ النَــاسِ والأصـنامِ فــي الـصُّورِ
ولـم أبِـتْ قـط مـن خَلْـقٍ علـى ثقـةٍ　　إلّـا وأصْـبحتُ مـن عقلـي علـى غَـرَرِ
فمــا أُصــدِّقُ لا سَــمْعي ولا بَــصَري　　لا تَخْـــدَعنَّي بمرئـــــيٍّ ومُـــــستمعٍ

---

[1] ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، **الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 374،رسالة دكتوراة،جامعة القاهرة، 1979م.

[2] ينظر: الحمداني، هادي، **شعر السجون والأسر في الأدب العربي**، 36، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ع13، 1970م.

[3] شاور: هو شاور بن مجير السعدي، وزير الخليفة العاضد الفاطمي، كان جباراً عنيداً مستبدا وكان ابنه الكامل شجاع بن شاور بعد أن قتل والده سنة 564هـ، ينظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**، 220/1.

[4] القاضي الرشيد: أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري يلقب بالقاضي الرشيد وكنيته أبو الحسين ، مات في سنة 562هـ، كان كاتباً وفقيهاً نحوياً لغوياً مؤرخاً، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**،400/1.

[5] ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 942/2.

وكيــف آمــنُ غيــري عنــدَ نائبــةٍ   يوماً إذا كنتُ من نفسي على حَذَرِ؟!(1)

وكتب المهذب بن الزّبير للملك الكامل بن شاور يستعطفه ويبين مقدار ما يعانيه من شقاء وغربة في سجنه حتى أصبح لا يدري أطرفه ساهر أم نائم على طول ليله، واستطاع المهذب أن يجذب عواطف الملك الكامل حين أطلق عليه لقب "ملك الدّنيا" فهو يملك الدّنيا بأسرها، وبيديه العفو والصّفح، فلا ملجأ له سواه، ولا شكوى إلا له، ولا عفو إلا منه: (2) **{ الطّويل}**

أيــا صــاحَبيْ ســجنِ الخِزانــةِ خَليــاً   مــن الــصُّبح مــا يبــدُو سَــناهُ لِنــاظري
فَــو اللهِ مــا أدْري: أطرفَــيَ سَــاهرٌ   على طولِ هذا الليلِ، أم غيرُ ساهرِ؟!
ومـا كنـتُ أخـشى قبـل سِجْنكما علـى   دمــوعيَ أن يقطُــرْنَ خــوفَ المقــاطِرِ
ومــاليَ مَــنْ أشْــكُو إليــه أذاكمــا   سِوى مَلِكِ الدّنيا، شجاع بن شاورِ(3)

ويستعطف المهذب بن الزّبير إلى حارسي السّجن راجياً منهما أن يسمحا لكبده بنسمة من ريح وأن يبشراه ببراءته فقد ملّ السجن وعذاباته،قال: **{الطّويل}**

أيــا صــاحِبَيْ ســجن الخِزانــةِ خَلّيــاً   نـسيمَ الـصَّبا يُرسِـلْ إلـى كبـدي نَفْحـا
وقـولا لـضوءِ الـصُّبح هَلْ أنـتَ عائِدٌ   إلـى نَظـري، أم لا أرى بعـدها صُبْحا؟!(4)

و يتلطف المهذب في استعطاف الملك الكامل، بل يبالغ في استعطافه، حين يقول: **{الطّويل}**

لا تَيئَــسا مــن رحمــة اللهِ أنْ أرى   سـريعاً بفضل الكاملِ العفوَ والـصَّفْحا
فــإن تحبــساني فــي النُّجــومِ تَجَبُّــرًا   فلـن تحبسا منِّـي لـه الـشّكرَ والمَدحا(5)

(1) المهذب بن الزبير، **الديوان**،197.
(2) ينظر: نفسه، مقدمة المحقق، 3.
(3) نفسه، 195.
(4) نفسه، 182.
(5) نفسه، 183.

2- العماد الأصبهاني، فقد صدر أمر باعتقاله، فبعث من سجنه قصيدة طويلة إلى الوزير عضد الدّين محمد[1] استاذ الدّار[2] يطلب فيها أن يشفع له الخليفة في فك وثاقه وإطلاق سراحه[3].

وفي القصيدة نفسها يشكو الشّاعر ألم السّجن والبعاد عن الأحبة والوطن،فهو يحنُّ شــوقاً إلى محبوبته، يقول العماد الأصبهاني: **{الكامل}**

لــو كنــتَ تعلــمُ منتهــى بُرَحائــه	حابَيـــتَ إبقـــاءً علـــى حَوْبائـــهِ
ولكنــتَ تتــركُ فــي الغــرام ملامَــهُ	كــيلا يزيــدَ اللّــومُ فــي إغرائــهِ
لا تنكــرِنْ ضــحكي، أُريــكَ تجلُّــداً	ضَــحك الحيــا بــالبرقِ عــينُ بكائــهِ
مــا كنــتُ أعلــمُ دمــعَ عينــي مفـشياً	سِــرّاً لهــم أشــفقتُ مــن إفــشائهِ
حتّــى جـرى فــي الخـدِّ منـي أسْـطُراً	فعرفـــتُ أن الـــشّوقَ مـــن إملائـــهِ
ما كان أعذبَ بالعذيْب[4] لدى الصَّبا	عيـــشاً أمنـــتُ فنـــاءَهُ بفنائِـــه[5]

وينتقل من الحنين والشّــوق إلى مدح عماد الدّين بن محمد عضد الدّولة، فيمدحه بالسّخاء والكرم، متوسلاً إليه أن يفك أسره ليعود إلى الأهل والأحباب: **{الكامل}**

إذا قاســمهُ مــاءُ العُــذيبِ، وأهلُــه	فــي العــزَّ تحــسدُهم نجــومُ سَــمَائِهِ
والحــيُّ شــمسُ الأفـقِ تَخْبَــأُ وجههـا	منــه حيــاءً مــن شــموسِ خبائِــهِ
أيّـــامَ لـــم أبـــصرْ جمـــيلاً فـــيهم	إلّـــا وفـــاءً إلـــى جَميـــلِ وفائِـــهِ[6]

ويفر الشّاعر من وطنه مجبراً لأسباب اضطرارية مختلفة، فقد يكون هجا الحاكم أو المقربين منه، أو بفعل مؤامرة تحاك ضده، وإما نتيجة لمشاكل داخلية تعاني منها بلاده، وهذه الأسباب جميعها دفعته إلى النّزوح والبحث عن مكان آخر يجد فيه الاستقرار والأمان، وخلال نزوحه وإقامته في بلد آخر يتقرب من الطبقة الحاكمة ليحصل على مركز مهم. ويتضح من خلال البحث والدّراسة أنه لم يكن هنالك حضور واضح لشعراء نازحين، هربوا من أوطانهم خوفاً على أنفسهم، منهم:

---

(1) عضد الدين محمد: عماد الدين علي بن الوزير عضد الدين محمد بن محمد بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ، ينظر: **الخريدة**، قسم الشّام،166/1.
(2) أستاذ الدار: هو متولي الأخذ وقبض المال، ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، 457/5.
(3) ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 184/5.
(4) العذيب: ماء بين القادسية والمغشية، وقيل موضع بالبصرة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،103/4.
(5) **الديوان**، 66.
(6) نفسه، 66، 67.

1- ابن القيسراني.

فقد هرب من دمشق على أثر اتهامه بهجاء صاحبها، متوجهاً إلى حلب الّتي كانت بحوزة عماد الدّين الزّنكي[1]

ولكن مما يلاحظ على ابن القيسراني أن حنينه كان منقسماً بين الحنين إلى دمشق الّتي فرَّ منها، وبين بغداد التي سافر إليها وأقام فيها.

ومن المقطعات الشّعرية الّتي حنّ فيها إلى دمشق والشّام، قوله: **{ الوافر}**

مرَرَنـــا فـــي ديـــارِ بنـــي عَـــديّ "يُجـــاذبُ" لَـــوْعَتي شَـــرقٌ وغَـــرْبُ
"يتيَّمُنـــي" بـــأرضِ الـــشّام حُـــبٌّ "ويَعْطفنـــي" علـــى بغـــدادَ حُـــبُّ[2]

وقال متشوقاً إلى دمشق والغوطتين وتادفٍ الّتي جمع في صورته لها بين القمر والشّمس، معبراً عن سروره بما رأى بعينه ليخفف من لوعة أشواقه وحنينه إلى الشّام: **{ مجزوءالكامل}**

مَـــا زلـــتُ أخـــدعُ عـــن دِمـــشـ ـــــقَ صــــبابتي بـــــالغَوْطتَينِ[3]
حتّـــــى مــــررتُ بتـــــادِفٍ[4] فكـــــــــأنّني بـــــــــالنَّيِّرَيْنِ[5]
ورأيـــــتُ مـــــا قـــد كنـــتُ آ ملُــــــهُ بأشــــواقي بعَيْنــــــي[6]

---

[1] ينظر:الصفدي، الوافي بالوفيات،12/5.
[2] ابن القيسراني، **الديوان**، 84.
[3] الغوطتان: مثنى الغوطة، وهي الكورة التي منها دمشق، استدراتها ثمانية عشرة يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شمالها، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 249/4،238.
[4] تادف: موضع نزه كثيرة المياه والأشجار بوادي بطنان بين منبج وحلب، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 447/1.
[5] النيران: النير الأصغر هو القمر، والنير الأكبر هو الشمس، ينظر: الأمين، يحيى، **معجم الألفاظ المثناه**، 479، والمحبي، **جنى الجنتين**،24.
[6] ابن القيسراني، **الديوان**،414.

وقسّم ابن القيسراني لوعته وشوقه الملتهب بين دمشق حيث الأهل والأحبة، وبغداد الّتي يقيم بها، يقول: **{السّريع}**

أقمـــــتُ بالأنبـــــار[1] ذا لوْعَـــــةٍ مقـــــــسومةٍ بـــــــينَ حَبيــــــــبَيْن

أشـــتاقُ " أهلـــي" بدمـــشقٍ وفـــي بغـــــدادَ حَـــــظُّ القَلْـــبِ والعَـــيْن

ففـــــي لِقـــائي ذا فِراقــــي لِـــذا قُــلْ لــي متــى " أخْلــو" مــن البَـيْن[2]

2-عمارة اليمني[3].

فقد اضطر إلى النّزوح عن وطنه، الّذي كان فيه ذا شأن رفيع، وأحد أعلامه إلى وطن آخر لا شأن له فيه إلا شأن الضّعيف الغريب، فقد هاجر إلى مكة؛ ليخدم شريفها، ثم إلى مصر من أجل وطنه اليمن الّذي لمس فيه بوادر الفتن، فالفتن حلت في سائر أصقاع اليمن، كما أنه أحس بانهيار الأوضاع [4]، وكتب وهو في مصر قصيدة إلى صلاح الدين الأيوبي وصف فيها حاله، ويقول فيها: **{الطّويل}**

أيـــا أذنَ الأيّـــام إنْ قلـــت فاســـمعي لنفثـــــة مَـــــصْدورٍ وأنَّـــــةِ موجــــع

وَعَـــي كــلَّ صــوتٍ تــسمعين نــداءه فــلا خيــرَ فــي أذن تُنَـادى فــلا تَعــي

تُقاصــر بـــي خطــبُ الزَّمــانِ وبَاعُــه فقــصَّر مــن ذرعــي وقــصَّر أذرعــي

وأخرجنـــي مِــنْ موضــعٍ كنــت أهلّــه وأنزلنـــي بـــالجورِ فـــي غيـــر مَوضِـعي

بسيف "ابن مهديٍّ"[5]وأبناء فاتكٍ"[6] أقضي من الأوطانِ جَنبي ومَضجَعي[7]

---

[1] الأنبار: مدينة على الفرات، في غربي بغداد، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 257/1.

[2] **الديوان**،416.

[3] عمارة اليمني: هو نجم الدّين عمارة بن أبي الحسن علي بن محمد بن زيدان الشاعر القاضي السفير الرّحالة، دو المواهب المتعددة، ولد سنة 515هـ، وتوفي في عام 569هـ، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، والمقريزي ،**السلوك**، 53/1

[4] ينظر: عمارة اليمني، **الديوان**، مقدمة المحقق، 41،40.

[5] ابن مهدي: هو السيد علي بن مهدي الحميري الرعيني، كان يسكن قرية العنبرة بأسفل وادي زبيد قريبة من البحر، توفي سنة 554هـ، ينظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، 25/5.

[6] أبناء فاتك: هم أولاد فاتك بن حياش بن نجاح ملوك زبيد وقد كان آخرهم فاتك بن منصور الذي قضى على دولته علي بن مهدي الرعيني، ينظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**،126/5،125.

[7] عمارة اليمني، **الديوان**، 681/2 .

الفصل الثّاني

مظاهرالحنين في الشّعر الزّنكي والأيوبي

أولاً: الحنين إلى الوطن.

ثانياً: الحنين إلى المحبوب.

ثالثاً: الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء.

رابعاً: الحنين إلى الذّكريات الماضية.

خامساً: الحنين الدّيني.

أولاً: الحنين إلى الوطن.

الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية لا يستطيع المرء أن يتخلى عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره المادي وسموه الرّوحي[1]، لأنه منذ عرف الإنسان الوجود وعرفه الوجود، ملتصق ببيئته لا فكاك له منها ، وكادت الصّلة بينه وبين بيئته أن تكون أوثق من صلته بأسرته، فهو ينسب إلى أسرته كما ينسب إلى بيئته، ويستفيد صورته من بيئته، كما يستفيدها من أسرته[2].

وصوّر القرآن الكريم ظاهرة حب الوطن والتّمسك به تصويراً قوياً حين جعل الخروج من الدّيار وقتل النّفس متساويين.

قال تعالى:" **ولو أنّا كتبنَا عليهم أن اقتُلوا أنفسكم أو اخرُجُوا من دياركم ما فعلوه إلّا قليل منهم**"[3]وحن الأنبياء إلى أوطانهم، فيوسف عليه السّلام لما أدركته الوفاة أوصى أن تحمل رمته إلى مقابر آبائه، فمنع أهل مصر أولياء يوسف من حمله، فلما بعث الله موسى عليه السّلام، وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم، حمل رمته إلى تربة يعقوب بالشّام[4].

"وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رمته إلى إيليا، وهناك قبر إسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام"[5].

ويذكر الجاحظ أن بعضاً من بني إسرائيل كانوا يتمسكون بوطنهم في حياتهم وبعد مماتهم، يقول:" ومن تمسك من بني إسرائيل عليه السّلام بحب الوطن خاصة ولد هارون، وآل داود عليهما السّلام، لم يمت منهم ميت في إقليم بابل في أي البلدان مات إلا نبشوا قبره بعد حول وحملت رمته إلى موضع يدعى الخصاصة[6] بالشّام فيودع هناك حولاً فإذا حال نقلت إلى بيت المقدس"[7].

---

(1) ينظر: حوّر، محمد، **الحنين إلى الوطن** ، 18.
(2) الإبياري، إبراهيم، **الوطن في الأدب العربي**، 3.
(3) النساء: 66.
(4) ينظر: الجاحظ، **الحنين إلى الأوطان**، 35.
(5) نفسه، 36.
(6) الخصاصة: الرّيف، أرض فيها زرع ونخل، وقيل هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 429/2.
(7) الجاحظ، **الحنين إلى الأوطان**، 37.

والرّسول صلى الله عليه وسلم كان كثير الحنين إلى وطنه" حتى أنه اغرورقت عيناه، حين سمع أحد الصّحابة يصف له مكة، ويقول حين يسأله الرّسول، كيف تركت مكة؟ تركتهم وقد حيدوا وتركت الأذخر[1]، وقد أغدق"

"ومنذ القدم ارتبط الشّوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشّعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين"[2].

وعرف العربي حب الوطن، والحنين إليه منذ أقدم الأزمان، فصور الشّعر العربي أشواق الشّعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومرابعهم ومراتع صباهم، يقول امرؤ القيس: **{ الوافر}**

وَقَــد طوّفــتُ فــي الآفــاقِ حتّــى رَضــيتُ مِــن الغنيمــةِ بالإيــابِ[3]

ويقول عنترة: **{الخفيف}**

أحْرَقتنــي نــارُ الجَــوى والبُعــادِ بعــدَ فَقْــدِ الأوطــانِ والأولادِ[4]

وجاء ذكر الوطن في الشّعر الإسلامي، يقول عمر بن أبي ربيعة: **{البسيط}**

قَـد هَـاجَ قَلْبـك بعـد الـسّلْوَة الـوَطَنُ والــشّوقُ يُحدِثُــهُ لِلنّــازحِ الــشّجَنُ[5]

ويقول جميل بن معمر: **{الرّجز}**

أنـــا جميـــلٌ والحجـــازُ وَطنـــي فيــه هَــوَى نَفْــسي وَفيــه شَــجَني[6]

ويتجلى الحنين إلى الوطن في قول أبي تمام، وابن الرّومي، إذ يقول أبو تمام: **{الكامل}**

نقل فُـؤادك حيـثُ شِئت مِـنَ الهـوى مـــا الحـــبُّ إلا للحبيـــبِ الأوّلِ

---

(1) الأذخر:نبات طيب الرّيح، ينبت في السّهول، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذخر).
(2) الجبوري، يحيى، **الحنين والغربة في الشعر العربي**،10.
(3) **الدّيوان**، 73.
(4) **الدّيوان**، 67.
(5) **الدّيوان**، 391.
(6) **الدّيوان**، 134.

كـمْ مَنْـزلٍ فـي الأرض يَألفـهُ الفَتـى   وَحَنينُــــه أبــــداً لأوّلِ مَنْــــزلِ[1]

أما ابن الرومي، فيقول: **{الطّويل}**

وَلــــي وطـــنٌ آليـــتُ ألّـــا أبيعـــه   وألا أرى غيــري لـــه الـــدّهرَ مَالكـــا
عَهـدتُ بــه شــرخَ الــشّبابِ ونعمــة   بـصحبةِ قـومٍ أصـبحوا فـي ظِلالكـا
وقـــد ألِفَتْـــهُ الـــنّفسُ حتّـــى كَأنَـــه   لهـا جـسدٌ إن غـابَ غُـودِرتُ هالكـا
وحبّـــب أوطـــانَ الرِّجـــال إلـــيهمُ   مـــآربُ قـــضّاها الـــشّباب هُنالكـــا
إذا ذكـــروا أوطـــانهم ذكّـــرتهم   عهـودَ الـصِّبا فيهـا فحنُّـوا لِـذلكا[2]

ولدى البحث في ظاهرة الحنين إلى الوطن في شعر العصرين الزّنكي والأيوبي، يتضح أن موضوع الحنين إلى الوطن حظي باهتمام الشّعراء، فأكثروا منه، وعبروا عن حنينهم إلى مدن وبلدان رحلوا عنها سواء أكان ذلك بإرادتهم أم قسراً.

وقد جاء حنينهم إلى أوطانهم في مظاهر عديدة، أهمها:

1-الحنين إلى الوطن وأحيائه.

ومن الشّعراء الّذين تناولوا ظاهرة الحنين إلى الوطن، ابن عنين، فقد حن إلى دمشق الّتي نُفي منها، وأُبعد عنها، فيقول متشوقاً إليها وهو في اليمن، مظهراً ما يكتنفه من شوق شديد إليها، واصفاً طول اللّيل وعدم مجئ النّهار جرّاء أرقه، متمنياً العودة إلى مقرى حيث الآمان والاستقرار، معبراً عما يخلتج صدره من شوق ملتهب إلى دمشق وأنْ لامه لائم في ذلك: **{الطّويل}**

حنــينٌ إلــى الأوطــانِ لــيْسَ يَــزولُ   وقلــبٌ عــن الأشــواقِ لــيسَ يَحــولُ
أبيــتُ وأســرابُ النُّجــومِ كأنّهــا   قُفـــولٌ تَهـــادى إثـــرهنَّ قُفـــولُ
أُراقبهـا فـي اللَّيـلِ مـن كـلِّ مَطلـعٍ   كـــأنّي برعـــيِ الـــسَّائراتِ كفيـــلُ
فيالـكَ مـن ليـلٍ نـأى عنـه صـبحُه   فلـــيسَ لـــهُ فَجـــرٌ إليـــهِ يَـــؤُولُ
أمـــا لعقـــود الـــنجم فيـــه تـــصرم   أمـــا لخـــضاب الليـــل فيـــه نـــصول
كـــأنَّ الثريّـــا غـــرةٌ وهـــو أدهـــمٌ   لـــه مـــن وميضِ الـشّعريين حُجـولُ
ألا ليــتَ شــعري هــل أبيــتنَّ ليلــة   وظِلُّـــك يـــا مَقـــرى علـــيَّ ظَليـــلُ

[1] الديوان، 407.
[2] الديوان، 1825/5.

وهـل أرَينـي بعـدما شـطتِ النَّـوى ولـي فـي رُبـى روضٍ هُنـاك مَقيـلُ
دمـشقُ فبـي شـوقٌ إليهـا مبـرّحٌ وإنْ لـجَّ واشٍ أو ألـحَّ عَـذول[1]

تنقل ابن عنين بين العراق والجزيرة، ثم دخل الهند، وسكن دباوند، وسكناه في دباوند حرّكت شوقه وحنينه إلى دمشق، التّي رأى أن العودة إليها مستحيلة استحالة الإمساك بطائر العنقاء، أو نجم الخضيب، أو ركوب النّسر، وهذه الاستحالة جعلته يفضل الشّام على دباوند، فيذكر بعض مناطقها، ومنها غرب الحدالي، وكوكب، وجبل سنير، وما يليه من جبال ثلجيّة، قائلاً: **{الطّويل}**

أبعـدَ مُقـامي فـي دباونـدَ[2] أبتغـي دمـشقَ لقـد حاولـتُ عَنقـاءَ مُغْـرِبِ[3]
وما قبضتْ كفُّ الخضيبِ[4]على يدي ولاحـط فـوق الطّـائِرِ النّـسرِ مَرْكبـي
فيـا حبّـذا قَـومٌ هُنـاك وحبَّـذا من الأرض غربـيُّ الحَدالي[5] وغرَّبِ
لَـئِن أشـرفتْ بـي فـي الـشّامِ ثنيـةٌ أرى كوكبـاً[6]مِـن فَوقِهـا مثـلَ كوكـبِ
ولاح سَـنَيرٌ[7]عـن يَمينـي كأنـه سَـنامُ رَعيـبٌ فـوقَ غـاربِ مُـصْعَبِ
ولاحـتْ جبـالُ الـثّلج زُهـراً ضـياءُ صـباحٍ أو مُفـارقُ أشـيبِ[8]

وقال يحَنُّ إلى دمشق ويدعو إلى أماكنها بالسقيا والخصب، واصفاً منظر الثلج الّي غطى ربا عزّتا، فبرزت عن باقي الأقطار: **{الخفيف}**

فـسقى اللهُ بـين آبِـل[9]والمـرَ ج ثِقـالاً مِـن الغَـوادي الـسّواري

---

(1) ابن عنين، **الديوان**، 69.
(2) دباوند، بفتح أوله ويضم، وبعد الواو المفتوحة نون ساكنة، وآخره دال، ويقال ذنباوند أيضا نون الياء، منطقة من مناطق الري في الهند، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 497/2.
(3)عنقاء مغرب:طائر عظيم يبعد في طيرانه، ويدل المعنى على أنه أغرب في البلاد فنأ، فلم يحس ولم يُرَ، ينظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (غرب).
(4) الخضيب، نجم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (خضب).
(5) الحدالي: موقع بين الشّام وبادية كلب المعروفة بالسّماوة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 262/2.
(6) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل مدينة طبريّا، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 561/4.
(7) سنير: جبل بين حمص وبلعبك، على رأسه قلعة سنير، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 316/3.
(8) ابن عنين **الدّيوان**، 88، 89.
(9) آبل السّوق: هي قرية كبيرة من نواحي بانياس من أعمال دمشق، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 23/3.

كــلَّ وطفــاءَ تحــسبُ الرَّعــدَ فيهــا بعـــدَ وهـــنٍ تَجــاوُبَ الأطيـــارِ
وربُـــا عزَتاَوقـــد جادَهـــا الثّلـــ ـــجُ ولاحــتْ مــن سَــائِرِ الأقْطَــارِ[1]

ويحنُّ العماد الأصبهاني إلى بغداد الّتي خرج منها إلى الشّام، وسكن دمشق، وبقي يتشوق أخبارها، متمنياً أن يبشر شعره الأصدقاء بعودته، إذ يقول: **{الخفيف}**

فأنَـــا اليـــومَ بالـــشّآمِ وحيـــدٌ لـــسنا البـــارقِ العراقـــيِّ شـــائِمْ
لا ودودٌ علـــى وَفـــائي مقـــيمٌ لا وفـــيّ بـــشرطِ وِدّي قـــائمْ
أبـــداً بـــين هِمَّتـــي وزمـــاني فـــي اقتراحـــي وفـــي أطّراحـــي ملاحـــمْ
عظمــتْ همّتــي، وهــا أنَــا استــصـ ـــغر فـــي المطلـــبِ العظـــيمِ العَظـــائمْ
مُبتَغـــى قلبـــي المـــشوق ببغـــدا دِ، وجـــسمي نَـــائي المحـــلَّ بجاســـمْ
ليـــتَ شـــعري متـــى يُبـــشّرُ عنّـــي أصـــدقائي فيهـــا بـــأنيَ قـــادمْ[2]

وكما حنَّ العماد الأصبهــاني إلى بغــداد، فقد حــنَّ إلى مصــر وتشوقها ، وتمنى القرب من أهلها الطيبين، ، فمصر دار النّعيم والهناء والسّرور، ويطلب منهم أن يدّلوا قلبه الممتلئ بالأشواق الدّائمة على مناطق مصر كلها، فهو فقير ببعدهم، ولا يكون الغنى إلّا في لقائهم: قائلا: **{المتقارب}**

تـــذكّرتُ فـــي جلّـــقٍ[3] داركـــم بمـــصرَ، فيـــا بُعـــدَ مـــا بيننـــا
ومـــا أتمنَّـــى ســـوى قُـــربَكم وذلـــك- واللهِ- كـــل المُنـــى
لكـــم بالجنـــابِ وطيـــبِ المقـــامِ وحُـــسنِ النَّعـــيمِ بمـــصرَ الهنـــا
ودُلُّـــوا علـــى الـــدَّوح قلبـــي فقـــد عَنـــاني لأشـــواقِكُم مـــا عَنَـــا
وإنّـــي فقيـــرٌ إلـــى وَصْـــلِكم ومـــن نـــالَ ذلـــكَ نـــالَ الغِنَـــى[4]

---

(1) ابن عنين، **الدّيوان**، 75.
(2) العماد الأصبهاني، **الديوان**، 376.
(3) جلّق، ، هي دمشق ،وقيل موضع من قرى دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ، 179/2.
(4) العماد الأصبهاني، **الدّيوان**، 405

2- الحنين إلى الوطن من خلال مفاضلته على غيره.

ومن مظاهر هذا الحنين وأشكاله هبات النّسيم، الّتي توقظ مشاعر الحنين والشّوق عند الشّاعر الغائب عن وطنه، فيحن إلى كل جزء من وطنه الّذي لا يماثله في الحسن وطن آخر، واصفاً الرّوائح الطّيبة الّتي تنتشر في أرجاء مختلفة من بلاد الشّام الجميلة، الّتي تُنسي الإنسان همومه وأحزانه،ففضائل الشّام لا تعدُّ ولا تحصى يقول العماد الأصبهاني: **{البسيط}**

أهْـدى النّـسيمُ لنـا ريّـا الرَّيـاحين   أمْ طيبَ أخلاق جيرانـي "بجيرونِ"[(1)]
هبّـت لنـا نَفْحـةٌ فـي جلّـق سَـحَراً   باحَـتْ بـسرٍّ مـن الفـردوسِ مكنـونِ
وفـاحَ بـالعَرْفِ مـن أرَجائِهـا أرَجٌ   نـالَ المـسرَّةَ منـه كـلُّ مَحـزونِ
هبّـتْ تُنبِّـه أطرافـي وتَبعثُهـا   منّـي وتوجـبُ للتّهـويمِ تَهْـويني
ومـا دَرَينـا أ"داريـا"[(2)] لنـا أرَجَـتْ   أمْ دارَ فـي دارنـا عطّـارُ "داريـنِ"[(3)]
نَـسري ونرتـاحُ لاستنـشاء رائحـةٍ   هبّـت سُـحَيراً علـى وَرْدٍ ونـسرين
ورب هـمٍ فقـدناه بربوتهـا   ورب قلـبٍ أصـبناه "بقلبـين"[(4)]
دمـشقُ عنـديَ لا تُحْـصى فـضائلُها   عَدّاً وحَصْراً ويُحصى رَملُ "يَبْرينِ"[(5)]
ومـا أرى بلـدةً أُخـرى تماثِلُهـا   في الحُسنِ من مصرَحتّى مُنتهى الصِّينِ[(6)]

وفي موضع آخر يتشوق العماد الأصبهاني إلى دمشق، ويتأسف على فراقها، فيقول: **{المتقارب}**

أجيـرانَ "جيـرونَ" مـالي مُجيـرُ   سـوى عطفكُـمْ، فاعـدلِوا أو فَجـوروا
ومـالي سـوَى طَـيفكمْ زائـرٌ   فـلا تمنعُـوهُ إذا لـم تَـزُوروا
ومـا كُنـتُ أعلـمُ أنّـي أعيـم   ـشُ بعـد التفـرُّقِ، إنّـي صَـبُورُ!
وفـتْ أدْمعـي، غيـرَ أنَّ الكَـرَى   وقلبـي، وصـبريَ كُـلٌّ غَـدورُ[(7)]

---

(1) جيرون: هي دمشق ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 231/2.
(2) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 491/2.
(3) دارين: منطقة في البحرين، يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 492/2.
(4) قلبين: من قرى دمشق ، ذكرها ابن عساكر في تاريخه، ولم يوضح عنها، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 438/4.
(5) يبرين: بالفتح ثم السكون، وكسر الراء وباء ثم نون، من أصفاع البحرين به منبران، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 49/5.
(6) **الديوان**، 431/ 432.
(7) نفسه، 185.

وحنَّ ابن القيسراني إلى العراق ومنازلها، فهو يتذكرها كلما حل في موضع من المواضع في طريقه إلى الشّام، كما في قوله: **{الطّويل}**

أقمـــتُ فلـــم يَقْـــضِ المقَـــامُ لُبانَـــةً وسِـرْتُ وقلبـي عـنكُمُ غيـرُ "سـائِرِ"

أســـائِلُ أعـــلامَ الـــسّماوةِ عـــنكُمُ فيخبرنـي عـن "بُعْدِكُم" عجْـزُ نـاظِرِي

فلمّـا رأيـتُ الوَجْـدِ لـيسَ بِنـافعي زَجَـرتُ فـؤادي عـنكمُ بـالزّواجِرِ[1]

وقال أيضاً، وكان قد عزم الخروج إلى بلدته المعروفة قيسارية[2] ومشتاقاً إلى معالمها وأهلها: **{مجزوء الكامل}**

عَـــرِّجْ بِنَـــا نحـــوَ التّيَـــارة[3] نقْـــضي بهَـــا حـــق الزَّيـــارة

وَنَـــــشنُّ فِيهـــــا للخَـــــلا عَـــةِ غـــارَةً فِـــي إثْـــرِ غَـــارة

فَقُلُوبُنَـــــا شَـــــوقاً إلـــــى تِلـــــكَ المَعَـــــالِمِ مُـــــستَطَارة

قَـــد حـــلَّ فِيهـــا الحُـــسْنِ فَهْـــ ـــيَ لـــسيلِ واديـــهِ قَـــرَارة

تُلْهيـــــك أقْمـــــارٌ تَـــــرَى لوُجُوهِهـــــا فِيهَـــــا اســـــتِنَارة

ويَـــشوقُ طَرْفَـــكَ مَنْظَـــرٌ فَاَقَـــتْ مَحَاسِـــنُه ُالعِبَـــارة[4]

وحنين ابن القيسراني في أغلبه مقسوم بين هواه للعراق، الّتي سافر إليها، وحبه للشّام الّتي نزح منها، وهذا ما يظهر في شعره، إذ يقول: **{الطّويل}**

ولمّـا نزلنـا بـالزّواجرِ هَـاجَني خَيـالانِ مِنْهـا مُعْـرِقٌ و"شَـآمي"

فَبِـت وهـذا آخِـذ بِـشكيمتي إليـه وهـذا "جـاذِبٌ" بِزمـامي

تجـاذبني الأهـواءُ شَـرْقاً ومَغْربـاً فقلبـي "وَرائِـي" تَـارة وأمـامي

"فَهـا أنـا" إنْ بغـدادُ هاجَـتْ صَـبابتي بعثـتُ إلـى دَارِ الـسَّلامِ سَـلامِي[5]

---

(1) ابن القيسراني، **الدّيوان**، 241.
(2) قيسارية، بلد على ساحل الشام تعد في أعمال فلسطين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 478/4.
(3) التيارة: المقصود بها، قيسارية. ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 238/9
(4) ابن القيسراني **الديوان**، 138.
(5) نفسه، 388.

ويحنُّ الشّاعر إلى خصوبة أرض العراق ونخيلها، ويدعو له بالخير والسّقيا، فيقول: **{الخفيف}**

يـا نَخيـلَ العـراق كُـنْ فـي أمـانِ الـ ... ـــلّهِ مـــستودعاً حَيـــا الأنْـــوَاءِ
مُـــستقيماً علـــى طريـــق النُّعَـــامى[1] ... راســـخاً فـــي مَـــسارحِ الأنـــدْاءِ
كاسِـياً مـن قَـوادمِ الـسَّعَفِ الغَـضْـ ... ـــضِ "مُحلّـــى" بِجَـوْهرِ الأقنَـــاءِ[2]
فالتِفَـــاتِي إليـــكَ بعـــضُ حَنِينـــي ... وثَنـــائي عليـــكَ رَهْـــنُ انثِنـــائِي[3]

ويتشوق ابن السّاعاتي إلى الشّام من خلال حديثه عن أهلها، وتصويره جمال طبيعتها، وإطنابه في الوصف، واستحضار كل الصّور الجميلة، ويفضلها عن غيرها من البلاد، إذ يقول: **{الكامل}**

أوطَـــانُ أوطَـــاريْ وديـــنُ صَـــبابَتي ... ألّـــا أحْـــولُ صَـــبابةٌ عـــن دِينِهـــا
تَختـــالُ نَفَـــسُك فـــي نَفاســـةِ أهلِهـــا ... وتلـــذُّ عَينُـــكَ فـــي مَحاسِـــن عَيْنِهـــا
هَتَفَـــتْ بوَجْـــدي والغـــرامُ سَـــواجعٌ ... جَـــاءتْ عَلـــى أفْنانِهـــا بِفنونِهـــا
شَـــوْقي دَفـــينٌ بالـــشّآمِ وَنَـــشْوة الـــ ... أشـــواقِ لا يُـــصيبك مِثـــلُ دَفِينهـــا[4]

ومن صور الحنين عند ابن السّاعاتي أيضا، تفضيله لخليج مصر الّتي قضى فيها مدة من حياته عن باقي أصقاع الأرض، يقول: **{مجزوء الكامل}**

قِـــــفْ بِـــــالخليجِ فَإنّـــــه ... أشْـــــهى بِقـــــاعِ الأرْضِ رَبْعـــــا
رَقَـــصتْ لَـــهُ الأغـــصانُ إذ ... أثنـــى الحَمـــامُ عليـــه سَـــجَعا
مُتعطّـــفٌ كـــالأيْمِ [5]دُعْـــراً ... حـــينَ خِيـــفَ فَـــضاقَ دُرْعـــاً
وإذا تمـــرُّ بـــه الـــصَّبا ... فـــاطربْ لـــسيفٍ صَـــار دِرْعَـــا[6]

---

[1] االنعامي، من أسماء ريح الجنوب، أبل الريح وأرطبها، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نعم)
[2] الأقناء، جمع القنو، وهو العذق لما فيه من الرطب، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، والفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (قنو).
[3] ابن القيسران **الديوان**،61.
[4] ابن الساعاتي، **الديوان**، 125/1.
[5] الأيم، الأفعى الحية البيضاء، ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أيم)
[6] ابن الساعاتي، **الديوان**،155/1.

وعبر القاضي الفاضل عن شوقه الملتهب، وحنينه الدّائم إلى الشّام وتفضيلها عن سواها، فهي تفوق غيرها في الحسن والجمال متخذاً من الرّيح التّي تهب من صوبها رسولاً يبلغ سلامه وأشواقه الحارة، فيقول: **{الخفيف}**

لَيْسَ في الأرض ما يفوقُ سِوى الشّا م، وَدَعْنــي مِــنْ سَــائِرِ الآفَــاقِ
يــا ريَــاحَ الــشّامِ، أنْــتِ رَسـولٌ يَتَعَنّــى فــي حَاجــةِ العُــشّاقِ
وَإِذا زُرْتُ غُلّتـــي بِنَـــسيمٍ قــامَ بَــيْنَ الحَــشا مَقَــامَ العِنَــاقِ
لَــكِ مِــنْ أدْمُعــي مَيَــادِينُ شَــوْقٍ فَارْكُـضي فِيـه مِثْـلَ رَكْـض العِتَـاقِ
ذَخِــرَتْ مُقْلَتِــي كُنُــوزَ دُمُــوعٍ فَاجْهَـدي يــا هُمُــومُ فــي الإنْفَــاقِ
فَكَــأنَ الأنْــدَاءَ نَفْثَــةُ رَاقٍ وكَــأنَّ الحِفيــفَ صَــوْتُ الرّاقِــي
وَسَــلامٌ عَلَــى اللّيَــالِي الخَــوَالي مِـن مُعنَّـى مِـنَ اللّيَـالي البَـوَاقِي[1]

والانتماء الوطني رباط مقدس، يربط الفرد بالأرض، ويجعل روحه ملتصقة بها، فإن بعد وارتحل عنها، وسكن بلاد أطمأن للحياة فيها، فإنه بدون شك سيحن إلى وطنه الأم فهو عنوانه، ولا دار لمن لا وطن له[2]، كما يقول أسامة بن منقذ: **{البسيط}**

إذا بَكَــى لِــديارِ بــادٍ سَــاكنُها ذو وَحَــدةٍ سَــاءَه فــي داره الــزَّمنُ
بَكيــتُ أهلــي وأوطــاني وآسَــفَني أن لــيس بعــدَهُم دارٌ ولا سَــكَنُ
أخْنَـى الزَّمـانُ علـى قَومِي وملَّـك أوْ طَـانِي سِـواي، فَـلا أهـلٌ وَلا وَطَـنُ
وَلَـم تَـدَع لـي المنايـا مُـشْتَكَى حَـزَنٍ أبثُّــه كَمَــدي إنْ عَــادني حــزَنُ[3]

ومثل ذلك ما يظهر في شعر عرقلة الكلبي الذي حنَّ إلى الحي الجلاحي، وماء العذيب، فهو ما زال متشوقا إليها فيقول: **{الطّويل}**

وَقلْبِي إلـى الحيِّ الجُلاحيّ[4] لم يَزلْ مـشوقاً علــى مـاءِ العُـذيُبِ مُعـذّباً[5]

---

[1] القاضي الفاضل**الديوان**،494/2.
[2] ينظر: سليمان، رولاناصر، **شعر أسامة بن منقذ، دلالاته وخصائصه الفنية**، 184، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.ت)
[3] **المنازل والديار**،78، لم أعثر على الأبيات في الديوان.
[4] الحي الجلاحي، نسبة إلى الجلاح وهم بطن من كلب، وإليهم ينتسب الشاعر،ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،175/2.
[5] عرقلة الكلبي، **الدّيوان**،6.

ويحنُّ عرقلة الكلبي أيضاً إلى مدينته دمشق، فيبعث بتحيته وسلامه إلى كل مكان فيها، ويفضلها على بغداد وأحيائها، ونهر المعلّى، متسائلاً هل بقي أهلها على العهد أم لا؟: **{الخفيف}**

فَقُـــرى جلـــقٍ، فَبـــابُ الفَراديْـــس فَبـــابُ البريـــد[1] عَـــيْشٌ تَـــوّلى
دِمَـــنٌ هُـــنَّ لـــي أَحـــبُّ مِـــنَ الكَـــرْخ [2]وأشـهى مِـنْ شَـطِّ نَهـرِ مُعَلَّـى[3]
أتُـــرى النَّـــازلون أكْنَـــاف جَيْـــرون علـــى عَهـــدِنا، مُقيمـــونَ أَمْ لا[4]

ويصور ابن جبير[5] إحساسه الشّديد بالغربة والحنين إلى وطنه، فيرى أن مجده وعزه ببقائه في وطنه وبين أهله، فالغربة ذل ومهانة وضياع، فقد قيل " حين دخول ابن جبير بغداد اقتطع غصناً نضيراً من أحد بساتينها فذوى في يده"[6] فقال: **{مجزوء الرجز}**

لا تَغْتَـــــربْ عَـــــنْ وَطَـــــنِ واذكـــــرْ تَـــــصاريفَ النّـــــوَى
أمـــــا تَـــــرى الغُـــــصنَ إذا مـــــا فَـــــارقَ الأصـــــلَ ذَوَى[7]

والبعد عن الوطن يجعل الشّاعر يعيش حالة من الحزن والألم والحسرة على فراقه لوطنه، يقول ابن النّجار[8]: **{البسيط}**

وَقَائِـلٌ قَـالَ يَـوْمَ العِيـدِ لـي وَرَأى تَمَلْملـي وَدُمـوعَ الْعِـينِ تَنْهمـرُ
مَـالي أرَاكَ حَزينـاً بَاكيـاً أسـفا كَـأنّ قَلبُـكَ فِيـه النَّـارُ تَـسْتعرُ
فَقُلـتُ: إنّـي بعيـدُ الـدارِ عَـن وَطَنـي مُمَلّـقُ الكـفِّ والأحبـاب قـد هجـروا[9]

---

(1) باب الفراديس،وباب البريد: بابان من أبواب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 364/1.
(2) الكرخ، حي كبير من أحياء بغداد، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 507/4.
(3)نهر المعلّى، نهر بالعراق،يدخل بين بابين، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 374/5.
(4)عرقلة الكلبي، **الديوان**، 73.
(5) ابن جبير، هو محمد بن أحمد بن جبير، سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكناني، ولد سنة 539هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة 614هـ، ينظر: المقري، **بنفح الطيب**،142/2.
(6) المقري، **نفح الطيب**، 382/2.
(7) ابن جبير، **الديوان**، 30.
(8) ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن الحافظ الكبير بن النجار البغدادي، ولد في ذي القعدة، سنة 578هـ. وتوفي سنة، 643هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 11/5.
(9) الصفدي، **الوافي بالوفيات**،11/5..

ولا يملكُ الحيص بيص[1]، إلا أن يذرفَ الدّموع شوقاً وحنيناً إلى العراق الّتي فارقها، فينتابه شعور بالألم والحسرة فيقول: **{السّريع}**

يَبكــي العَــراقَ الــدَّمُ مــن فُرْقَتــي   وَلَــيْسَ لــي مِــنْ غَمــرِكُمْ بَــشَرُ
وَلَــمْ تَــزل الآمــالُ غــرَّارة   يُــشقى بِهــا الحَــازِمُ العُمــرُ
كُـــلٌّ بَعيـــدٍ ذائـــعٌ صِيـــته   كَـــذّبَ فَـــرطَ الخَبَـــر الخُبـــرُ[2]

ويحنُّ ابن الفقيه[3] إلى أرض العراق ويشتاقُ إليها، فالنّسيم العليل يزيد من غرامه ، فيقول: **{الكامل}**

مَــا هــبَّ مِــنْ أرض العِــراق نَــسيمٌ   إلّــا دَعَــانيَ للغَــرَامِ غَــرِيمُ[4]

ويتشوق ابن المنجّم[5] إلى حلب ويحنُّ إليها،فيرسل من مصر تحياته، داعياً لها بالسّقيا والخير ،قائلاً : **{السّريع}**

يَــا حَلبــاً حُيِّــتِ مِــن مِــصرِ   وَجَــادَ مَغْنَــاك حَيَــا القَطْــرِ
أصْــبَحتُ فِــي جِلّــق حَيْــرَانَ مِــنْ   وَجْــديْ إلــى مَربعِــك النَّــضرِ
والعَـيْنُ مِـن شَـوْقٍ إلـى العَـيْنِ وَالـ   ـفَيْضِ غَــدَتْ نابِعَــةَ تَجْــرِيْ[6]

وقال ابن أبي الفضل المصري[7]، وهو بالشّام شعراً يتشوقُ فيه إلى مصرَ، فلم ينسها وإن رحل إلى الشّام فقد بقيت في البال: **{البسيط}**

يَـا مُنيَـةَ القَلْـبِ لَـوْلاَ أنْ يُقَـالَ سَـلاَ   لَقُلتُ: مـا كُنْـتُ أعْـصيْ القَلْـبَ لَوْلَـاكَ
رَمَيْـت مِـن مِـصْرَ قَلبـاً بالـشآم فَمَـا   أسـرَاكَ سَـهْماً إلـى أحْـشاءِ أسْـرَاكَ[8]

---

(1) الحيص بيص: سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، شاعر مشهور، من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس، توفي سنة 574هـ ، ببغداد. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 1/ 202.
(2) الحيص بيص، **الديوان**، 200/1.
(3) ابن الفقيه: عبد الواحد بن إبراهيم بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن الحصين، أبو المنصور المعروف ابن الفقيه الموصلي، ولد في الموصل، سنة 561هـ، وتوفي سنة 636هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 247/19.
(4) الصفدي ، **الوافي بالوفيات**،9 /249.
(5) ابن المنجم: محمد بن إبراهيم بن الخضر، أبو النصر بن البرهان المنجم أصله من طبرية، ولد في حلب وله شعر،ينظر: ابن الشّعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 222/6.
(6) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،223/6.
(7) أبو الفضل المصري: هبة الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد رزين القاضي السعيد ،أبو القاسم بن أبي الفضل وكان جده يلقب بسناء الملك، ولد سنة 545هـ، وكانت وفاته يوم الأربعاء، الرابع من رمضان سنة 608، ينظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 129/5.
(8) ابن الشّعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 129/9.

ويحنُّ ابن البطريق[1] إلى بغداد الّتي أُبعد عنها، وبقيت في وجدانه، حنيناً مملوءاً بالحسرة والألم على فراقها، فهو لا يملك إلا الشّوق الملتهب، والنّزوع الدّائم إلى بغداد، إذ يقول :**{ البسيط}**

الـــشَّآمُ دَاريَ والأشْـــجَانُ بَغـــدَادُ   فـي سِـرٍّ وَجْـديَ فِـي الأحَيَـانِ إعْلَـانُ
وَكُـــلُّ يَـــوْمٍ يُـــوَافِي مُـــؤذِنٌ بِنَـــوى   كأنّمَـــــا هَـــــذِهِ الأيّـــــامُ غِرْبـــــانُ
يَــا صَــاحبيَّ قِفَــا ثُــمَّ اسـمَعَا خَبَـراً   مــن مُــسْتَهَامٍ لَــهُ عِنــدَ الحِمــى شَــانُ
يَهُـــزُّه الـــشَّوقُ والتَّـــذكار يُطْرِبُـــهُ   كَأنَّـــهُ مِـــن مُـــدَامِ الوَجْـــدِ نَـــشْوَانُ[2]

ويتلهف ابن الهبّاريّة [3] على بغداد فهي دار الهوى والعشق والحب،وموطن النّساء الجميلات،فالحُسن يحيط كل مكان فيها،يقول: **{السّريع}**

لَهَفـــي عَلـــى بَغـــدادَ دَارِ الهـــوى   فـــإنّني مـــن حبِّهـــا مـــا أُفيـــقْ
وَكُـــلُّ وجـــهٍ مثـــل شَـــمس الـــضُّحى   فَـــوقَ قَـــوامٍ مثـــل غُـــصْنٍ رشـــيقْ
مَـــا شِـــئتَ مـــن دلٍّ وَمـــن مَنظـــرٍ   زاهٍ وَمِـــن حُـــسنٍ وَطِيـــبٍ وضِـــيقْ[4]

ويحنُّ ابن الكتاني[5] إلى بلده العراق ومدنها،ولاسيما إلى مدينة الزّوراء، الّتي فارقها، تاركاً فيها الأهل والأحبة، فيقول: **{ مجزوء الرمل}**

صَــــاح بـــــالزَّورَاءِ عُـــــجْ بِـــــيْ   زَادَ بِـــــــــالزَّورَاءِ عُجْبِـــــــــيْ
وَاســـــألِ الـــــدَّارَ عَـــــنِ الغِيـــــ   ـــــــدِ لَعـــــلَّ الـــــدَّارَ تُنبِـــــيْ
وإذا مــــــــــاعَنَّ سِــــــــــرْبٌ   مــــــن نَوَاحيهَــــــا فَــــــسِرْ بِــــــيْ
أو رَأتْ عَيْنُــــــــكَ صَــــــــحْبِي   فَعَلَـــــى حَالِـــــكَ صِـــــحْ بِـــــيْ[6]

---

(1) ابن البطريق: علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين على بن محمد، المعروف ابن البطريق الحلبي الأصل، توفي سنة 641هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات، 309/22.**
(2) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،357/4.
(3) ابن الهباريّة: هو محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيس بن محمد بن عبد الله العباسي الحنيقة ، ابن الهبارية، ولد سنة 414هـ، وتوفي سنة 509هـ، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 77/4.
(4) ابن الهباريّة، **الديوان**،160.
(5) ابن الكتاني: يوسف بن سليمان بن صالح بن رهيج بن صالح، أبو يعقوب المضري المعروف بابن الكتابي، ينبز بالبغل، وكانت ولد بمدينة السلام سنة 536هـ ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 214/10.
(6) ابن الشّعار الموصلي، **قلائد الجمان**،217/10.

3- الحنين إلى الوطن وطبيعته الجميلة.

ومن مظاهر الحنين إلى الوطن، الحنين إلى الطّبيعة، فقد مزج بعض الشّعراء بين الحنين إلى البلاد وطبيعتها، فلم يعد يرى وهو خارج الوطن إلا الصّور الجميلة الزّاهية للوطن ، ففتيان الشّاغوري يحن إلى دمشق، الّتي حرمته النّوم لبعده عنها، وما فيها من أماكن مختلفة، ويرسل بسلامه إلى ضواحي دمشق الّتي كانت مكان تنزّهه، ومرتع صباه، حيث الهواء العليل، والماء العذب، إذ يقول: **{الطّويل}**

ألا هَـلْ إلـى بَـابِ البَريـدِ سَـبيلُ ... فَلَيْلـي بِـزوراءِ العِـراق طَويـلُ
مَتـى تَلتَقـي أجْفـانُ عَيْنـيَّ والكَـرى ... وَهَـل يَتلاقـى بُكـرةٌ وأصـيلُ
سَـلامٌ علـى أكَنـافِ جِلَّـقَ إنّهـا ... لأوْطَـارِ قَلبـي مَـسرَحٌ ومَقيـلُ
ربـوعُ الهَـوى أمّـا الهـواء فَـشمألٌ ... بهـنَّ وأمـا المـاءُ فهـو شُـمولُ[1]

ويمزج ظافر الحداد[2] بين حنينه إلى الإسكندرية ووصفه لها ،حيث يهيم خياله في مسارح الشّباب والصِّبا، وتبدو له على البعد ساحرة جميلة، فيقف عند كل مكان ارتبط معه بذكرى، ويصور كل موضع كان له فيه مع أحبابه وأصدقائه، أو مجلس من مجالس الأنس، أو قصة من قصص اللهو، وهذا يوحي بأن الإسكندرية تعيش في وجدان ظافر بكل معالمها التي لم يزدها البعد إلا فتنة وجمالا[3]، يقول: **{الطويل}**

لِـألْقَى مـن الِإسـكندريّةِ نَـشْوةً ... أغـضُّ بِهـا مَـا بَـينَ جَنبـيَّ مِـن وَقْـدِ
وأودعُ هَبّـاتِ الجَنـوبِ تـضحيتي ... فَهـل بَلَّغَـتْكم مَـا أقـولُ عَلـى الُبعْـدِ؟
سَـقَى اللهُ أيّـامي بهـا الغُـرَّ وابـلاً ... كَدَمْعي على مَا فَات من عَيْشِها الرَّغْدِ
فَكَمْ لـي بِهـا مِنْ زَوْرةٍ جَدَّدتْ رِضـاً ... بَـديها علـى غيـرِ انتظـارِ ولا وَعـدِ
وَفـي جـانبَيْ ذَاك الخَلـيج مَرابـعٌ ... سَحبتُ بِها ذيل الصِّبا والصِّبا بُرْدِي [4]

---

(1) فتيان الشاغوري، **الديوان**، 334، 335.
(2) ظافر الحداد: ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد شاعر من أهل الإسكندرية، كان حدادا له "ديوان"، توفي بمصر، سنة 529هـ، ينظر: ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة**، 10/ 376.
(3) أمين فوزي،محمد، **الحركة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السادس هجري**،347.
(4) ظافر الحداد، **الدّيوان**، 98.

ويرسل ظافر الحداد سلاماً إلى مدينته الإسكندريّة، واصفاً جمال طبيعتها الّتي غمرتها الأمطار، متذكراً زمانه فيها، حيث العيش الرّغيد الممزوج بالسّرور والهناء، فيقول: **{الطّويل}**

عَلــى الجَانــبِ الإســكندريِّ سَــلامُ يُكـــــرِّره مِنـــــي عليـــــه دَوامُ
سَــلامٌ يُنـاجِي ذلـكَ الثَّغـر مُـضْحِكاً رُبـــاهُ بِنَـــوْرٍ قـــد بَكـــاهُ غَمـــامُ
ذَكـرتُ زمـاني فيـه والعـيشُ أخْـضرُ وإذ أنـــا طِفـــلٌ والزّمـــانُ غُـــلامُ[1]

وكرر الشّعراء في حنينهم لمواطنهم فكرة تصوير الوطن بالجنة، فابن مطروح يصور حلب بجنة الخلد، لما فيها من بهجة وروعة، يقول: **{الطّويل}**

عَلــى حَلــب الغــرّاءِ منــي تَحيّــة لهــا أرَجٌ كالمــسكِ والعنبــرِ الــورديْ
ومــا هــي إلا جنّــة الخُلــدِ بهجــة ولا عَجـبٌ شَـوقي إلـى جنّـة الخُلـدِ[2]

ويرى أسامة بن منقذ في مصر جنة الخلد، لما تحويه من الملذات والنّعم والخيرات، يقول: **{البسيط}**

هبْ أنَّ مصرَ جِنانُ الخُلد:ما اشتهتِ النّـ ــفوسُ فيهــا مــن اللّــذّاتِ مَوجــودُ[3]

وكان العماد الأصبهاني شديد الوفاء لدمشق يتشوق إليها، ويحن حنين الفاقد، الّذي ينتابه مشاعر الحزن والألم، ولوعة الحنين إلى الوطن، ذلك الوطن الّذي يمثل في نظره جنة الله على الأرض، بما فيه من طبيعة خلابة، وميادين واسعة،وأنهار متدفقة بمياهها العذبة ، يقول: **{المتقارب}**

وَمـــا جنّـــةُ الخُلْـــدِ إلّـــا دِمـــشقٌ وفـــي القَلـــبِ شَـــوْقاً إليهـــا سَـــعيرُ
ميادينُهـــا الخُـــضُر فـــيحُ الرِّحـــابِ وسَلْـــسالها العَـــذْبُ صَـــافٍ نَميـــرُ[4]

ويتشوق ابن السّاعاتي إلى دمشقَ وما فيها من أماكن معروفة، ويصفها بالجنة بما تحويه من مظاهر الطبيعة الخلابة، قائلا :**{الرجز}**

واطَرَبـــا إلـــى دمـــشقٍ وإلـــى جَيْرونِهـــا شَـــوقاً إلـــى جِيرانِهـــا
والـــشّرقينِ والمُـــصلّى[5] وذُرى رَبْوتهـــا والوَهـــدِ مِـــن مَيْـــدانِها

---

[1] ظافر الحداد، **الديوان**، 273.
[2] ابن مطروح، **الديوان**،50.
[3] أسامة بن منقذ، **الديوان**،65.
[4] العماد الأصبهاني، **الديوان**، 188،187.
[5] الشرفين والمصلى، أماكن معروفة في دمشق، ينظر: ابن الساعاتي، **الديوان**،حاشية المحقق،134/2.

دارٌ هِـــي الجَنـــــةُ خَـــابَ عـــاذلٌ   فـــي حُورِهـا العِـينُ وَفـي ولِـدانِها[1]

4- الحنين إلى الوطن وأنهاره ومياهه.

ومن شعر الحنين إلى الوطن، ورد ذكر الحنين إلى الأنهار، فقد عمق الشّعراء إحساسهم بالحنين إلى بلادهم وطبيعتها، بتشوقهم إلى أنهارها ومتنزهاتها ليظهروا محاسنها وجمالها، ويفضلونها على غيرها من البلاد، وإن كان ذكر الأنهار قليلاً عند شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي فقد ورد في شعر العماد الأصبهاني حنين إلى ثلاثة أنهار من أنهار دمشق في قصيدة نظمها في مدح صلاح الدين الأيوبي، يتشوق فيها إلى دمشق ويتأسف علي فرقتها، فالدّهر متقلب لا يبقي شيئــاً على حاله إذ يقول: **{المتقارب}**

يَزيـــــدُ اشـــــتياقي وَينمُـــــو كمـــــا   "يزيـــدٌ"[2] يزيـدُ و "ثَــورا" يَثــورُ"[3]

وَمَـن "بَـرَدى"[4] بَـرْدُ قلبـي المَشُوق   فَهَـــا أنـــا مـــن حَـــرِّهِ مُـــستَجيرُ[5]

ويعمق ابن الخيّاط إحساسه بالحنين إلى بلاده وطبيعتها، بتشوقه إلى نهر ثورا، فقَدْ فَقَدَ الصّبر والانتظار، لذلك لن يستطيع التّوقف عن البكاء لشدة شوقه وحنينه، يقول: **{الطّويل}**

جَرَى النَّهرُ من شَوْقٍ إلى ماحلِ الثَّرى   وَأجريـتُ دَمْعـاً شَـاقه المَنـزلُ القَفـرُ

فيـا نهـرَ ثَـوْرا قـد أثـرتُ مِـن الهَـوى   دَفينـــاً أجنّتْـــهُ الجَـــوانحُ والـــصّدرُ

فَلـو كَـانَ بِـي صَـبرٌ كَفَفـتُ مَـدامعي   وَلَكــنَّ مــن يَــشتاقُ لَــيسَ صَــبورُ[6]

ويتشوق الأبيوردي إلى نهر الصّراة في بغداد، حتى أن إبله تحنُّ إلى الشَّرب من ماء النهر، ويتمنى أن يرى نفسه مسروراً ببياته وقيلولته بها، فيقول: **{الطّويل}**

---

[1] ابن الساعاتي، الديوان، 2/ 134.

[2] يزيد: نهر بدمشق ينسب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يجيء لحف جبل، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،499/2.

[3] ثورا:اسم نهر عظيم في دمشق، وقد وصف في بردى، ينظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 100/2.

[4] بردى أعظم أنهر دمشق، مخرجه قرية كورة الزبداني، على خمسة فراسخ من دمشق، مما يلي بعلبك، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 450/1.

[5] العماد الأصبهاني، **الديوان**،185،186.

[6] ابن الخياط، **الديوان**،283.

تَحــنُّ إلــى مَــاءِ الــصَّراةِ[1]رَكــائِبي   وَصَــحْبي بِــشَطَّي زَرنــروّذ [2]حُلــولُ
أشَـــوقاً وأجـــوازُ المهامِـــهِ بَيْنَنـــا   يَطــيحُ وَجَيــفٌ[3] دُونَهــا وَذَميــلُ[4]
ألا ليـتَ شِـعري هـل أرانـي بغبطـةٍ   أبيـــتُ علـــى أرجائِهـــا وأقيـــلُ[5]

ويعظم الزّبير بن المهذب نهر النيل، ويفضل ماءه على ماء غيره، حتى ولو كان هذا الماء، هو الماء المقدس (ماء زمزم) الّذي تفجر تحت أقدام إسماعيل عليه السّلام: **{الطّويل}**

وَمَــالي إلــى مَــاءٍ سِـوى النِّيـل غُلَّــةٌ   وَلَـــو أنَّـــه أسْـــتَغفِرُ اللهَ زَمـــزَمُ[6]

وكتب ابن نوبي الأنباري[7]، متشوقاً إلى نهر "معلى" معبراً عما يختلج صدره من حنين صادق ممزوج بالحزن وألم لنهر المعلّى، وحي الكرخ، وإنْ نسي الآخرون، فهو باقٍ على العهد لهذا المكان ، فقد تعلق سرور الشّاعر به تعلقاً دائماً لا يفارقه، كمن تعلق بزوجة يحبها فلا يطلقها أبداً، يقول: **{الخفيف}**

لِـــيَ بِـــالكرْخِ دون نَهـــرِ مُعلّـــى   شَـــجَنٌ لا يَحُـــولُ عَـــنْ مِيثَـــاقِ
كُلمَـــا أخْلَـــفَ الزَّمـــانُ هَـــواهُ   جَددَتْـــــهُ مَكـــــارمُ الأخــــلاقِ
وإذا مـــا سَـــلاه غَيْـــري فَعِنْـــدي   حُـــسنُ عَهْـــد الحَنـــين والأشْـــوَاقِ

---

(1) زرنروذ: نهر مشهور عند أصبهان عليه قرى ومزارع، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،173/3.
(2) نهر الصرارة: نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 453/3
(3) الوجيف: نوع من السّير السّريع، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وجف)
(4) الذّميل:نوع من السّير السّريع، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ذمل).
(5) الأبيوردي، **الديوان**، 569/1.
(6) الزبير بن المهذب، **الديوان**، 217.
(7) ابن نوبي الأنباري:هبة الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن نوبي، أبو علي الأنباري، الكاتب، المعروف بالقاضي الموفق، كان كاتبا جليلاً أديباً فاضلاً، توفي سنة 553هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 322/27.

مَنْـــزِلٌ فيـــه للـــسّرورِ مـــع النّفَـــ   س نكـــاحُ المُنـــى بغيـــرِ طَـــلاق[1]

5- الحنين إلى نجد.

تحتل نجد مكانة كبيرة في الشّعر العربي في مختلف العصور، فقد تغنى بها الشّعراء وحنوا إليها، وذكروا مرابعها، سواء من عاش بنجد أم من كان بعيداً عنها، فقد ظلت نجد ملهمة للشّعراء يتغنون بها وصارت رمزاً للشّوق والحنين إلى الأرض والوطن[2].

" ما أحب الشّعراء نجداً إلا أنها ترمز للأصالة العربية والفروسية والنّقاء اللغوي بالإضافة إلى جمال الطّبيعة وجمال أهلها وطيبتهم ونقاء أصولهم وأعراقهم"[3].

ومن شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي الّذين حنوا إلى نجد، الأبيوردي والطّغرائي.

ولع الأبيوردي بنجد وتغنى بربوعها، واشتاق إلى حماها وأهلها، فقد قسم ديوانه إلى أقسام منها: العراقيات، والنّجديات، والوجديات، وجاءت النّجديات في القسم الثّاني من الدّيوان، وقيل: إنه زار نجداً ومكث فيها، وتعلق بامرأة نجدية وصار يذكرها في شعره وأحب لأجلها نجدًا وأهلها[4].

يشتاق الأبيوردي إلى نجد، فيحن إلى رباها وحماها، ونبتها طيب الرّائحة، يقول: **{ الطّويل}**

خَليلـــيَّ إنَّ الحُـــبَّ مـــا تَعرفانَـــهُ   فَـلا تُنكِـرا أنَّ الحنـينَ مـن الوَجْـدِ
أحِـــنُّ وَللأنَـــضْاءِ بـــالغَوْرِ حنّـــةٌ   إذا ذكَـــرَت ْأوْطانَهـــا برُبَـــا نَجـــدِ
وَتَـصْبو إلـى رَنْـدِ الحِمـى وعَـرارهِ   وَمَـنْ أينَ تَـدري مـا العَرارُ من الرَّنْـدِ
وَمَمـــا شَـــجَانِي أن ليلـــى تغَيَّظَـــتْ   فقالـتْ سِـراراً والمَطِـيُّ بِنـا تَخْـدي[5]

---

[1] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 27/ 323.
[2] ينظر: الجبوري، يحيى، **الغربة والحنين في الشّعر العربي**، ، 173.
[3] نفسه، 192.
[4] نفسه، ، 173.
[5] الأبيوردي، **الديوان**، 219/2، 220.

ويتذكر الأبيوردي ديار نجد ومن يحب من أهلها، ويقسم بالبيت الحرام في سياق الغزل [(1)] في قصيدة نونية، يقول فيها: {الطّويل}،

أليلتَنَـــا بـــالحَزْنِ عُـــودي فـــإنَّني   أطِــامِنُ أحَـشْائِي علــى لَوعَــةِ الحُــزْنِ
وأذْري بـــه دَمْعـــاً يُـــرَوِّي غليلَـــهُ   فَلَـــمْ يَتحَمَّـــل بعـــدَه ُمِنَّـــة المُـــزْنِ
وَأقـــسِمُ بِالبيـــتِ الرَّحيـــبِ فِنـــاؤهُ   وبـــالحَجَرِ الملثـــومِ والحَجَـــرِ الـــرُّكْنِ
لأنـــتِ إلـــى نفـسي أحَـــبُّ مـــن الغِنـــى   وذِكْرُكِ أحْلى في فُؤَادي مِنَ الأمْنِ[(2)]

ومن ثم ينتقل إلى ذكر نجد قائلاً: **{الطويل}**

فَقَــالوا مــن الــسَّاري وَقَـدْ بَلَّــهُ النَّـدى   فُقْلتُ ابنُ أرضٍ ضَلَّ في لَيلَةِ الدَّجْنِ
لــهُ حَاجــةٌ بــالغَوْرِ والــدّارُ بِــالحِمَى   وَنَجدٌ هَواهُ وهي تعرفُ مَا أعْنــي[(3)]

ويتشوق الأبيوردي إلى نجد ويحن إليها، فيبكي صبابة ووجداً، إذ يقول: **{الطويل}**

ألامُ علـــى نَجـــدٍ وَأبْكـــي صَـــبابةً   رويْـدَكَ يَـا دَمْعـي وَيَـا عَـاذلي رِفْقَـا
فلـــي بـــالحِمَى مَـــنْ لا أُطيـــقُ فِراقَـــهُ   بـــهِ يـسْعَدُ الوْاشـــي ولكنَّنـــي أشْــقى[(4)]

ويصرح الأبيوردي بحنينه وشوقه إلى أرض نجد، الّتي رحل عنها متمنياً عودته إليها، ولقاء أهله الّذين يفتقدهم، يقول: **{البسيط}**

أصْبو إلــى أرْضِ نَجْـد وهـي نَازحـةٌ   والقلــبُ مُــشتَمِلٌ مِنْــي عَلــى الحَــزَنِ
وأســألُ الرَّكْــبَ عنْهــا والــدُّموعُ دمٌ   بنــاظِرٍ لــمْ يَخِـطْ جَفْنــاً علــى وَسَــنِ
وإنْ سَرى البَرْقُ مِنْ تِلْقائِها عَرضَتْ   عِيـسي بِـذي سَـلَمٍ مـن مَبْـرَكٍ خَـشِنِ
والــرِّيحُ إنْ نَــسَمَتْ علويَّــةٍ نَــضَحَتْ   بالـــدَّمْعِ حَنَّـــة عُلْـــويٍّ إلـــى الـــوطَنِ

---

(1) ينظر: الجبوري، يحيى، **الغربة والحنين في الشّعر العربي** ، 186.
(2) الأبيوردي، **الديوان**، 2/ 219، 220.
(3) نفسه،2/ 220.
(4) نفسه،2/ 227.

فهَــل سَــبيلٌ إلـــى نَجْـــدٍ وســـاكِنِه   يَهُـزُّ مـن ألِـفَ المـصرين[1] لِلظَّعَـنِ[2]

ويطلبُ الأبيوردي من صاحبيه أن يقفا في أرض نجد، ليسلما عليها، وعلى أهلها، فقد اشتاق إلى نجد وحن لأهلها، وبكى وجداً وشوقاً: **{المجتث}**

قِفـــا بِنْجـــدٍ نُـــسَلِّمْ   علـــى ديـــارِ سُـــعادِ
فلـــي دُمـــوعٌ تُـــرَوِّى   بهـــا الطُّلـــولُ الـــصَّوادي
والنّاجِيـــاتُ إليهـــا   يَخـــدْنَ مِيْـــلَ الهَـــوادي
لَهَـــا مِـــنَ الـــشَّوقِ هِـــادٍ   وَمِـــن زَفيـــريَ حَـــادِ[3]

وما يكاد النّسيم أن يهب من صوب نجد حتى يوقظ ذكريات الشّاعر الماضية لأرض نجد ومرابعها، وهذا يثير أشجان الشّاعر وأشواقه، فيقول حاناً: **{البسيط}**

وَسَـــرْحَة بِرُبـــا نَجْـــدٍ مُهَدَّلَـــةٍ   أغْـصانُها فـــي غَـديرٍ ظَـلَّ يُرْويهـا
إذا الـصَّبا نَـسَمّتْ والمُـزْنُ يَهْـضِبُها   مَـشَى النَّـسيمُ علـى أيْـنٍ يُناجِيهـا[4]

ويطلب الأبيوردي من صاحبه أن يبكي شوقاً وألماً على نجد وساكنيها فهي الوطن المفتقد الذي ينزع إليه الشّاعر ويحن، يقول: **{البسيط}**

هَلُـــمَّ نَبْـــكِ علـــى نَجْـــدٍ وسَـــاكِنِهِ   فَلَـنْ تَـرى بَعْـدَ نجـدٍ عِيْـشَةَ رَغَـدا
ودَعْ هُـذَيْما فَقَـد طَـافَ الـسُّلُوُّ بِـهِ   وَعَـنْ قريـبٍ تَـراهُ يَلْتَـوي كَمَـدا
ويـا هَـذَيْمُ ألا تَبْكـي عَلـى وَطَـنٍ   يُـذيْبُ مـن أدْمعـي ذِكْـراهُ مَـا جَمَـدا[5]

---

(1) المصرين، الكوفة والبصرة، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (مصر).
(2) الأبيوردي، **الديوان**،2/237،236.
(3) نفسه، 2/ 288.
(4) نفسه، 2/ 288.
(5) نفسه، 2/ 291، 292.

ويتساءل الأبيوردي عن رحيل الأهل والأحبة، من أرض نجد فهم حماتها،وبرحيلهم تركوا ألماً وحزناً في قلبه، فيقول متشوقاً إلى نجد وأهلها: **{الكامل}**

يَـــا نَجْــدُ مَـــا لأحِبَّتـــي شَـــطُّوا ... لـــم يَحْـــمِ أرْضَـــكِ مـــثلُهمْ قـــطُّ
ظَعَنُـــــوا فمالــــــكَ لا تُفــــــارِقُهُمْ ... يــــا قَلــــبُ إن رَحَلَــوا وإنْ حَطُّــوا
وَكَـــأنَّ عِيْـــسَهُمُ عَلـــى حَـــدَقٍ ... تُــدْمى الجُفْــونَ دمُوعُهــا تَخْطــو[1]

تظهر المقطعات الشّعرية السّابقة الّتي قيلت في الحنين إلى نجد وديارها مدى تعلق الأبيوردي وحبه وحنينه إلى نجد .

وحنّ الطّغرائي[2]، إلى نجد، وإلى أيامها، فقد فارقها قسراً لا بإرادته،قائلا: **{الوافر}**

تَعــزُّ أخَــا الغُريُــبِ فمــا "بِنجــد" ... لَنَــا أُخْــرى الليــالي مِــن قَــرارِ
وَمَــــا فَــــارقتُهمْ طَوعــــاً وَلكِـــنْ ... قَــضَاءٌ مــا ملكــتُ لَــهُ اخْتيــارِي
هُمـــومٌ قـــد مُنِيـــت بهـــا طِـــوالٌ ... لأيّـــامٍ مَـــضَيْنَ بِـــه قِـــصارِ[3]

ويحنُّ الطّغرائي إلى نجد،ومواضعها وقاطنيها، متغزلاً بالغيد الحسان، فيقول: **{الطّويل}**

أيَـا حـاديَ الأظعـان غَـرِّد فقـدْ بَـدَا ... لَنَـا "حَـصِنٌ" واسـتقبلَتْنَا صَـبا "نَجْـدِ"
وبَــشَّرنا وَعــدٌ مــن المُــزْنِ صَــادقٌ ... بِــواصٍ مــن الحَــوْذَانِ والنَّفَـلِ الجَعْـدِ
فَـــإنَّ بِـــذاكَ الجـــوِّ فاتنـــة اللُّمَـــى ... أسـيلة مَجـرَى الـدَّمعِ وَاضِـحة الخَـدِّ
إذا مـا المَـداري خُـضْن سُـودَ لِمامِهَـا ... خَلطـنَ فُتـاتِ المِسْكِ بـالعَنْبَرِ الـوردِ[4]

---

[1] الأبيوردي، **الديوان**، 231/2.
[2] الطغرائي: الحسين بن علي بن محمد عبد الصمد، أبو إسماعيل مؤيد الدين، الأصبهاني،االطغرائي شاعر من الوزراء والكتاب،وكان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان سنة 455هـ كانت وفاته 513هـ ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات** 159/1.
[3] الطغرائي، **الديوان**، 168.
[4] نفسه، 138، 139.

ويذكّر البرق الشّاعر بنجد ومن بها، فيشتاق إليها ويتحدث عن ذكرياته في نجد ومن حل نجداً [1] إذ يقول: **{الطّويل}**

أرَقْــتُ لَبــرقٍ لاحَ عنّــي وميــضُه وَإنسانُ عَيني في صَرَى الدَّمع سَابحُ[2]

ويحنُّ الطّغرائي إلى نجد، فيصف طبيعتها، ومحاسن أرضها، وبطولة رجالها[3]، المتمثلة بالسيوف الحادة، والرّماح المصوبة تجاه الأعداء، متحدثاً عن كرم الرّجال ، وبخل النساء الجميلات وتمنعهنَّ على المحبوب، يقول :**{الكامل}**

يــا حبَّــذا "نجــدٌ" وأعــراق الثَّــرى لَــــدْنٌ وأنَفـــاسُ النَّــــسيمِ رِقَـــاقُ
فَهـــواؤهُ خِــصرُ النَّــسيمِ وتُرْبُـــهُ حَـــالي الأدِيـــمِ وَمـــاؤُهُ رَقْـــرَاقُ
بِـــساكنيه إن اســـتقَرَّ بِنـــا النَّـــوى تُـــشْفَى النُّفـــوس وَتُمـــسَكُ الأرمَـــاقُ
والحـــيُّ "بالجَرْعَـــاءِ" بـــين بُيـــوتِهمْ أُســـــدٌ وعِـــــينُ جِـــــآذرٍ وعِتَـــــاقُ
والبِــيضُ أمثــالُ، الخُــدودِ صَــقيلةٌ والــــسُّمرُ أشــــباهَ القُــــدودِ رِشَــــاقُ
والجُـــودُ والإقـــدامُ فـــي فِتيـــانِهمْ والبُخــلُ فــي الفتيــاتِ والإشْــفاقُ[4]

"ويتذكر أيامه في نجد حين شد الرِّحال ووصل أرض الأحبة وتنسم نسائم البادية وما فيها من أريج نباتها وعليل هوائها، ويفوح العطر حين ترعد السّماء وينزل القطر، فحبذا العيش هناك فتلك جنته بين أحبائه الّذين يحن إليهم أبدا"[5] إذ يقول: **{الطّويل}**

ألا حبَّـــذا شَـــدُّ الرَّكائِـــبِ ضَـــحْوَةً وللظِـــلِّ فـــي أخْفـــافِهِنَّ مَقِيـــلُ
وَمُدْفَـــةِ ظِـــلٍّ بـــين غُـــصْنيَ أراكـــةٍ وَقَـــد كـــادَ مِيـــزانُ النّهـــارِ يميـــلُ
ومــن شِــيحِ "نَجــدٍ" نَفْحــةٌ سَــحَرِيّةٌ تـــساهَمَ فيهـــا شَـــمْألٌ وقَبَـــولُ
وَمرتَجـــزٍ بالرّعـــدِ يَرضِـــعُ دُرَّهُ نبـــاتَ رِيـــاضٍ مـــسَّهُنَّ ذَبـــولُ[6]

وهكذا، فقد حظيت نجد بنصيب وافر من شعر الطّغرائي، الّتي حن إليها وإلى مواضعها المختلفة وأهلها.

---

(1) ينظر: الجبوري، يحيى **الحنين والغربة في الشعر العربي،** 196.
(2) الطّغرائي، **الديوان،** 1/ 108.
(3) ينظر: الجبوري، يحيى **الحنين والغربة في الشعر العربي،** 196،
(4) الطغرائي، **الديوان،** 261.
(5) ينظر: الجبوري، يحيى **الحنين والغربة في الشعر العربي،** 196، 197.
(6) الطغرائي، **الديوان،** 280.

أساليب الحنين إلى الوطن.

أ- الدّعاء بالسقيار للدّيار.

اتبع الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون أساليب القدماء في التّعبير عن حنينهم وأشواقهم لمواطنهم، ومن هذه الأساليب، الدُّعاء بالسّقيا، الّذي ورد في بعض قصائد هذه الفترة، على نحو ما يظهر في قول الطّغرائي، من قصيدة يتشوق فيها إلى أصبهان ويتمنى لها النّماء والخير، فهو يحن إلى نسيمها الرّقيق، وثراها النّدي، ومائها العذب، طالباً من الله عزّ وجل أن يعود إلى بلاده، وأن يحسن خاتمته،إذ يقول: **{الطّويل}**

سَقَى اللهُ جيّا[1] ما أرقَّ نسيمَها ... إذا الظِلُّ مِن لَفحِ الهواجرِ ذابَا
وَأندى ثَراها والغوادي شَحيحة ... بِصوبِ حَياها أنْ تُبلَّ تُرابَا
وأطيبَ مغناها وأعذبَ مَاءها ... وَأَفْيحها للطّارقينَ رحابَا
وَأبهى رِباعا وَسْطها وَمَنازلا ... وَأزكى صُحونا حَولَها وَهِضَابَا
عسى اللهُ يَقضي أوبةً بعد غيبةٍ ... ويختِمُ بِالحُسنَى وَيفتحُ بابَا[2]

وقال الكندي البغدادي[3] يتشوق إلى بغداد ويدعو لها ولأهلها بالسّقيا، فهي المنزل المأهول يفوق فخره كل المرابع والمنازل الأخرى، إذ يقول: **{الطّويل}**

سَقى اللهُ بَغداداً وساكنَها الحَيا ... دُعاءُ مَشوقٍ بالتَّذكّرِ مُولعِ
تَنَاءتْ به الأقدارُ عنْها فَما لهُ ... عَلى ذكرِها غَيرِ الحنينِ المرجَّعِ
هي المنزلُ المأهولُ والمربع الذي ... له الفَخرُ في الدُّنيا على كُلِّ مَرْبعِ[4]

(1) جيا أوجي :اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة،وتسمى عند العجم شهر ستان أصبهان، ينظر: ياقوت الحموي،**معجم البلدان**، 235/2.

(2) الطغرائي، **الديوان**، 73.

(3) الكندي البغدادي: هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن خمير بن الحارث ، تاج الدين أبو اليمن البغدادي،وهو بغدادي المولد والمنشأ، ولد يوم الأربعاء الخامس من شعبان سنة 520هـ، وكانت وفاته سنة 613هـ، ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 339/2، وابن العماد، **شذرات الذهب**، 216/4.

(4) الكندي البغدادي: **الديوان**، 66،67.

يتمسك الإنسان المغترب بالدُّعاء والتّضرع إلى الله سبحانه وتعالى، حيث يجد في الدّعاء وسيلة للتخفيف من أشجانه وأحزانه في الغربة، فابن جبير يدعو لباب الطاق بالسُّقيا والخصب، ويدعو الله أن يرد كل مغترب إلى وطنه، يقول: **{الطّويل}**

سقى اللهُ بَابَ الطّاق[1] صَوْبَ غَمامة ورَدَّ إلى الأوطان كُلَّ غَريبِ[i]

وكتب ابن يوسف التنوخي[2]، وهو بدمشق، يتشوق إلى حلب، ويدعو لروابيها بالسّقيا والأمطار الغزيرة، متذكراً أيام شبابه وطيب عيشه في حلب الشّهباء، حيث يقول: **{ البسيط}**

عَرِّج عَلى حَلَبٍ واسَألْ مَغانيها بِمَ اسْتَحَلّتْ دَمي ظُلْماً غَوَانيها
سَقَى رُبى حَلَبٍ سُحبٌ روائِحُها تَهْمِي إذا أقْلَعَتْ عنها غَوَادِيها
كَمْ قَدْ نَعِمْنا بِلَذَّاتِ الشَّبَاب بِها في عِيشَةٍ طَاب مُخْليها لجَانِيها[3]

ويدعو ابن أبي الوفاء التّكريتيّ[4]، بالسّقيا والخصب والنّماء لدار السّلام بغداد، فيقول: **{المنسرح}**

سَقَتْك دار السَّلامِ غَادَيَة صُوْبُ نَدَاهَا تَجُودُ مُزْنَتُهُ[5]

وتمثل دمشق في نظر ابن منير الطّرابلسي جنة الخلد بما تحويه من المناظر البهيجة، الّتي تستوقف النظر، فيدعو لها بالأمطار الوفيرة العامة، إذ يقول: **{البسيط}**

سَقَى دِمَشقَ ومَغْنىً للهوى فِيها حيَّا تَهزُّ له أعْطافِها تِيها
لا زالَ للرُّوح عَطارٌ يُراوِحُها وللسَّحَائب خمّارٌ يُعَادِلها

---

(1) باب الطّاق: محلة كبيرة ببغداد، بالجانب الشّرقي تعرف بطاق أسماء، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 1/ 366.

(2) ابن جبير، **الدّيوان**، 32.

(3) ابن يوسف التنوخي:عبد المحسن بن حمود، هو أبو الفضل عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن بن علي بن يوسف التنوخي، نشأ في حلب، كانت ولادته بها سنة 560هـ، وتوفي سنة 643هـ ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 38/19.

(4) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 103/4، 104.

(5) ابن أبي الوفاء التكريتي: هو يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء التكريتي، من ربيعة، قاضي ماردين، ولد في الثاني عشر من جمادى الآخرة، سنة 556هـ، وكان بماردين في ذي الحجة سنة 620، وقيل توفي في ليلة الاثنين التاسع من ذي القعدة، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 254/9.

(6) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 256/9.

دَارٌ هـــي الجنّـــةُ المحبـــورُ سَـــاكنُها   فــــإنْ تَكُنْهـــا وإلّـــا فَهــــي تَحْكيهـــا
تَبــارَكَ اللهُ كَــم مـــن مَنظـــرٍ بَهـــجٍ   يَستوقِفُ الطّرْفَ في بَطْحاءِ وَادِيها[(1)]

ويدعو السّنجاريُّ[(2)] الله أن يجعل الأمطار تعم أرض العراق لتسقيها بعد الجفاف، يقول: **{ الطّويل}**

سَقى اللهُ أرْضاً بـالعراق وإنْ خَلـتْ   تَهَائمها مِـــنْ بَعْـدكُمْ وَنُجُوْدُهَـــا
سَـــحَائبُ يَـــسْحَبْنَ الـــذُّيُولِ كَأنَّهَـــا   نَجَائِـــبُ قَـــدْ مَالَـــتْ عَلَيْهَـــا قُتُوْدُهَـــا
إذا شَـــارَفَتْ مِنْهَـــا الـــشَّوَارِفُ بَلْـــدَةً   وَقَـد مـاتَ مَشربها وَجـفَ صَـعِيدُهَا[(3)]

ب- السّلام على الدّيار.

وعبر ابن منير الطرابلسي عن حنينه إلى دمشق، بإرسال التّحية والسّلام لكل ناحية من نواحيها، يقول: **{البسيط}**

حَــــيِّ الـــدِّيارَ عَلَـــى عَلْيـــاءِ"جَيْـــرُونِ"   مَهْـــوَى الهَـــوَى ومَغَـــاني الخُـــرَّد العِـــينِ
مَـــــرَادَ لَهـــــويَ إذ كَفّـــــي مُـــــصَرِّفَةٌ   أعِنَّـــــة العَـــــيْش فـــــي فَـــــيْح المَيَـــــادينِ
بـــالنّيرَبَيْنِ بـــ"مقـــرى"فـــ"الـــدّير"فــَ جْمـــ   رايـــا"[(4)] فجـــوّ حَواشـــي جِـــسْر "جِـــسْرين"[(5)]
فَـ"القَصرْ"فـ"المَرج فـَالمَيدانِ"والشَّرفِ"الـ الـ   أعلـى فـ"سَطْرا"فَـ"جَرمانـا"[(6)] فـ"قُلْبـين"[(7)]
فَــــ"المـــاطِرون"[(8)]فــــ"دارَيّـــا" فَجارتهـــا   فــــ"آبـــــل" فمغـــــاني "دَيْـــــر قَـــــانون"[(9)]
هَيْهـــاتَ شَـــطَّ حَمـــيم الـــشَّطّ عَـــن خَـــصرٍ   يَـــــشدُو فَيـــــسعدُهُ طَيْـــــرُ البَـــــساتينِ[(10)]

ووجد ابن النبيه المصري في البرق باعثاً للشّوق والحنين إلى العراق، وما فيها من أمكنة معروفة، يقول: **{الخفيف}**

آنـــــستُ بـــــالعِراق برقـــــاً منيـــــراً   فَطَـــــوَتْ غَيْهَبَـــــا وَخَاضَـــــت هَجِيـــــرَا

---

(1) ابن منير الطرابلسي، **الديوان**، 132.
(2) السّنجاريُّ: إسماعيل بن أبي الفتح بن رزق بن الهائم السنجاري، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 435/1.
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 435/1، 436.
(4) جمرايا:موضع في بلاد الشام، ينظر: البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم**، 510/2.
(5) جسرين: قرية من قرى غوطة دمشق، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 160/2.
(6) جرمانا:بالفتح،وبين الألفين نون ، من نواحي غوطة دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 150/2.
(7) قلبين: من قرى دمشق، وهي عند طرمس، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 386/4.
(8) الماطرون: بكسر الطاء، موضع بالشام قرب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 51/5.
(9) دير قانون: من نواحي دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 526/2.
(10) ابن منير الطرابلسي، **الديوان**، 142، 141.

ذكَـرَتْ مِـنْ مَـسارِحِ والكـرْخِ رَوْضـاً لَـــمْ يَـــزَلْ نَاضِـــراً وَمَـــاءً نَميـــرَا[1]
وَاجْتَنَـــتْ مِـــنْ ربـــا المحـــوَّلِ نَـــوْراً واجَتَلَـــتْ مـــن مَطَـــالِعِ التَّـــاجِ نُـــورَا[2]

ويحنُّ ابن الكتاني إلى مدينة الزّوراء، الّتي طال بعده عنها وهو في ربوع الملك الصالح، إذ يقول: **{ مجزوء الرّمل}**

يَـــــا بَنـــــيْ الـــــزَّوْرَاءِ كُـــــلٌّ مِـــــنكُمُ جَـــــارِي وَتربـــــيْ
خَبِّـــــروا بَغْـــــدادَ إنْ أخَّـــــــ رتُ عَـــــنْ بَغـــــدَادَ كُتْبِـــــيْ
إنَّنـــــيْ مُـــــذْ غِبْـــــتُ عَنْهَـــــا بَـــــيْنَ جَنَّـــــاتِ وَقَـــــضْبِ
فِـــــيْ رُبُـــــوْعِ المَلْـــــكِ الـــــصَّا لـــــحِ لِـــــيْ أبْقَـــــاهُ ربِّـــــيْ[3]

وقد عبر الشّعراء الزَّنكيون و الأيوبيون عن صدق أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه الوطن، وجاء حنينهم حنيناً صادقاً معبراً، يُلمس من خلال شدة ارتباطهم بأوطانهم، الّتي حنوا إلى طبيعتها وأنهارها، ومدنها المفتقدة، وتمنوا العودة إليها لتطمئن قلوبهم، ويهدأ بالهم.

(1) النمير، الماء البارد، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نمر).
(2) ابن النبيه المصري، **الديوان**، 100، 101
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 217،10/، 218.

ثانياً: الحنين إلى المحبوب.

يعد الحنين عند شعراء العصرين الزّنكي والأيوبي إلى المحبوب أحد المظاهر البارزة في نتاجهم الشّعري، حيث عبر الشّعراء عن حنينهم وشوقهم تجاه من يحبون، والحنين إلى المحبوب هو " موقف شعوري صادق، تغذيه التجربة بالألم، وترفده برقة المشاعر ورهافتها، فيفيض على لسان الشّاعر قصائد ومقطوعات عذبة، تنم عن شفافية الإحساس، وزخم العواطف المتقدة في صدره"[(1)].

ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة الّتي تراءت في حنين الشّاعر فأحس بفقدها، وانعكست ذكرياته معها في أشعاره [(2)].

وكان غرض الغزل هو الأكثر نتاجاً على صعيد شعر الحنين إلى المحبوب في شعر العصرين الزّنكي والأيوبي، ومن ذلك: ما يظهر في شعر الأرجاني في قصيدة له حيث بعث الصَّبا برسوله إلى المعشوق، فأهداه السّلام، فشفى نفسه العاشقة، فهو لا يعرف السّلوان والرَّاحة منذ أن غاب الحبيب، ويبدو أن أيام الوصال ذهبت، لتبقي مكانها ليلاً طويلاً من الفراق والأشجان، وتلك الليالي وما يذمُّ الشّاعر أواخرها حتى يتذكر أوائلها، يقول: **{الكامل}**

وَجَـــد الـــصَّبا لِلعَاشِـــقينَ رَسُـــولاً　　فَـــشَفى بِإهْـــداءِ الَّـــسّلامِ عَلِـــيلاً
قُـــلْ للأحِبّـــةِ إنّنـــي مُـــذْ غِبْـــتُمُ　　لَـــمْ ألـــقَ وَجْهـــاً لِلـــسُّلوِّ جَمـــيلاً
وَخَلَعـــتُ أيّـــامَ الوِصـــالِ قَـــصيرةً　　وَلَبـــستُ لَـــيْلاً لِلفِـــراقِ طَـــويلاً
وَأبَـــى الليـــالي مـــا ذَمَمْـــتُ أخيرَهـــا　　إلا ذَكَـــرتُ بِهـــا العُهـــودَ الأولـــى
أنجـــومَ لَيلـــي أيْـــنَ بَـــدري طَالِعـــاً　　أوَ مِنْـــهُ مـــا تَتَعلَّمـــين أفُـــولا[(3)]

ويتحدث أسامة بن منقذ عن محبوبته المرتحلة، ويصف ديارها ورحيلها، ثم يبكي ألماً لفراقها، ثمّ يصف جَمال المحبوبة ويتحدث عن حنينه إليها[(4)]، يقول: **{الكامل}**

هَـــذا وقُوفُـــك لِلـــودَاعِ ، وهـــذه　　أظْعــانُ مَــنْ تَهـوَى، وتِلْـكَ دِيـارُهُ
فَاسْـــتبقِ دَمْعَـــكَ فهـــو أوّلُ خَـــاذلٍ　　بَعـــدَ الفِـــراقِ وإنْ طَمَـــا تيَّـــارُهُ
مَـــدَدُ الـــدُّموعِ يقـــلُّ عَـــن آمـــدِ النّـــوَى　　إن لـــم تَكُـــنْ مـــن لُجَّـــةٍ تَمتـــارُهُ

---

(1) حبيب محمود، وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، 121، رسالة دكتوراة ،جامعة تشرين، دمشق،2003.
(2) ينظر: دقالي، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 241.
(3) الأرجاني، **الديوان**، 175/2.
(4) ينظر: سليمان رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 186، 187، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م) (د.ت)

ليــتَ المطايَــا مَــا خُلِقــن، فكَــم دمٍ سَـــفكته يثقــل غيرَهــا أوزَارُهُ
مَــا مــاتَ صــبٌّ إثــرَ إلــفٍ نَــازحٍ وَجْـــداً بِـــه إلَّـــا لَـــدَيْهَا ثَــارُهُ
أشْـــتَاقُهُ، وهـــو الـــسّوادُ بِنـــاظري مــا حِيلتــي، وغــداً يَــشُطُّ مَــزارُهُ[1]

و يبحث أسامة عن عزاء له يخفف من أشواقه وحنينه إلى المحبوب البعيد، فلا يجد إلا طيف المحبوب الّذي يداعب أجفانه أو يزوره في نومه، فلم يكن يستطيع رؤية محبوبته إلا في خياله، وكان ذلك كافياً لإخماد شيء من مشاعر الحنين والشّوق، إلّا أن الفراق يُحزنُ الشّاعر ويؤلمه، فلا يجد الصّبر والعزاء: **{ الكامل }**

إنْ تَقْطَــعَ الأيّـــامُ مِنـــكَ عَلائِقـــي فأنَــا المُواصــلُ بــالودَادِ الــصَّادق
أرضَــى مِــن العهــد القــديم بِرَعيْــهِ ومِــنَ الزِّيــارةِ بالخَيــالِ الطَّــارق
هَـــذا، وَعِنـــدي لِلفِـــرَاقِ مــــآتِمٌ فيهــا التَّجمُّــلُ والعَــزَاءُ مُفــارِقِيْ[2]

وطيف المحبوبة لا يقف عائقاً في طريق أسامة بن منقذ، وإن لم يفِ بالغرض المطلوب يقول: **{ الرّجز}**

أفِــدْي خَيــالاً زارَ رَحْلــي مَوهِنــا[3] عَلــى تَنَــائي دَاره كَيــفَ اهْتَــدى
عَهدتُـــه مُوسَّـــناً[4] رِأدَ الـــضُّحى فَكيــفَ جَــابَ فــي الظَّــلام ِالفَدْفَــدَا
عُلالَـــة عَلَّلنـــي الـــشّوقُ بِهـــا والمــاءُ فــي الأحــلامِ لايُــروي الــصَّدَى
ثُــمَّ هَبَبْــتُ، لَــا بِــكَ الوجــدُ الــذي حرَّكَـــهُ طَـــيْفُهُم وَجــــدَّدَا[5]

"إن التّذكر يزيد الحنين، ويؤجج نيرانه في قلب المحب الولهان، فإذا ذكر العذول محبوبه بغية نصحه، أشعل النِّيران في قلبه بدلاً من أن يطفئها"[6]: **{الطّويل}**

بِنَفسي عَذولٌ، لامَ فيكُمْ فردَّ لي بِـــذكركُم رَوْحَ الحَيـــاةِ عَـــذُولِ

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 70، 71.
(2) نفسه،91.
(3) موهنا: نحو من نصف الليل، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وهن).
(4) موسنا: من الوسن، وهو شدة النوم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وسن).
(5) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 67.
(6) سليمان ،رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 189، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، (د.م) (د.ت)

لَحَى ناصِحاً فيكُم، فَأذكَى صَبَابتي وتُـذكِي الرِّيـاحُ النَـارَ، وَهـيَ بَليـلُ[1]

يشكل الهجران مادة أساسية تغني موضوع الحنين، فالفراق تتبعه دوماً مشاعر الشّوق والحنين إلى المحبوب[2]، وهذا ما جعل أسامة بن منقذ يبكي ألماً على فراق المحبوبة الّتي يحن إليها، يقول: **{ مجزوء الكامل}**

وَكَـــــــم التَّفـــــــرُّقُ؟ آنَ أنْ تَـــــدنُو الـــــدّيارُ وأنْ تَروحُـــــوا
مَـــــاذا يُجـــــنُّ مـــــن الحَنيـــــ ـــــن إلـــيكُمْ القَلْـــبُ القَـــريحُ
أنَـــا بَعْـــدَكُمْ كـــالوُرق فـــي أغْــــصَانِها أبَـــــداً تَنـــــوحُ
لكنَّهـــا غَاضَـــتْ مَـــدا معُهـــا، وَلــي دَمْـــعٌ سَـــفوحُ[3]

ويتذكر أسامة بن منقذ أيام الوصال الّتي قضاها قرب المحبوبة، فهو يحن إلى تلك الأيام السّعيدة، إذ يقول: **{المنسرح}**

أيّـــامُ وَردي مـــن مـــاءِ أوجهكُـــم عَـذبٌ وَقلبـي بَعـد الـوُرُودِ صَـدِي
فَفَـــرَّ قَتْنـــا النَّـــوى، فـــواظَمَئِي إلـى ارتِـشَافِ العُقَـارِ مِـن بَـرَدِ[4]

وهؤلاء أحبة المهذب بن الزّبير يرحلون عنه، فيظل متذكراً لهم مترددا بين أوطانهم حيران أسفا، يشتمّ الدّيار، ويقبّل الآثار،لعلها تخفف ما من شوقه، إنه مازال متعلقاً بهم متمنياً أن يكون معهم؛ ليروي قلبه بنظرة منهم، كما في قوله :**{الكامل}**

رَحَلُـوا وفـي القَلـبِ المُعَنّـى بَعـدهم وَجْـدٌ علـى مَـرِّ الزَّمَـانِ مُخَـيّمُ
وَسَـرَوْا وَقَـد كتمُـوا المـسيرَ، وإنّمـا تَـسْري إذا جَـنَّ الظّـلامُ الأنْجُـمُ
وتَعوَّضَـتْ بـالأنْسِ رُوحـي وَحْـشَةً لا أوْحَـشَ اللهُ المَنَـازلَ مِـنهُمُ

---

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 95.
(2) سليمان، رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 190، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت).
(3) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 59.
(4) نفسه، 62.

لَــولا هُــمُ مـــا قُمْــتُ بَــين ديـــارِهُمْ حَيــــرانَ أسْــــتَافُ الـــدِّيارَ وألْـــثِمُ
أمنـــازلَ الأحَبـــابَ، أيـــن هُـــمُ وأيْـــ ـــنَ الـصَّبرُ مِـنْ بعـد التَّفـرُّقِ عَـنهُمُ[(1)]

وقصد أحباب ابن الزّبير الشّام، فبقي وحيداً يبري جسمه الشّوق والحنين لهم، ويطير قلبه صَبابة من أجلهم، وكلما لمح طرفه برق الشّام على بعده، يتخيل أن البروق سيوف قاتلة وجهت صوبه :**{ الطّويل }**

أأحْبابَنـــــا مَـــالي إذا مــــا ذَكــــرتُكمْ وَمَـا أنـا نـاسٍ- غَـال صَـبريَ غُـولُ؟!
وإنْ شَـامَ بـرقَ الـشَّامِ طِرْفـي وَشَـمَّرتْ علــى البُعْــدِ عَنــهُ للظّــلامِ ذُيــولُ
وَخُيِّـــلَ لـــي أنَّ الـــسّيوفَ بِجــوِّهِ سُــــلِلنَ، وَأنَّـــي بَيــــنهنَّ قَتيـــلُ
لـــئن أقفـــرتْ مِنّـــا الـــديارُ وَمِـــنكُمُ وَأمــستْ مَغــانيهنَّ وَهْــيَ طُلــولُ[(2)]

أما الأرجاني، فيطلبُ من سامعيه ألا يتعجبوا من احتراق قلبه ونضب دموعه، فقد تحول كله إلى فؤاد مشتاق ولهان عند ذكر الأحبة: {الطويل}

فَـــلا تَتَعجّـــبْ أنَّ خَـــدِّيَ مُجْـــدِبٌ لحَـرِّ الجَـوى أوْ أنَّ دَمْعِـيَ نَاضِـبُ
فَكلـــيِّ فُـــؤادٌ عِنْـــدَ ذِكْـــرِ أحْبّتـــي مِنَ الـشَّوْقِ لا مـا أوْدَعَتْـهُ التَّرائِـبُ[(3)]

وفي قصيدة أخرى يبين المهذب بن الزّبير كيف أن صور أحبابه ظلت ماثلة أمامه، وكيف بقي ذكرهم مقيماً بفؤاده، تنهمر الدّموع لوعة وحسرة على فراقهم، يقول: **{الكامل}**

لَكـــمُ خَيـــالٌ فـــي الجفُـــونِ مُمَثّـــلُ أبـــداً، وَذكـــرٌ بِـــالفُؤادِ مُوَكّـــلُ
وإلـــــى دِيــــاركمُ نَحــــنُّ صَـــــبابة وَنَفُـضُّ أوْعيَـةَ الـدُّموعِ ونُرسِـلُ[(4)]

ويخاطب القاضي الفاضل أحبته الّذين فارقوه وأبعدوا عنه، فزادوا من لوعته وألمه، وأحرقوا قلبه الّذي نزلوا فيه ثم أهلكوه، وما الغيث سوى دمعه النّازل

---
(1) المهذب بن الزّبير، **الديوان،** 220.
(2) نفسه، 206، 207.
(3) الأرجاني **الديوان،** 138/1.
(4) المهذب بن الزبير، **الديوان،** 209.

المنهمر دون توقف، وما الرّعد إلا حنينه الدآئم الملتهب، فهو يكابد الشّوق والحنين في غيابهم.

إذ يقول: **{الطّويل}**

رِيَــــاحُ زَفِيــــرٍ للــــدُّموعِ لـــــوافحٌ	ومَــــــا هــــــيَ إلا القُلـــــوبُ لـــــوَائِحُ
وَعِنـــدي وَقَـــد فَـــارقتكُمْ كـــلُّ زَفْـــرةٍ	تُمِــلُّ بِهـــا الأشـــجَانُ، والـــسِّرُّ شَـــارحُ
لَقَــد مَــنَحَ الحِــصنُ الّــذي هُــو مَــانِعٌ	كَمَـــا مَنَـــع الـــدَّهرُ الّـــذي هُـــو مَـــانِحُ
سَــــلامٌ عَلــــيكُم، إنَّ قَلبــــيَ دارُكُــــمْ	أقَـــرَّ بهــــا، والــــدَّمعُ سَــــاقٍ وســــافح
وَمَــــا هـــوَ إلّـــا أنَّ قَلبِـــيَ طَـــائِرٌ	وَمَــــا هَـــــو إلا أن لُبِّــــيَ طَــــائِحُ
وَمَــا الغيــثُ إلّــا مــن دُمــوعيَ ســاكِبٌ	ولا الرَّعـــدُ إلا مِـــنْ حَنينـــيَ نَـــائِحُ[1]

ويسأل الشّاعر ديار الأحبة لعله يجد جواباً، وما جوابه إلا البكاء الدّائم، فهو غريب في الأوطان بعد رحيل الأحبة وتغير المعالم، فموطنه الأصلي هو الوصال واللقاء بالأحبة، يقول القاضي الفاضل: **{ الخفيف }**

يَـــا دِيَـــارَ الأحْبَـــابِ، عَابَثَـــكِ الدَّهْـــ	ـــرُ فَكَـــانَ الجَـــوابُ مِـــنْ أجْفَـــانِي
وَخُيُـــولي الـــدُّمُوعُ والـــنَّفَسُ الـــصَّا	عِـــدُ شَـــوْطِي وَوَجَنْتـــي مِيـــدَاني
فَـــإذا قُلْـــتُ: أيْـــنَ دَاري؟ وَقَـــالُوا	هِـــيَ هـــذِي، أقـــولُ: أيْـــنَ زَمَـــاني
وَطَـــنُ العاَشِـــقِ الوِصَـــالُ، وَإلّـــا	فَهُـو عَـيْنُ الغَريـبِ فِـي الأوْطَـانِ[2]

إن الحنين إلى الأحباب والتّلهف عليهم يصور انشطار الشّاعر المحب بين ما هو روحي ويمثله القلب، وما هو مادي يمثله الجسد[3]، وقد يتحقق هذا الانشطار عند الشّاعر الّذي يبعد عن الأحبة جسدياً ويقربون منه روحياً، وهذا ما يلمس في أبيات ابن مطروح مخاطباً طيف الحبيب، داعياً له بالسّلام والخير،متسائلاً هل يجتمع الشّمل من جديد، ومتمنياً أن تعود الأيام الماضية بما تحمله من لذة العيش المفتقدة،

---

(1) القاضي الفاضل، الديوان، 138/1.
(2) نفسه، 1/ 122.
(3) ينظر: دقالي، محمد أحمد ، **الحنين في الشعر الأندلسي**،296.

فيقول: **{ الطّويل }**

غَرَامــــي إلــــيكُم مَــــا عَلَيْــــه مَزيــــد وَطَرفـــي وَدمعـــي شَــاهد وشَـــهودُ
أحـــــنُّ إلـــــيكم والمهامـــــةُ بَيننـــــا فُـــؤَادي قَريـــبٌ والمَـــزارُ بَعيـــدُ
عَـسى طيـبُ أيّـام الوصـالِ تَعـودُ لـي نَعـم، وَليـالي الوَصْـلِ عَـلَّ تَجـودُ
ألا فَـانْعَموا لِـي بِالـسَّلام مـع الـصَّبا فَــإنَّ فُـــؤَادي مُـــدْنَف وَعَميـــدُ
تُـرَى: هُـل تَعـودُ الـدَّارُ تَجْمـعُ بَيْننـا وَتَرْجَـــعُ أيّـــام الحِمـــى وَتعـــودُ
لَـئِنْ رَجَعـتْ تِلْـكَ الليـالي الّتـي مَضتْ وَعـــاتبتُكم، إنّـــي إذن لَـــسعيدُ[1]

ويسأل ابن مطروح إذا ما جلب النّسيم الحاجري بعض أخبار الأحبة المضمّخة برائحة المسك، و إذا ما حمل البريق رسالة حب منهم تحمل الحديث نفسه الذي جرى بينه وبينهم، يقول: **{الكامل}**

هَلْ فـي النَّـسيم الحـاجريِّ[2] إذا سَـرَى خَبَـرٌ، أظـنُّ شَـذاهُ مِـسْكا أذْفـرا[3]
أمْ عِنْـــدَ خَفّـــاق البُريَـــق رســـالة جَاءتْ تُعيد لَنا الحديثَ كَما جَرَى؟[4]

يمثل البرق هاجساً كبيراً للشّاعر المحب، وباعثاً على الشَّجن والحنين حيث يستحضر الذّكريات، وتتصارع العواطف والأحاسيس، فالملك الأمجد يؤرقه البرق المنعطف من الوادي، ويهيج أشواقه وأوجاعه، ويذكره بالمحبوب الغائب يقول: **{البسيط}**

أرقْـــتُ مِـــنْ بَـــارقٍ بـــالجِزْعِ لمّـــاعِ بـــدا فَهـــيّجَ أشْـــواقي وَأوجْـــاعي
أهــدَى الحَنــينَ، وقــد لاحَــتْ لوامِعُــهُ لِمُغْـــرمٍ، مِـــن بعـــادِ الحـــيِّ مُرْتَـــاعِ
مُـــصَاحِبُ البـــينِ مَـــا تَنفـــكّ أيْنُقُـــهُ مُغـــدَّةً بـــينَ أجْـــراعٍ وَأجـــزاعِ
تَعـــافُ أنْ تـــردَ المَـــاءَ الجِمـــامَ وأنْ تَرْعى الجميمَ[5]على خِصْبٍ وايضاعِ[6]

(1) ابن مطروح، **الديوان**، 119.
(2) الحاجري:هو موضع في ديار بني تميم، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 236/2.
(3) الأذفر: طيب الرائحة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذفر).
(4) ابن مطروح، **الدّيوان**، 132.
(5) الجميم: النبت الكثير، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جمم).
(6) الملك الأمجد، الديوان، 87.

ويؤرق طيف الأحبة نوم ابن قسيم الحموي[1]، الذي لعبت به زفرات الشّوق والحنين، وهذا ما جعله يقدم على الصعاب والخطر دون تردد،

يقول: **{الوافر}**

سَـــرَى طَيْـــفُ الأحبَّـــةِ مِـــنْ بَعيـــدٍ   فَعوَّضَـــنا الـــسُّهادَ مـــن الهُجُـــودِ
وَقَـــد لَعِبَـــتْ بـــه زَفَـــراتُ شَـــوْقٍ   تُجَـــسِّرُهُ علـــى الخَطـــرِ الـــشَّديد[2]

ويغمر الشّوق والحنين عرقلة الكلبي تجاه من يحب، ويصور تملكه لجميع جوانحه، فصورة المحبوب لا تفارق خياله، وهو لا يستطيع نسيانه، وقد حاول جاهداً المحافظة على عدم البوح بسره، غير أن الفراقَ والبعد جعلا دمعه ينهمر، ولو كان المحب يسبح في دموعه المسكوبة من لوعة الحب، لكان الشّاعر أول السّابحين في دموعه، ولو علم أن الفراق يقتل المحب لما فارقهم، ولكن كان ما كان، إذ يقول: **{البسيط}**

عِنـــدي إلـــيكُمْ مِـــنَ الأَشْـــوَاقِ والبُرحـــا   ما صُيِّر القلبُ من فرطِ الهوى شَبَحا
أحبَابنـــــا لا تَظنـــــوني سَـــــلوتُكُمُ   مَـا حالـت الحـالُ، والتَّبـريحُ مـا بَرِحـا
لَـوْ كَـانَ يَـسْبحُ صَـبٌ فـي مَدامِعِـه   لَكُنـتُ أوّلَ مـن فـي دمعِـهِ سَـبَحا
أو كُنـــتُ أعْلَـــمُ أنَّ البَـــينَ يَقْتلنـــي   مـا بِنـتُ عَـنْكم، وَلَكـن فَـاتَ مَاذُبحـا[3]

وتصاعد الشّوق والحنين بالعماد الأصبهاني، فأقسمُ إلى الأحبة بالوفاء والإخلاص، والبقاء على العهد في القرب و البعد، يقول: **{السّريع}**

وَحُرمَـــةِ الـــوُدِّ الّـــذي بَيْننـــا   وَمَـــا لَنـــا مِـــنْ كَـــرَمِ العَهْـــدِ
مَـــا نقَـــضتُ عَهْـــدي لَكُـــم جَفْـــوةٌ   وَلا أحَالَـــــتْ حَالَـــــةٌ وُدِّي
وَلا تَغيّـــرتُ، وَيْـــأبَى الهَـــوى   وَذاكَ فـــي قُـــرْبٍ وَفـــي بُعْـــدِ[4]

---

[1] ابن قسيم الحموي: هو شرف الدين أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم التنوخي الحموي، ولد بحماة، وكانت وفاته سنة 542هـ، ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 4/ 134.،والبغدادي، **هدية العارفين**،2/ 432.
[2] ابن قسيم الحموي، الديوان، 43.
[3] عرقلة الكلبي، **الديوان**، 17.
[4] ابن العماد الأصبهاني،**الديوان**، 136.

إن رحيل المحبوب أكثر ما يقاسيه الشّاعر وأشد ما يعانيه، فليل الشّاعر يطول، وتتوالى الهموم، وتلتهب نيران الأشواق، حتى لم يعد يطيق ألم الفراق، أو حتى يتحمل أشجانه ولواعجه، يقول العماد الأصبهاني: **{الوافر}**

أحْبّـــة قلبـــي طـــالَ ليلـــيَ بُعـــدكمْ   أســىً فمتــى ألقــى بــوجهكم الفَجْــرا
سَـكنتمْ فـؤادي، وَهـو فـي نـار شَـوْقكُمْ   فَهــلاً أخــذتُم فيــه مِــنْ نَــاره جِــذرا
فَقَــدتُ حَيــاتي مُــذ فقــدتُ لِقَــاءكُمْ   فَهــل بِحيــاتي مِــنكُم نــشأة أُخــرى
لَقَــد عَــادَ أُنــسي وحــشةً بِفــراقكمْ   كَمَـا عَـادَ عـرفُ الـدَّهر بَعْـدكم نُكـرا
وَقَــد كُنــتُ مُغتّــرّاً بأيــامِ وَصْــلكمْ   ولا يَــأمنُ الأيّــامَ مَــنْ كَــان مُغتَــرّا[1]

ويتحدث الشّاعر عن رحيل الأحبة، فيكون الليل مصدر قلق واضطراب وباعثاً على الكثير من الأشواق واللواعج، وتزيد حدتها خاصة عندما يتذكر الحبيب فيتصاعد حنين الشّاعر[2].وهذا ما يظهر في قول الكندي البغدادي :**{الطويل}**

سَـرى مَعكـمُ نَـوْمي فَأصـبَحتُ بَعْـدكُمْ   ألــومُ الــسَّرى منــه وَأبَكــي سَــراكمْ
رَضِــيتُمْ بِعَــادي عَــنْكمُ فَرَضِــيْتُهُ   لأنــــيَّ أهْــــواكُمْ وَأهْــــوى هَــــواكمْ
شَــجَاني غَــرامٌ لــو وَفِيــتُمُ بِبَعْــضِهِ   لقلــــبِ المُعنَّــــى فِــــيكمُ لــــشَجَاكمْ
أعيـدوا لَنـا عِيـدَ الوصـالِ- علـى اللـوى   سَــــقى اللهُ أيّــــامَ اللــــوى وَسَــــقَاكمْ
وَداووا بِلقيــاكم فُــؤَادي مِــنَ الــضَّنا   فَهيهــاتَ أنْ نَلْقــى طَبيبــاً سِــواكمْ
دَهَــاني اشْــتِياقٌ لَــمْ تُــصبكم سِــهامهُ   فَيَــا لَيْتــه لمَّــا دَهــاني دَهَــاكم[3]

ويتضاعف الشّوق والحنين بالبغدادي، فيبعث رسالة من قلبه إلى المحبوبة، قائلاً: **{الكامل}**

إنّــي كَتبــتُ إلــى الحَبيــبِ رســالةً   مِــنْ مُهجــةٍ لِــمْ يبــقَ غَيْــر ذمائِهــا
مــن فــرطِ شَــوْقٍ إنْ أرادَ طَمَــسْتُها   مِــنْ مُقلتــي بِــسوادها لا مائِهــا[4]

---

(1) العماد الأصبهاني، **الدّيوان**،، 155.
(2) ينظر:دقالي،محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 298.
(3) الكندي البغدادي،، **الديوان**، 74، 75..
(4) نفسه، 80.

ويطغى الشّوق والحنين على ابن الخيّاط تجاه من يحب، فيصور تملكه لجميع جوانحه فلا يستطيع الوقوف عن البكاء والنّحيب، فرحيل الأحبة يزيد الشّاعر ألما وحسرة، إذ يقول :**{الطويل}**

أمَــا وَالهــوى يَــومَ اســتقلَّ فَرِيقُهــا لَقَــدْ حَمَّلْتنــي لوعــةً لا أُطِيقُهــا
تَعجّــبَ مِــنْ شَــوقي وَمَــا طَــال نَأيُهــا وَغَيْــرُ حَبيــبِ الــنَّفْسِ مَــنْ لايَــشوقُها
فَــلا شَــقَّها مَــا شَــقَّني يــومَ أعْرَضَــتْ صُــدوداً وَزمــتْ للتَّرحُّــلِ نُوقُهــا [1]

ويعتذر ابن النبيه المصري، من نوقه، فالشّوق الملتهب كلفه بالذّهاب إلى ديار الأحبة، فلا غاية له، ولا هدف بعدها، يقول: **{البسيط}**

يَــانوقُ عُــذراً فَــإنَّ الــشَّوقَ كَلَّفَنــي إلــى الحَبيــبِ بِمَــسرانَا فَــلا تَلُمــي
مَــا لِــي ولا لَــكِ بَعْــدَ الــدَّارِ مِــنْ أرَبٍ هَــذى الظّبــاءُ وَبَيــتُ المَــوْرِدِ الــشَّبِم [2]

ويتصاعد الشّوق والحنين بابن السّاعاتي،ولكن دون فائدة منهما فهما لا يطفئان عطشه وتلهفه إلى هند ، إذ يقول :**{الطّويل}**

أحــنُّ إلــى هِنْــدٍ وَهَــلْ يَنقَــعُ الــصَّدى وَبَـرْحَ الحـشا قَـوْلي أحـنُّ إلـى هِنْـدٍ [3]

والحنين إلى المحبوبة حالة شعورية، تنفجر في نفوس الشّعراء حيثما حلوا، وأينما نزلوا، فلا ينفك خيالها يؤرق الشّاعر، ويضاعف إحساسه بثقل الغربة، فيبث حنينه حسرات يائسة، يشكو فيها فراق المحبوبة[4]،فهذه زفرات ياقوت الرومي[5] تتصاعد حنينا وأشواقاً حارة يبكي فيها لوعة الفقد وأسى الاغتراب،فيقول: **{البسيط}**

إنْ غَــاضَ دَمْعُــك والأحَبــابُ قَــد بَــانوا فكلَّمـــــا تَـــــدَّعي زُوْرٌ وَبُهْتـــــانُ

---

(1) ابن الخياط،، **الديوان،** 44.
(2) ابن النبيه المصري، **الديوان،** 449.
(3) ابن الساعاتي، **الديوان،** 99/1.
(4) ينظر: حبيب محمود،وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين،2003م.
(5) ياقوت الرومي: عبد الرحمن بن عبد الله الرومي، أبو الدر الشاعر مولى أبي منصور الجبلي، كان اسمه، ياقوت ، وجد ميتا بداره، سنة 622هـ، ينظر: **الوافي بالوفيات،** 18/ 169.

.

وَكيـــفَ تَـــأنسُ أوْ تَنْـــسى خَيـــالَهُمُ   وَقَـــد خَـــلا مِـــنهم رَبْـــعٌ وَسُـــكَّانُ؟
لا أوْحَـــشَ اللهُ مِـــنْ قَـــومٍ نَـــأوا فَنَـــأى   عـــنِ النَّـــواظِرِ أقمـــارٌ وأغْـــصانُ[1]

يتضاعف مدى الألم في نفس ابن الرّشيد النّابلسي[2]، حين يقسو عليه المحبوب بهجره، وينسى عهده مما يجعله يبكي بكاء حاراً، إذا خطر بباله، ورغم الألم والقسوة، فإنه يتحمل هجران الحبيب وصدوده، إذ يقول: **{الوافر}**

أقاسِـــي مِـــن صُـــدُودِكَ مَـــا أُقاسِـــي   وَقَلبُـــكَ لا يَـــزالُ عَلـــيَّ قاسِـــي
وَعَهْـــدُكَ ذِكْـــرُهُ أبـــداً سَـــمِيري   وَأنـــتَ مَـــضَيِّعٌ للعَهـــدِ ناسِـــي
ومـــا مُثِّلـــتَ لِـــي وشـــربت إلّـــا   مَزَجـــتْ بِـــدَمعي المنهَـــلّ كَاسِـــي
تَحكَّـــم فـــيَّ مَـــا تَهـــوى وَغـــادَرْ   سَـــقامِي لا تَداركُـــه الأواسِـــي
فَمَهْمَـــا تَـــأتِني مِـــن فِعْـــلِ سُـــوءٍ   فَمَحمُـــول عَلـــى عَيْنِـــي وَرَاسِـــي[3]

ويبرز مدى حنين أبي عبد الله الأنصاري[4] للأحباب في خطابه لمنزلهم واستحضار صورهم من خلال الهجر والبعد وإفقار الدّيار، والبين، وذوبان الجسم الذي هاجه الشّوق المبرح إلى المحبوب: **{ الطّويل }**

أيَــا مَنْــزلَ الأحَبْــاب هَــلْ فِيــكَ مُخْبِــرُ   يُخَبِّرنُـــيْ أمْ هَــلْ نَــرَى فيــكَ مُنْجِــدَا
عَفَــوْتَ فَــأعْفَى رَسْــمَكَ المَــوْت وَالبلَــى   وَأقْفَــرْتَ حَتَّـــى لا أرَى فِيــكَ مُــسْعدا
أحبَّـــة قَلْبـــي فَـــرَّق الـــدَّهرُ بَيْنَنَـــا   فـــلا تُـــشمتُوا بـــالّبين أشْـــرَارَ حُـــسَّدَا
بَعُـــدْتم فَـــذَاب الجِـــسمُ بَعْـــدَ بِعَـــادكُمُ   وَأخْلَيـــتُمُ الأوْطَـــانَ أشْـــمَتُمُ العـــدا
فعـــودوا يعـــود الوصـــل بعـــد قطيعـــةٍ   فهيهات راح اليوم فاصبر إلـى غَدَا[5]

---

(1) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،3/ 268.
(2) ابن الرشيد النابلسي: عبد الرحمن بن الحسن بن المفرج بن بكار، رشيد الدين النابلسي، مدح الناصر وأولاد ينظر: ابن الشعار ، الموصلي **قلائد الجمان**، 271/3، 272.
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 284/3.
(4) أبو عبد الله الأنصاري: محمد بن غسان بن غافل بن نجاد بن غسان بن غافل بن نجاد بن تامر بن تامر بن الأمير الأنصاري الحمصي، ولد بحمص، وقدم دمشق وهو صبي، كانت وفاته سنة 632هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 313/9.
(5) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 300/7.

ويشتاق ابن قاضي بالس[1] إلى محبوبته فيتساءل: أما زالت على عهد عشقها قبل الفراق؟ أم تغيرت، فالأشواق تتصاعد في قلبه كل يوم أملاً باللقاء، ويتمنى أن تجود بطيفها، وإن حرمته الوصل، يقول: **{ الخفيف }**

أتُرَاهَـــــا تَـــــــرقُّ للعُـــــــشَّاقِ   رَحْمَـــةً مِـــنْ لَـــوَاعجِ الأشْـــوَاقِ
وَتُـــرَى وُدُّهِـــا عَلَـــى مَـــا عَهِـــدنَا   قَبْـــلَ أنْ يَحْـــدُثَ التَّفَـــرُّقُ بَـــاقِيْ
كُـــلُّ يَـــوْمٍ أرَى بِقَلبِـــيَ أشْـــوَا   قـــاً إلَـــى قُربِهَـــا وَوَشْـــك التَّلَـــاقِيْ
لَـــمْ أجِـــدْها بـــالأمسِ فِيـــهِ فَحَـــسْبِي   ضَـــرّةَ البَـــدْرِ فِـــي الهَـــوى مَـــا ألَـــاقِيْ
قَـــدْ حُرِمْنَـــا مِنْـــكِ الوِصَـــالَ فَجُـــودِيْ   بِخَيَـــالٍ مِـــنْ طَيْفِـــكِ الطَّـــرَّاقِ[2]

يظل الليل فضاء الحنين، حيث يسيطر الخيال على نفس الشّاعر، فيتخيل هاجس الحبيب وطيفه، فالليل فسحة اللقاء بين المحبين، وبارقة الأمل بينهما، مهما تعددت المسافات وشط المزار[3]، وتظهر هذه التّجربة عند ياقوت الرومي، فالشّوق والحنين يسيطران على كل جوانحه، فلولا المحبوب لما ذاب فؤاد ولا شابت مفارق، فلم يعد يهتم بالفراق بعد غيابه، فقد دام سهره وقلّ نومه، كما في قوله :**{ الطّويل }**

خَليلَـــيَّ لا واللهِ مـــا جَـــنَّ غاسِـــقٌ   وَأظلَـــمَ إلا حَـــنَّ إذْ جُـــنَّ عَاشِـــقُ
أحِـــبُّ سَـــوادَ اللّيـــلِ حُبّـــاً لِـــشادنٍ   يُواصِـــلُني لَـــيْلاً وَصُـــبحاً يُفَـــارِقُ
إذا سُـــمتُ قَلْبِـــي الـــصَّبْرَ زَاد تـــشوقاً   فَقَلْبِـــي مَـــشوقٌ واصـــطِباري شَـــائِق
ومـــا الـــصَّبْرُ بالمُـــشْتاق عَمَّـــن يُحِبُّـــهُ   وإنْ ســـاءَهُ مِنْـــهُ خَلائـــقُ لائِـــقُ
بِرُوحِـــيَ مَـــنْ روحِـــي تُـــساقُ إذا حَـــدا   مَطايـــاهُ حَـــادي البَـــيْن أو سَـــاقَ سـائِقُ
مفارَقَـــةَ الأحْبـــابِ لَـــولاك لَـــمْ يَـــذُبْ   فُـــؤادٌ ولا شَـــابتْ لِـــصبٍّ مَفَـــارِقُ
أمنـــتُ الجَـــوى وَالبَـــيْنَ غَـــبَّ فِراقِـــه   فَلَـــستُ أُبـــالي بَعْـــدَهُ مَـــنْ أُفـــارِقُ
وأنكحـــتُ أجْفَـــاني الـــسُّهاد لِبُعْـــدِهِ   وقُلْـــتُ لِنَـــوْمِي بَعْـــدَهُ أنْـــتَ طَـــالِقُ[4]

وتقترن الغربة والفراق بحنين الأحباب، فالبعد يؤرق الشّاعر، ورؤيته البرق في الليل تبعث الشّجن، فيتذكر المحبوب ويحن إليه، فيموت شوقاً وحزناً على ذلك، على نحو ما يظهر في قول ابن قاضي بالس:

---

(1) ابن قاضي بالس: نصر بن يوسف بن عبد الرازق بن عبد الوهاب بن الخضر بن عجلان بن عبد الله بن ربيعة، المعروف بابن قاضي بالس، ويعرف بالجعبري، توفي بدمشق، في ذي القعدة سنة 623هـ، وكان قد توفي له ولدان قبله فحملوا جميعهم إلى بالس، فدفنوا بها، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 9/9.
(2) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 12/9.
(3) دقالي، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 299.
(4) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 269/3.

{ الخفيف }

عَــــاوَدَ القَلْــــبَ وَجْــــدُهُ وَالخُفُــــوقُ حِــيْنَ لاحَــتْ مِــنَ الغُــوَيْرِ البُــرُوْقُ
أذْكرَتْــــهُ الأحْبَـــابَ فارْتَـــاحَ شَـــوْقاً وَحَنِيــــاً مِنْـــــهُ الفُــــؤَادُ المَــــشُوْقُ
وَكَـــذا كُـــلُّ مُغْـــرَمِ القَلْـــبِ يَـــشْتَا قُ وَمَـــنْ لَـــا يَـــشُوْقُهُ المَعْـــشُوْقُ[(1)]

وتهيج رؤية البرق أشجان الطّوسيّ[(2)] وأحزانه، فيبكي بكاءً حاراً، لشدة الشّوق والحنين، ويطرب لصوت الحمام، فهي تبث أشجانه، وتشاركه أحزانه وآلامه، ويشتاق ريح الصَّبا فكأنها برائحة المسك تفوح من صوب الحبيب الغائب، فيقول في ذلك: **{ الطّويل }**

أهاجَــــكَ بَــــرقٌ بـــــالأبيْرقِ لائِـــــح فَـدَمْعُكَ مِـن سُـحْبِ النَّـواظر سَـائِحُ
وَتُطرُبــــكَ الوَرْقَــــاءُ حَتّــــى كأنّمـــا تَبُثُّــكَ أشْــجانَ الهَــوى وَتُطـــارحُ؟
وَتـشتاقُ عَـرْفَ الـرِّيح جَـاءتْ بـه الـصَّبا كَـأنَّ نَـسيمَ الـرِّيح بالمـسكِ فَـائِحُ[(3)]

ويتصاعد الشّوق والحنين بأبي الغيث البصري[(4)] إلى محبوبته، فتناجي أشواقه الحبيب وتخبره عن غرامه الملتهب وحنينه الدّائم، ويشكو له طول البعد والفراق، إذ يقول: **{ الطّويل }**

كِتَــابي بِأشْــواقي إلــى مَــنْ أحبُّــهُ يُناجيــه عنّــي بِــالغَرامِ المحـــرِّقِ
وَيَــشكو إليــه عــن لِــساني تَــألُّمي بطـولِ النَّـوى عَنْـه وَطُـول التَّفـرُّق[(5)]

ويقاسي ابن الزّبير الأسواني[(6)] من رحيل الأحبة، فهو أمر عظيم وقعه صعب، فقد سلب النّوم من جفونه، ودموعه دائمة النّزول، حيث يهيم صبابة ووجداً بأحبابه النّازلين قلبه وعقله، فالشّوق يتملك جوانحه جميعها ، فلا ذنب له في بعدهم سوى

---

(1) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان** 20/9.

(2) الطوسي:سليمان بن مسعود بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن محمد الطوسيّ، من أبناء حلب، كان شاعرا ذكيا فطنا، مقتدرا على المعاني واستنباطها، توفي في صفر سنة 643هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 164/5،وابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 45/3، 46.

(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 49/3، 50.

(4) أبو الغيث المصري: شعيب بن أبي طاهر بن كليب بن مقبل، أبو الغيث الضرير البصري، سكن بغداد وتفقه بها للشافعي علي أبي طالب الكرخي، وأبي القاسم الفراتي له شعر وترسل، توفي 618هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 163/16، 164.

(5) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 114/3.

(6) ابن الزبير الأسواني: أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغاني الأسواني المصري يلقب بالرشيد، كنيته، أبو الحسن، كان كاتبا شاعرا فقيها نحويا لغويا، توفي مخنوقا، سنة 562هـ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 399/1، 400.

أنه حفظ عهدهم في حين أنهم خانوا العهد، ويسأل الأحبة أن يرفقوا بحاله، فنار الأشواق تحرق قلبه ألماً : { **الكامل** }

رَحلــوا فَــلا خَلَــتِ المنـــازلُ مِــنهمُ   وَنَــأوا فَــلا سَــلتِ الجَــوانحُ عَــنْهُمُ
وَسَــروْا وقِــد كَتمــوا العــداةَ مَــسيرهم   وَضــياءُ نُــورِ الــشَّمس مَــا لا يُكــتمُ
أحْبابِنِـــا مِـــا كِـــان أعْظَـــمَ هَجْـــرَكُمْ   عِنـــدي وَلكـــنَّ التَّفـــرَّقَ أعظـــمُ
غِبْــتُمْ فَــلا واللهِ مــا طَــرَقَ الكَــرَى   جفْنــي ولكــنَّ ســحَّ بعــدكم الــدّمُ
وإذا سِـــئلتُ بِمَـــنْ أهِـــيمُ صَـــبَابةً   قُلــتُ الــذينَ هُــمُ الــذينَ هُــم هُــمُ
النَّـــازلين بِمُهجتـــي وَبِمُقلتـــي   وَسَــط الــسُّويدا والــسَّوادُ الأكْــرمُ
لا ذَنْــبَ لــي فــي البعــد أعرفُــهُ سِــوى   أنّــي حَفِظــتُ العَهــدَ لمّــا خُنْــتمُ
يَــا مُحْرقــاً قَلبــي بِنــارِ صُــدودِهم   رفقــاً ففيــه نَــارُ شَــوْقٍ تُــضرمُ[1]

ولا تفارق صورة الحبيب خيال الأصبهاني المنشيء[2]، فهو دائم الاشتياق والذكر له، إذ يقول: { **الطّويل** }

وَأنّـــي لَمُشْتَـــاقٌ إليـــكَ وَذَاكِـــرٌ   مَــدَى الدَّهْرِعَهْداً كانَ لِلشَّمل يَجْمعُ[3]

ويتخذ ابن الحرّاني الفقيه[4] من إلقاء السّلام على الأحبة متنفساً لآلامه فجفونه لم تغمض منذ غيابهم، يقول : { **المتقارب** }

سَــلامٌ عَلَــيكُم مَــضَى مَــا مَــضَى   فُرَاقِــي لَكُــمْ، لــم يَكُــنْ عَــنْ رِضَــى
سَـــلوا اللّيـــلَ عنَـــي فَمُـــذْ غِبْـــتُمُ   وَجفْنـــيَ بِـــالنَّومِ هَـــلْ غَمَّـــضا
أأحْبَـــابَ قَلبـــي وَحَـــقَّ الـــذي   بِمـــرِّ الفُـــرَاقِ عَلَينـــا قَـــضَى[5]

---

(1) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 403/1، 404.
(2) الأصبهاني المنشيء: الفتح بن علي بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن علي، أبو إبراهيم بن أبي الحسن البنداري المنشيء، نزيل دمشق ، ولد بأصبهان سنة 586هـ، وتوفي سنة 643، ينظر: ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان، 305/5.
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 309/5.
(4) فخر الدين بن تيمية الحراني: فخر الدين بن تيمة ،محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله الإمام فخر الدين، أبو عبيد بن أبي القاسم بن تيمة الحراني الفقيه الحنبلي، ولد في شعبان سنة 542هـ، توفي سنة 622هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 38/3.
(5) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 38/3.
.

نسي الأحبة عهد الشّاعر ونكروا حبه، مما زاد من وجده وصبابته، فيتساءل إذا بقي لهاجر وصل، ولغدار عهد، فهو صبار على ما يحل به، ولكن على بعد الأحبة غير صبّار، يقول ابن العين زربي:[1] **{ الطّويل }**

تَناســـيتمُ عَهْـــدَ الوَفَـــا بَعـــد تِـــذكارِ فَـأجْرى حَـديثي عَنْكُمُ مَـدْمَعي الجَـارِي
وَأنكرتمـــوني بَعْـــدِ عرفَـــانِ صَـــبْوتي فَهيَّجـــتُمُ وَجْـــدِي وَأَضْـــرَمْتم نَـــارِي
وَهَـــلْ دَامَ فـــي الأيّـــامِ وَصـــلٌ لِهَـــاجِرٍ وودٌّ لِخَـــــوَّانِ وَعَهْـــــدٌ لِغَـــــدّارِ
وإنّـــي لِـــصَبّارٍ علـــى مـــا يَنُـــوبني وَلَكِـنْ علـى هجـرَانِكُم غَيْـرُ صَـبّارِ[2]

ويبقى طيف المحبوب العزاء الوحيد، الّذي يخفف من صبابة الشّاعر ووجده، فهو مشتاق إلى الحبيب الغائب، الّذي لا يستطيع رؤيته إلا في المنام، إذ يقول ابن الكتّاني :**{ مجزوء الكامل }**

مَـــا ضَـــرَّ طَيْفَـــكَ لَـــوْ يَجُـــو دُ بِلَيْلَـــةٍ فِـــيْ الـــدَّهرِ أُخْـــرَى
حَتَّـــــى أبـــــثَّ إلَيْـــــهِ مَـــــا لاقَيْـــتُ مِنـــكَ قِلـــىً وَهَجْـــرَا[3]

ويقول أيضاً:**{ مجزوء الكامل }**

يَـــا طَيْـــفُ إنْ سَـــاعَدْتَنِيْ بَعْـــدَ القَطِيْعَـــةِ بِالوِصَـــالِ
لأعَـــدِّبَ الأيّـــامِ بِـــالأ حْلَـــامِ مِـــنْ قِـــصَرِ اللّيَـــالِيْ[4]

ويغير فراق المحبوب حالة الشّاعر، فقد انقضت أيام السُّرور والسَّعادة وغدت حياته بائسة لا سعادة فيها بسبب البُعدِ والفُراق، وانقطاع الوصال مع الحبيب ونسيانه الشّاعر، الذّي لم يخطر في باله النّسيان للحبيب الغائب ، يقول ابن الكتّاني: **{ مجزوء الكامل }**

مَنَعـــتْ وِصَـــالُ مِـــنْ الوِصَـــالِ فَبَقِيـــتُ مُرْتَقِـــبَ الخَيَـــالِ

---

(1) ابن العين زربي: حمزة بن علي أبو يعلي بن العين زربي، نسبة إلى عين زربي، الأديب الشاعر توفي سنة 556هـ، ينظر: ياقوت الحموي **معجم الأدباء**، 1221/3.
(2) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، 1222/3
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 239/10.
(4) نفسه، 253/10.

حَتّـــــــى أبـــــــث إليــــــهِ مَـــــا لَاقَيْتُـــــهُ مِـــــنْ سُـــــوْءِ حَـــــالِيْ
أرْعـــــــــى العُهـــــــــوْدَ لِبَانَـــــــةٍ صَـــــرَمتْ بِـــــلا سَـــــبَبٍ حِبَـــــالِيْ
مَـــــا بُالهَـــــــا تَـــــــسْلُوْ وَمَـــــا خَطَـــــر الـــــسُّلُوُّ لَهَـــــا بِبَـــــالِيْ[1]

ويمثّل الليل هاجساً كبيراً عند ابن الهبّاريّة، لأنه يذّكر الشّاعر بالأحبة الغائبين الّذين يحن إليهم حنيناً قوياً، ولشدة بكائه تخيل أن دموعه دموع الدّموع لا دموع الجفون، فيقول: **{ الطّويل}**

إذا جَـــنَّ ليلـــي واسْـــتقلّتْ نُجومُـــه وَلَـــمْ أرَ مَـــنْ أهْـــواه جُـــنَّ جُنـــوني
ولَمّـــــا نَهـــــانِيْ أنْ أحـــــنَّ إلـــــيكُمُ ضَـنـايَ وفَـرْطُ الـشّوق حَـنَّ حَنينـي
وَرقَّــتْ دمــوعُ العَــيْنِ حتّــى حــسبْتُها دُمــوعَ دُمــوعي لا دُمــوعَ جُفــوني[2]

ويذّكر الرّيحان والرّاح الشاعر بالحبيبة، يقول الشّاعر: **{ الطّويل }**

ذكرتُـــــك بِالرّيحـــــانِ لمّـــــا شـــــممتُهُ وبِـالرّاحِ لمّـا قابلـتْ أوجُـهَ الـشَّربِ[3]

ويسأل ظافر الحداد أحبته إن ظلوا على عهدهم، على الرغم من البين والفراق، فهو لم ينسهم، بل بقي مشتاقاً إليهم من فرط صبابته ووجده،قائلا: **{الطّويل}**

أأحْبابَنــا بــالثّغْرِ مَــا كــانَ مــن بَعْــدِي؟ تُــراكم وَإنْ طَــالَ البُعــادُ عَلَــى العَهْــدِ
فَـــإنّي وإن شَـــطّت بِـــيَ الـــدّارُ عَـــنْكمُ مُقـيمٌ عَلَـى فَـرْطِ الـصَّبابةِ والوَجْـدِ[4]

ويبلغ الحنين ذروته حين ينفذ صبر ابن الزّعفراني اليهودي[5]، فهو يدعو الله أن يبعد البين والبعد فهما لا يطاقان، يقول: **{ البسيط }**

يَـــــا أبْعَـــــدَ اللهُ أيّـــــامَ البِعَـــــاد لَقَـــــدْ جُرِّعْـتُ مِنْهَـا كُـؤُوْسَ العَلْقَـمِ الـصَّبرِ
يُحَـــارِبُ الـــشَّوْقُ قَلبِـــيْ ثُـــمَّ يُنْجِـــدُهُ جَـيشُ الأسـى وَكَمـينُ الهَـمِّ والفِكْـرِ[6]

---

(1) ابن الشعار الموصلي، 10/ 253..
(2) ابن الهبارية، **الديوان**، 187.
(3) نفسه،74.
(4) ظافر الحداد، **الديوان**، 97.
(5) ابن الزعفراني اليهودي:نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد أبو المعالي، المعروف بابن الزعفران اليهودي من أهل حلب، ومن أربابها المتصرفين ،كان مولده سنة 576هـ، توفي سنة 635هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 9/ 82.
(6) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 85/9.

ثالثاً: الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء.

من الطبّيعي أن يحن المرء إلى أهله، وأقربائه وأصدقائه، وإلى الذّكريات الّتي قضاها معهم بما تحمله تلك الذّكريات، لأنها تعد جزءاً من ماضٍ عزيز يتذكره دائماً، ويحن إليه[(1)]. .

1- **الحنين إلى الأهل والأقرباء.**

ومن الذين تناولوا هذا الجانب أسامة بن منقذ، فقد سلب الموت طفله الصّغير أبا عتيق مما جعل حنينه إليه يشكل ذروة خط الحنين الّذي تصاعد منذ زمن رحيله عن شيزر، فحينما كان يحن إلى طفله،كان يتذكر كل موتاه من الأهل والأحباب والأصدقاء، يقول: **{ الوافر }**

أحِـــنُّ إلـــى أبـــي بَكـــرٍ، وَمَـــالي … إلـــى رؤُيــــاهُ فـــي الـــدُّنيا سَـــبيلُ
فَيَـــــا للهِ مِــــــنْ يَــــــأسٍ مُبــــــينٍ … يُخـــالفُ حَالَـــهُ الـــصَّبرُ الجَميـــلُ
يُغـــالبُنُي عَلـــى عَقلـــي حَنـــينٌ … إليــــــه لا تُغَالِبــــــهُ العُقـــــــولُ
فَيُنـــسيني يَقـــينَ اليـــأسِ مِنْـــه … كَمـــا تُنـــسى مُعاقرَهـــا الـــشَّمولُ
وَيلحَـــاني العَـــذولُ وَ لَـــيس يَـــدري … بِمَـــا أُخفـــي مِـــنَ الكَمَـــدِ العَـــذولُ
إذا نَـــــامَ الخَلـــــيّ أراحَ همّـــــي … وَأسْـــهرَ ليلِـــيَ الحُـــزْنُ الـــدَّخيلُ[(2)]

ويرضى أسامة بن منقذ بقدره، فإن خطف الموت ابنه فأجره عند الله عظيم؛ لأن الموت حق على الجميع، ولن يعيد التأسف والحنين من حواه القبر :**{ البسيط }**

إنْ قَـصَّر العُمـرُ بـي عَـنْ أنْ أرى خَلَفـاً … لَـهُ، ففـي الأجـرِ عِنـد اللهِ لـي خَلَـفُ
أقُـــولُ لِلـــنَّفس إذ جـــدَّ النِّـــزاعُ بِهـــا: … يـا نفـسُ وَيْحَـكِ، أيـنَ الأهـلُ والـسَّلفُ
ألَـــيْسَ هَـــذا سَـــبيلُ الخَلْـــقِ أجمعِهـــم … وَكلُّهـــم بِـــورُودِ المـــوتِ مُعتـــرفُ
كَـمْ ذا التّأسُـفُ، أم كَـمْ ذَا الحنـين، وَهَـلْ … يَـردُّ مَـنْ قَـدْ حَـواه قبـرُه الأسـفُ[(3)]

ومن الحنين إلى الأهل، الرّثاء الّذي يفصح فيه الشّاعر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب، بل يتجاوزها إلى بكاء حار يعبر فيه

---

(1) ينظر: دقالي ، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 287.
(2) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 303، 304.
(3) نفسه، 302.

عن حرقة الفؤاد، ونيران الفقد[1]، فابن السّاعاتي يمر بالدّار التي كان يسكنها بالمحلة فيبكيه ذكر ابنه مودود، يقول: **{ الوافر }**

ألا يَـــا دارُ لا أوْحَـــشتِ يَومـــاً ... فَكـمْ أصْـبحْتِ فـي أنـسٍ وأمـنِ
أخَـافُ عَليـكِ مِـن نِيـرانِ قلْبـي ... وَأشـفقُ فِيـك مِـنْ طُوفـانِ جَفْنـي
وَأعْتـبُ فـيَّ أحـداثِ اللّيـالِي ... وَكَـم فَجعـتَ أبَـاً فـي الـدّهْرِ بـابنِ
فَـوا أسْـفا عَلـى وَجْـهٍ وَقَـدٍّ ... همـا شَـجناي مِـنْ طَلْـقٍ وَلَـدْنِ
دَفَنتُهمـا فَواكَمـدي وَقَـولي ... دَفَنْتُهُمـا مَقـالٌ لَـيْسَ يُغنِـي
فَـألِمم بِالمحلّـةِ[2] واشـكُ بَثّـي ... هُنـاك لِـصَاحبِ القَبْـرِ المُـبنِّ[3]

ويصور ابن عنين في حنينه إلى أخيه معاناتهُ ومّا يكابد من الشّوق، وحرقه الوجد، وأنين الفقد، إذ يقول: **{ الطّويل}**

أإنْ حَـنَّ مُـشْتاقٌ فَفاضَـتْ دُموعُـهُ ... غَـدَتْ عُـذّلٌ شَـتَّى حواليْـهِ تَعْكِـفُ
وَمَـا زَالَ فـي النَّـاس المُـودَّة وَالوَفَـا ... فَمـالي علـى حِفْـظِ العُهُـودِ أُعَنَّـفُ
نَعَـمْ إنّنـي صـبٌّ مَتَـى لَـاحَ بَـارقٌ ... مِـن الغْـربِ لا تَنْفُـكُّ عينـيَ تَـذرِفُ
وَمَـا قِيـلَ قَـدْ وَافـى مـن الـشّام مُخبِـرٌ ... عَـنِ القَـومِ إلا أقبَـلَ القلـبُ يَرجـفُ[4]

وكتب إلي أخيه من الهند، يُحدّثه عن مدى الشّوق الدّي يُكنه له، وإن لم يحظ منه بشيء، فيقول:**{ الطّويل }**

فَعَـادتْ وَلَـمْ تَنقـعْ غَلِـيلاً وَقَـدْ طَـوتْ ... حـشاها علـى سـمٍّ الأفـاعي القواتـلِ
بـأكثر مـن شـوقي إليـك ولـوعتي ... عَلَيـكَ وإنْ لَـمْ أحـظ مِنـكَ بِطَائِـلِ[5]

وكتب فتيان الشّاغوري إلى أخيه، وكان نازلاً بالمعسكر العزيزي بالقرب من مسجد القدم ، مظهراً حالة اليأس التي تسيطر عليه، فهي تعبر عن حال الفاقد المشتاق، الذي أضناه الوجد والشّوق إلى أخيه فيبكي حنيناً وحزناً وألماً

---

(1) ينظر: حبيب محمود،وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام** 112، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003.
(2) المحلة، مدينة مشهورة، بالديار المصرية، وهي عدة مواضع منها المحلة الكبرى، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 46/5.
(3) ابن السّاعاتي، **الديوان**، 276/1.
(4) ابن عنين، **الديوان**، 83.
(5) نفسه، 83.

قائلاً: **{ الطّويل }**

كَفَى حَزَناً أنِّي من الشَّوقِ لَمْ أنمْ   وَهَاتيكَ نِيرانُ الأحبَّةِ والخِيَمْ
وَأنِّيَ بالشَّاغورِ[1] ثَاوٍ ومُنزِلُ الـ   أحبّةِ قُدّامي لَدَى مَسْجِدِ القَدَمْ[2]
وَأنَّ مُقيماتٍ بِمُنعرجِ اللّوى   لأقْرَبُ لِي من دَارِهِمْ وَهُمُ أمَمْ
وكَمْ بَيننا؛ والدّارُ مِنّا قَريبةٌ   إذا نحنُ حَاولنا الزِّيارةَ، من عَلَمْ
أخي! إن في قلبي إليكَ صبابة   مقسمة أجزاء جسمي على السّقم
شَرابي دُموعي وَالدِّماءُ مِزاجُها   فَهُنِّئْتَ كاساتِ ابنةِ الكَرْمِ وَالكَرَمْ
وَلا زِلتُ مِنْ خَوْفي عَلَيْكَ مَسَلماً   وَعِشْتُ سَعيداً في النَّعِيمِ وفي النِّعَمْ[3]

ومن شعر الحنين إلى الأهل حنين علي الخلاطي[4] إلى أهله بالعراق، فهو يتشوقهم ويبعث بسلامه إلى العراق وقاطنيها وشجرها، ويتذكر أيام أنسه بصحبتهم، أيام كان مجتمعاً بهم بالقرب من نهر الصَرَاة، إن هذه الأيام الماضية بما تحمل من سرور وهناء، تجعل الشّاعر يطير شوقاً وحنيناً لها ولأهله ،إذ يقول: **{ الطّويل }**

أيَا أثَلاتُ[5] بِالعِرَاقِ ألِفْتُهَا   عَلَيْك سَلَامٌ لاَ يَزَالُ يَفُوحُ
لَقَد كُنتُ جَلْداً عِند قُرْبِيْ بِقُرْبِهَا   فَقَد عَادَ مَكْتُومُ الفُؤادِ يَبُوحُ
فَمَا أحَسنَ الأيّامَ فِي ظِلِّ أُنسِهَا   قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حِيْنَ تَلُوحُ
وَقَد غَرّدَ القُمْريُّ فِي غَسَقِ الدُّجَى   وَدَاعِيْ حَمَامٍ فِي الغُصُونِ يَنُوحُ
ذَكَرْتُ لَيَالٍ بالصَّرَاةِ وَطِيبِهَا   نَطِيرُ لَهَا شَوْقاً وَنَحْنُ جُمُوحُ[6]

---

(1) الشاغور: محلة بالباب الصغير من دمشق مشهورة، وهي في ظاهر المدينة، ينظر: ياقوت الحموي،**معجم البلدان**، 352/3.
(2) القدم: قرية من قرى جنوب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 354/4.
(3) فتيان الشاغور، **الديوان**، 465، 466.
(4) الخلاطي: علي بن أحمد بن علي بن عبد المنعم بن هبل، أبو الحسن بن أبي العباس الحكيم البغدادي المولد والنشأة، الفاضل، المعروف بالخلاطي، وليس خلاطيا على الحقيقة، إلا أنه رحل إلى خلاط، وأقام بها دهرا طويلاً، كانت وفاته سنة 610، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 296/4.
(5) أثلات: نوع من الشجر، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أثل).
(6) ابن الشعار الموصلي، قلائد الجمان، 4/ 297.

ويأمل أبو الحسن الربعي النيلي[1]بالعودة إلى دياره، وبين أهله فقد أضناه الشّوق والحنين إليهم، ويرى نفسه غريباً ضائعاً دونهم لا يستطيع أن يعوض نفسه عنهم،

يقول :{ **البسيط** }

هَـلْ لِـيْ إِيَـابٌ إلـى أرْضِـيْ وَأوَطَـانيْ وَجيْــرَة ذكْــرُهُمْ رَوْحــيْ وَرَيْحَــانِيْ
أرْضٌ هَوَيــتُ هَوَاهَــا إذْ بِهــا نَجَمَــتْ قِــدْماً مَنَابِــتُ أعْرَاقــيْ وَأغْــصانِيْ
وَجِيــرَةٌ جَــارَهُمْ لا جَــوْرَ يَكْلمُـــهُ وَهُــمْ لَــهُ مِثْــلُ أنْــصارٍ وأعَــوَان
إذا تَعوّضــتُ عَــنْهُمْ لَــمْ أجِــدْ عوَضــاً كَــلاً وَلَــمْ يَــرَ إنــسانِيْ لإنْــسَانِ [2]

ويتصاعد الشّوق والحنين بأبي الفضل الطُّوسي الموصلي الخطيب[3] إلى الأهل، فلا يستطيع النّوم بعد غيابهم، فهو يتذكر أيام الهناء والسّرور الّتي جمعته بهم، ويتمنى أن ينتظم الشَّمل مرة ثانية، يقول: { **البسيط** }

شَـوْقي إلَـيكُم يَفـوقُ الحَـصْرَ وَالعَـدَدا لا أسْــتطيعُ أبــثُّ الوَجْــدَ وَالكَمَــدَا
وَجَفْــنُ عَينــي غَــضيضٌ مُنْــذ فَــارَقْكُمْ آليــتُ أنْ لا أرَى مِــن بَعــدِكُمْ أحَــدا
للهِ أيَّامُنــــــا والـــــــدَّارُ جامِعَـــــــةٌ وَنحــنُ فِيهــا نُقَــضِّي عِيــشَةً رَغَــدا
مَــا كُنــتُ أحْــسبُ أن الــدَّهرَ يُبْعــدني عَــنْكُم فَــلا كُتبْــاً مِــنْكُمْ وَلَــا صَــدَدا
هَــلاً الــدِّيارُ بِنــا تَــدْنُو فَيْنــتَظمُ الــشـ شـمْلُ الـشَّتِيتُ بِكُـمْ فِيهـا كَمـا عُهـدا[4]

ويعجز ظافر الحداد عن وصف اشتياقه لأهله، فكلما تذكرهم فاضت دموعه حنيناً وشوقاً، فقد كانت أيامهم مليئة بالفرح والسُّرور والهناء، إذ يقول: { **الطّويل** }

وَأعجــزُ عَــنْ وَصْــفِ اشْـتياقِي إلَـيكمُ عَلَــى أنَّنــي فَــي غَيــر ذاكَ بَلِيــغُ
وَقَـد طَـل َّسـلطانُ النَّـوى مـن مَـدامِعي دمــاً لأسْــودِ الــشُّوقِ فيــه وُلــوغ[5]
أخِــلايَ حَاشَــا وُدِّكـــم مِـــن تَغيُّـــرٍ فَيرتــدُّ عَــن عهــد الهَــوى وَيَــزوغ

---

(1) أبو الحسن الربعي النيلي:علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن ثابت بن مزاحم بن عياش، ابن وديعة،أبو الحسن الربعي النيلي، من قرية من قرى النيل، كان مولده سنة 555هـ، توفي سنة، 620هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،323/4.
(2) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،323/4.
(3) أبو الفضل الطوسي: عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن هشام، أبو القاسم بن أبي الفضل (الطوسي) الموصلي، الخطيب، كان مولده بالموصل سنة 580هـ، وتوفي يوم الخميس سنة 622هـ ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 83/4، 84.
(4) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 92/4/ 93.
(5)الولوغ: الشّرب بأطراف الأسنان، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ولغ).

لَقَــد بَـــانَ عنّــي مُـــنْكمُ كُـــلُّ سَـــيدٍ   هُـو الفَـضلُ أو فَالفـضلُ مِنْـه مَـصُوغ
سَـــقى اللهُ أيَّـــامي بِكُـــم إذ زَمَانُهـــا   قَـصيرٌ وفـي اللّـذَّاتِ منــه سَـبوغ[1]

ويخاطب إخوته متشوقاً إليهم، فقد لازمه الفراق، فهو يتصبر على بعدهم بالدّموع والأسى الّذي يشعل بصدره نار الشّوق الملتهبة، حيث أرغم قلبه على نسيان، وهذا أمر لا يطاق، متسائلاً: هل له عيش بينهم؟

فيقول: **{ المتقارب }**

أخِلَّـــــايَ بِـــــالثَّغرِ دَامَ الفُـــــراقُ   ولا زَمَنـــــي أسَـــــفٌ واشْـــــتِياقُ
تَـــصبَّرتُ عَـــنكم علـــى حَـــالتين   أســـىً يَتَلظَّـــى وَدمـــعٍ يُـــراقُ
وَأرغمـــتُ قَلْبـــي علـــى سَـــلوةٍ   فَغايـــةُ مَـــا نَـــال مِنْهـــا الطَّـــلاقُ
وَأصْـــعبُ مـــا حَاولتْـــه النُّفـــوسُ   مَـــنَ الأمْـــرِ تَكْليــفِ مَـــا لا يُطـــاقُ
فَهـــلْ لِـــيْ إلَـــى العَـــيشُ مَـــا بَيـــنكم   كَمـــا كُنـــتُ مُسْتَمـــسَك واعْـــتِلاقُ؟ [2]

2-**الحنين إلى الأصدقاء**

حنَّ الشّاعر الزّنكي والأيوبي، إلى أصدقائه الغائبين عنه،فأرسل بأشواقه إليهم، نادماً على فراقهم، معبراً عما يختلج صدره من لفحات الوجد والصبابة، متذكراً أيام أنسه معهم.

وتحاول الدَّراسة استعراض نتاج بعض الشّعراء فيما يخص هذا الجانب من شعر الحنين. فالعماد الأصبهاني يتشوق جماعة من أصدقائه بالشّام، ويندم على مفارقتهم:فيقول**{ الكامل }**

أأَحِبّتـــي إنْ غِبْـــتُ عَـــنكمْ فَـــالهوَى   دَانِ لِقَلْـــــبٍ بِـــــالغَرامِ موَلّـــــهِ
أنْهـــي إلـــيكُمُ أنَّ صَـــبْري مُنْتـــىءٍ[3]   بَـــل مُنْتَـــهٍ، والـــشَّوقُ لَـــيسَ بِمُنْتـــهِ
أمّـــا عُقـــودُ مَـــدامعي فَلقَـــدْ وَهَـــتْ   وَأبَـــتْ عُقـــودُ الـــوُدِّ منّـــيَ أنْ تَهـــي
وَلَقـــد دُهيـــتُ بَبيـــنكم فَاشْـــتقتكُمْ   يَـــا مَـــنْ لِمُـــشتاقٍ ببيـــنكمُ دُهِـــيَّ

---
(1) ظافر الحداد، **الديوان**، 209.
(2) نفسه، 238،239.
(3) منتئ: الطويل، أو البعيد المدى، ينظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة(نأي).

مَـــا زِلْـــتُ عِنـــدكمُ بِـــأرَخَى عِيْـــشةٍ   وَبَقِيــــتُ بَعْـــدكمُ بِعــــيشٍ أكْــــرَهِ
أبــدَتْ دُمُــوعي مِنـــهُ مَـــا لَـــمْ أبـــدِهِ   وَبُــدِهْتُ مِنــهُ أســىً بِمــا لَــم أبْــدَهِ[1]

ويستمر العماد الأصبهاني في حنينه إلى أصدقائه، فهو لا يشتهي في الدّنيا شيئاً سواهم، فقد كانت عيشته هينة بوجودهم، ولكن الزَّمان متقلب لا يُبقي إنساناً على حاله، ومن السّخف مفارقة الأصدقاء: **{ الكامل }**

لَـوْ قِيـلَ لِـي: مَـا تَـشْتَهي مِـنْ هَـذه الـدُّ   نيا؟لَقلْــــتُ:سِـــــواكمُ لا أشْـــــتَهي
مَـــا كَـــان أرفَـــهَ عَيْـــشتِي وألَـــذُّها   مَـــنْ ذا الَّـــذي يَبقَـــى بِعــيشٍ أرفَـــهِ
ومِــــن الـــسَّفاهةِ أنَّنــــي فَـــارقتكُمْ   مَـنْ أيـنَ ذو الحلْـمِ الَّـذي لَـم يَـسْفَهِ[2]

أحب العماد الأصبهاني القاهرة وتشوقها، وتذكر من سكنها من الأصدقاء والخلان الأدباء، الّذين ندم على فراقهم، وأسف على نأيهم، ودعا لهم بالعيشة الكريمة، والصَّحة المستديمة، قائلاً: **{ الطّويل }**

أيَــا سَــاكني مِــصْرَ عَفَــا اللهُ عَــنْكمُ   وَعافــــاكُم ممـــــا ألاقيــــهِ مِــــنكمُ
أبيــــتُ عَلــــى هِجْــــرانكمْ مُتنـــدِّماً   وَمِـــنْ يَنَـــأ عِـــنكمْ كيــف لا يَتَنَـــدَّمُ
فَـــإنْ كُنـــتمُ لَـــمْ تعلمـــوا مَـــا لقيتُـــهُ   مِــنْ الوجــدِ والأشْــواقِ فَــاللهُ يَعلــمُ
بقيتمْ،وَعِـــشتمْ سَـــالمين مِـــنَ الأذى   وَمنيــةُ قَلبــي أنْ تَعيــشوا وَ تَــسلموا[3]

ويشكو فتيان الشّاغوري من فراق صديقه، ويبكيه حنيناً إليه، فالهجر لم يمنعه من الشّوق إلى وجهه الكريم، والتَّلهف لرؤيته، يقول:**{ المنسرح }**

إرْحَــمْ بُكــاءَ الــرَّاوُوقِ فــي الظُّلَــمِ   بِــــأدْمُعٍ مِثْـــلِ واكِـــفِ الـــدِّيمِ
شَـــوْقا إلـــى وَجْهِـــكَ الكـــريمِ وَمَـــا   حَويتَـــهُ مِـــنْ مَحَاسِـــنِ الـــشِّيَمِ[4]

ويتشوق الكندي البغدادي من دمشق إلى صديقه الموجود بالقاهرة،فيسأله هل يتشوق إليه؟فقد غلب بالحرمان والبعد، ويعجز عن اللقاء سواء أكان بالذّهاب إلى صديقه المقيم بالقاهرة أم بقدوم صديقه إلى الشّام: **:{ الخفيف }**

---

(1) العماد الأصبهاني، **الديوان**، 447
(2) نفسه، 448.
(3) نفسه، **الديوان**، 379.
(4) فتيان الشاغوري، **الديوان**، 464.

أيّهـــا الــصّاحبُ المُحـــافظُ قَـــدْ حَمـــ ـــــلتَنَا مِـــن وَفــــاءِ عَهْــدك دَيْنـــا
نحـــن بالـــشَّام رَهْـــنَ شَـــوقٍ إلـــيكم هَـــلْ لَـــدَيْكم بِمـــصْرَ شَـــوقٌ إلينـــا
قَــــد غُلبْنـــا بِمـــا حُرمنـــا عَلـــيكم وَغَلبـــــتم بِمـــــا رَزَقــــتم عَلينـــــا
فَعجزْنـــــا عــــن أنْ تُرونــــا لَــــدْيكم وَعِجـــزتم عـــن أنْ نَـــراكم لَـــدْينا[1]

وفي خطاب الأرجاني لأصدقائه في بغداد، وخوفه من وقوع الفراق، يبرز مدى حنينه إليهم، مصوراً ذلك من خلال دموعه المنهمرة لفراقهم وشوقه الغلاب إليهم **{ الكامل }**

شَــوْقي إلَــيكُمْ غَالِــبٌ لَــوْ لَــمْ يَكُــنْ غَيـــرُ الليـــالي الغَالِبـــات الغَالِبَـــا
بَينـــــي وَبَيْـــــنَكُم وَغـــــىً مَـــــشبُوبة أضْـــحَتْ تَلُـــفُّ أعاجِمَـــاً وأعارِبـــا
وَصَـــفائِحاً بِـــيضَ المُتـــونِ صَـــوارِماً وَسَـــوابِحاً قُـــبَّ البُطـــونِ شَـــوازِبا
وَلِفُرْقَـــةِ الأُلّـــآفِ وَالـــشَّمْلِ الّـــذي مَـــا زلـــتْ للتَّـــشتيتِ مِنْـــهُ مُراقِبـــا
كَـــان النَّـــوى يَكْفـــي فَكَيْـــفَ بِهـــا إذا جَمَـــعَ الزَّمـــانُ لَنَـــا نَـــوىً وَنَوائِبـــا[2]

ويتشوق عبد الرّحمن الصّقيل[3] صديقاً له يعرف بالجمال، ويعبر عن شدة حنينه إلى صديقه الذي يفضله على كل أصدقائه، ويألفه عنهم، الأمر الّذي جعله يتذكر أيامه بالقرب من صديقه الوفي، المعين على نكبات الدّهر ونوائبه، فهو الكنز الثّمين الدّي يجده في وقت الشّدة والمصائب،حيث يفضله على كل الأصدقاء، فهو الأمل والعدة،قائلا: **{ المتقارب }**

سَـــــلامُ شَـــجٍ مُـــدْنَف القَلْـــبِ بـــالِ بَـــــراهُ التَّفَـــرُّقُ بَـــرْيَ الخِـــلالِ
يَجـــــنُّ إذا مَـــــا دَجَـــــا لَيْلُـــــه وَيَرْقُـــبُ فـــي النَّـــوم طَيْـــفَ الخَيـــالِ
فَمَـــــا شَـــــاقه عَـــــذَباتُ الغُـــــوَيرِ وَمَـــا بِـــالحِمى مَـــن ذوات المِطـــالِ
وَلا شَـــــــاقه ُشَـــــــادنٌ أهْيَـــــــفُ بِلـــينِ القَـــوامِ وَبِـــيْضِ الحِجـــالِ
وَلَكـــــــنْ تَـــــــذَكَّر أيَّامَـــــــهُ وَعَيْـــشاً تَقَـــضَّى بِقُـــرْبِ الجَمـــالِ
مُعينـــــي عَلـــــى نَكبـــــاتِ الزَّمـــــان وَذُخـــري علـــى النَّائِبـــاتِ العُـــضَالِ
وَكَنْـــــزي وَحِـــــرْزي وَعَـــــزِّي إذا تَوالَـــت عَلـــيَّ] صُـــروفُ اللّيـــالي

---
(1) الكندي، البغدادي، **الديوان**، 76.
(2) الأرجاني، **الديوان**، 127/1.
(3) الصقيل: عبد الرحمن بن عبد الله بن رشيد بن علي، أبو محمد بن أبي الغريب التميمي، المعروف بالصقيل الموصلي، كانت ولادته بسكة أبي نجيح سنة 562هـ، وتوفي بالموصل يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 660هـ،ينظر: ابن خلكان،**وفيات الأعيان**، وحاجي خليفة، **كشف الظنون**، 1611،ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 311/3.

أيَـــا صَـــاحِبي دونُ كـــلِّ الـــصِّحابِ **وَيَـا عُـدَّتي فِـي الـوَرَى يَـا أمَـالي**[1]

ويبعث المجلد الموصلي[2] سلاماً من الموصل إلى إربل[3] ويحن فيه إلى صديقه أبي الحسن، معبراً فيه عما يختلج بصدره من الأشواق والمحبة والتقدير تجاه صديقه، ذاكراً شمائل صاحبه وصفاته، إذ يقول: **{ الطّويل }**

سَـــلامٌ كَنَـــشرِ المَـــسْك تَقْتقُـــهُ الـــصَّبَا عَلَـى سَـاكِنِ الغَـرَّاءِ فِـيْ الجَانِـبِ الغَرْبِـيْ
عَلَـــى جِيْـــرَةٍ جَـــارَ الزَّمـــانُ بُبعْـــدهمْ فَلَـــمْ أحْـــظَ إلّـــا بالرَّســـائِلِ وَالكُتْـــبِ
أُنـــاسٍ أعَـــارُوا الـــدَّهْر بهجَـــة نُـــوْرِهِ وَقَـامُوا مَقَـام العَتْـبِ فِـيْ البَلَـدِ الجَـدْبِ
سَـــمَوا بِعَلـــيٍّ ذِيْ المَفَـــاخِرِ وَالعُلَـــا جَـوَادٌ إذا الأنْـوَاءُ ضَـنَّتْ بِهـا الـسُّحْب
شَـــمَائِلُهُ أحْلَـــى مِـــنَ الأمـــنِ كُلَّمَـــا تَـذَكَّرْتُهَا لَـمْ أخْـشَ مِـنْ فَـادِحِ الخَطْـبِ
أبـــا حَـــسنٍ إنّـــيْ إلَيْـــكَ لَـــشَائِقٌ وَفِيْ الشَّوْقِ ما يُلْقي المُحبَّ إلى الكَرْبِ[4]

ويحن الأبيوردي إلى أصدقائه في بغداد، فيذكر وما يعانيه من شوق، وينفس بالبكاء عن لوعة أشجانه[5]، فقد انقضت أيامه معهم سريعة، وأصبح ليله في بعدهم طويلاً، حيث لا يشعر بمن حوله؛ لأنّ صفاتهم متشابه في الخشونة قائلا: **{الطّويل}**

فَقُـــلْ لِأخْلّـــائِي بِبَغْـــدادَ هَـــلْ بِكُـــمْ سُـــلُوٌّ؟ فَعِنـــدي رَنَّـــةٌ وَعَويـــلُ
تُرَنِّحُنـــــــي ذِكْـــــــرَاكُمُ فَكَأنّمـــــــا تَميــلُ بِــيَ الــصَّهْباءُ حِــينَ أميــلُ
لَــئِنْ قَــصُرَتْ أيّــامُ أُنْــسي بِقُــرْبكُمْ فَلَيلـــي عَلَـــى نَـــأْيِ المَـــزارِ طَويـــلُ
وَحَـــوْليَ قَـــومٌ يَعْلَـــمُ اللهُ أنَّنـــي بِهِـــمْ -وَهُـــمُ بِـــي يَكْثُـــرونَ- قَليـــلُ
إذا فَـــتَّشَ التَّجْريـــبُ عَـــنْهُمْ تَـــشابَهَتْ سَـجايا كَـأطْرافِ الرِّمـاحِ، شُـكولُ[6]

يشتد الحنين بابن الكتّاني إلى صديقه الشّهاب يوسف العقاب، فهو غير قادر على اختصار شوقه بكلمات موجزة، وإن حاول ذلك،يقول: **{المنسرح}**

شَـــوْقِيْ إلَـــى يُوْسُـــفَ العُقَـــابِ العَـــالِمِ المَاجِـــدِ الـــشِّهَابِ
شَـــوْق كَئيـــبٍ إلـــى حَبيـــبٍ وَشَـــوْقُ ظَـــامٍ إلـــى الـــشَّرابِ

---

(1) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 322/3.
(2) المجلد الموصلي: علي بن يونس بن سالم بن علي، أبو الحسن، المجلد ، الموصلي، كانت ولادته في السابع عشر من جمادي الآخرى سنة 588هـ، كان والده يعرف بالصدر المجلد، ينظر : ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 98/5
(3) إربل: بالكسر ثم السكون، وباء موحدة مكسورة ولام، مدينة كبيرة، من أعمال الموصل، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 166/1، 167.
(4) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،5/ 102.
(5) ينظر:الجبوري، يحيى، **الغربة والحنين في الشعر العربي**،202.
(6) الأبيوردي، **الديوان**، **قلائد الجمان**، 570/1.

شَــــوْقاً إذا مَــــا اقْتَـــــصَرتُ فِيْـــــه أطَلـــــتُ فِـــيْ بَعْــضِه خِطَـــابِيْ[1]

ويتشوق يوسف الملثم [2]صديقاً له، فيذكره بالاسم ليلفت انتباهه إلى شدة شوقه إليه، طالباً منه أن لا يهمل المودة التّي بينهم: **{مجزوء الكامل}**

شَــــــوْقي إلَيْـــــكَ أبَــــا عَلِــــيْ تَفْــــــصِيْلُهُ لَـــــــمْ يُجْمَــــــــلِ

مَــــــــا هَكَــــــــذا عَــــــــوَّدْتَني مِـــــــنْ مِنَّــــــــةٍ وَتَفَـــــــضُّلِ

أيَجُـــــــوزُ أنْ أمْـــــــضي وَلَـــــمْ تَطْــــــرُقْ بِرجْلِــــــكَ مَنْزِلِــــــي

حاَشَـــــاك أن تُهْمِـــــــلَ مَـــــــوَدَّ ةَ صَـــــــــاحِبٍ لَـــــــــكَ أوَّلِ[3]

وفي مقطعة شعرية أخرى يخاطب الملثم صديقه أبا علي، بأنه بقي محافظاً على المودة والمحبة له: **{البسيط}**

لا تَحْسَب القَلبَ مِنْ شَوقِيْ إلَيْكَ خَلِيْ أبَـــا عَلـــيٍّ مَعَـــاذَ اللهِ لا وَعَلـــيْ

وَأنْـــتَ تَعْلَـــمُ مَـــا عِنـــديْ إليـــكَ كَمَـــا قَلبِـيْ عَلِيْمٌ بِما قَدْ كَان عَندَكَ لِيْ[4]

وهكذا فقد كان شعر الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء نتاج تجربة واقعية عاشها الشّاعر الزّنكي والأيوبي، عبر من خلالها عن عاطفة إنسانية صادقة، أظهرت مرارة الفقد ولوعة الفراق التّي سيطرت على مشاعر الشّاعر وحواسه.

---

(1) ابن الشعار الموصلي، 224/10.

(2) الملثم: يوسف بن محمد بن محمود بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن الملثم،كان شاباً ذكياً متوقداً، ولد بدمشق، وتوفي في حدود سنة 626هـ، ولم يكن عمره غير خمس وعشرين سنة ، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 10/ 288.

(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 10/ 289.

(4) نفسه، 289/10.

رابعاً: الحنين إلى الذّكريات الماضية.

كانت الشّيخوخة واحدة من التّجارب الّتي عمقت إحساس الشّاعر بالاغتراب عن الذّات، فأقر بغلبة الدّهر الّذي يستلب شبابه وينتزع ماضيه المفعم بالنَّشاط والحيوية، فلا يستجيب للإعادة والاسترجاع إلا من خلال الذّكريات، الّتي تؤرق الحاضر بلوعة الفقد، وأنين الاغتراب، إذ يستعرض الشّاعر ذاته الماضية، الّتي لم يملكها مقارنة بالذّات الحاضرة، فيتصاعد إحساسه بالألم وهو يرى الزّمان يحيله شيخاً هرماً، فيقعده عن مواصلة السّعي في دروب الحياة، وتماديه في اللّهو والصبابة[1].

ففقد الشّباب هو إحدى فواجع الدّهر الّتي حولت حياة الشّاعر من عز وفخار إلى ذل وانكسار فبالأمس كان الشّاعر شاباً قوياً، ينعم بالصّحة ويتمتع بعنفوان الصِّبا، وينطلق في السّعي الجاد نحو إثبات الذات، واليوم يمسي شيخاً مسناً، يفقد القدرة على التّحكم بالأمور، فيبدأ شرخ الانفصال عن الذّات، فيتقوقع الشّاعر في إطار هواجس الغربة، ويجذبه الحنين إلى الزّمان الماضي الّذي ولّى حاملاً معه زهوة الماضي، وسجايا الشّباب من غير أمل في العودة[2].

يمثل الحنين إلى الذّكريات الماضية جزءاً من حياة الشّاعر الزّنكي والأيوبي فهو يحن إلى أيام الصّبا واللهو، وعصر الشّباب الّذي ذهب دون عودة، فابن السّاعاتي يجذبه الحنين إلى أيام الصِّبا، ويتألم لرحيل الشّباب فيأسف على ما انقضى من زمن الفتوة والعنفوان، يقول: **{ الطّويل }**

نَعَــمْ إنّهـــا نَفْــسٌ تَتَــوق إلـــى الــصِّبا ... وَهَيهــاتَ مَاضِــي العَــيْشِ لَــيْسَ يَعــودُ

ثُقْــيم عَلَــى بــأسٍ ولِلــشّوقِ فِــي الحَــشَا ... دَميـــــلٌ إلـــــى سُـــــكّانِها وَوَخيـــــدُ[3]

ويظل زمن الصِّبا والرَّخاء هاجس فتيان الشّاغوري، فلا ينفك يحن إلى أيام الشَّباب الغض، الّتي منحته الحيوية والنَّشاط، والإحساس بالوجود الإنساني، الّذي تكون بإعجاب الغواني الحسان، يقول: **{ الهزج }**

ألا يَـــــا حبَّـــــذا عَـــــصْرُ الـــــشّـ ... شَـــــبابِ الغَـــــضِّ مِـــــنْ عَـــــصْرِ

زَمَانَـــــاً كُنـــــتُ أجنْـــــي العَيْـــــ ... شَ مِـــــنْ أفْنانـــــهِ الخُـــــضْرِ

(1) ينظر: حبيب محمود، وهران ، **الحنين في شعر صدر الإسلام**، 6،رسالة دكتوراة،جامعة تشرين، دمشق، 2003م.
(2) ينظر: نفسه، 7.
(3) ابن الساعاتي، **الديوان**، 63/1.

لَقَـــــدْ وَلّــــى الـــــصِّبا غَــــضّاً   أنيــــقَ الـــــرَّوْضِ وَالزَّهْــــــرِ
لَـــــدى كـــــلِّ فَتــــاةٍ غَــــا   دَةٍ طيِّبَـــــــــةِ النَّـــــــــشْرِ
وَتَفْتَــــــــرُّ عَــــــنِ الـــــدُّرِّ   إذا افتَّـــرتْ عَــــنِ الثَّغْـــــرِ[1]

ويتذمر فتيان الشّاغوري من زحف الشّيب، وَيتحسر لرحيل الشّباب، وانقضاء زمن واللّذات والعيش الرّغيد، فقد أدرك استحالة استرجاع الماضي، قائلا: **{ البسيط}**

قَــدَ غَــادَرَ العَبَــراتِ الــشَّيبُ فانِيَــةً   وَفــي مَدْمتِــهِ تغَنَــي العِبــاراتُ
كَيـفَ الـسَّبيلُ إلـى صَـفْوِ الحَيـاةِ وَفِـيْ   رَأسِـي مِـنَ الـشَّعَراتِ البـيضِ حَيّـاتُ
ولّـت لـذاذاتُ عَيْـشي والـشَّبابُ وَهَـلْ   مَـع المَـشِيب تُـرى اللـذات لـذات
جِنايــةُ الــشَّيبِ عِنــدي لا خِــلافَ أتــى   فــي أنَّهــا قــصّرتْ عَنْهــا الجِنايــات
فَكيـفَ أضْـحَكُ أو أثنـي عَلـى زَمـنٍ   فيـــه الـــضَّواحِكُ أوْدتْ وَالثنيَّـــاتُ[2]

ويرسم الشّاعر صورة معبرة لظهور الشّيب النّاصع البياض في شعره الأسود، حيث جعل منه مغيراً غازياً في الليل، وبذلك مضت أيام الشّباب الحميدة بسرعة:{الهزج}

إلـــــى أنْ عَــــاثَ فــــي اللّيــــلِ   مُغيـــــــراً عَـــــــسْكَرُ الفَجْـــــــرِ
مَـــــــضَتْ أيَّامُنـــــــا تِلْـــــــكَ   حَميـــــــداتٍ وَلَـــــــمْ نَـــــــدْرِ[3]

إن تذكر ابن مطروح لعهد شبابه، استحضر النّشوة والسّعادة في نفسه، حيث كان يستقطب فيه الجميلات، وهذا ما زاد من لوعته وتحسره على أيام الشّبيبة، فالشّيب ينذر بالشّيخوخة وفراق الماضي،ويخلق في نفس الشّاعر مقارنة بين الماضي الجميل عندما كان مختالاً مفتخراً بمنظره الحسن، حيث الشَّعر الشّديد السواد، الذي جعل النّساء الحسان يتودّدن له؛ ليظفرن بحبه ومودته، وبين الحاضر القاسي، فقد راع منظر الشّيب في رأس الشّاعر الحسان فهجرنه، إذ يقول: **{ الكامل }**

تَـــذْكارُ أيّـــام الـــشَّبيبة يُطـــربُ   وَحَـــديثُها يَحلـــو لـــديَّ ويَعـــذُبُ
كـــرِّر أحاديـــثَ الـــشَّبابِ، فإنهـــا   تَنْفــي الهمــومَ عــن الفُــؤادِ، وَتــسْلِبُ
عِنــدي بَقايَــا نَــشْوةٍ مــن عَــصْره   أفنَــى، وَبَــاقي نَــشْوتي لا يَــذهبُ
وَأهَــاً عَلــى ذاك الزَّمــان، فإنّــه   عِنـدي مـن العُمـرِ الزّمـانُ الأطيـبُ

[1] فتيان الشاغوري، **الديوان** 209، 210.
[2] نفسه. ، 52/51.
[3] نفسه، 210.

أيّـــام ُأرفُـــلُ فـــي مَلابـــس صَـــبْوة والفَـوْدِ مـن حُـسن النَّـضارة غَيْهـبُ
وَنمـوجُ فِـي بَحْـرِ الغَـرامِ، ولَـم يَكـن فِيــــه لِغيـــري بالغوايـــةِ مَرْكِـــبُ
وَالغانيـــاتُ تَحـــومُ حَـــوْلَ مَـــودتي هَـــذِي تُواصـــلني- وَهـــذي تَعْتَـــبُ
وَيزيـــدني- مَهمـــا هممـــتُ بـــسَلْوة فِـي الحـبُّ وَجْـداً حُـبِّ مَـنْ يتحبَّـب
وَاليـــومُ قَـــد رَاعَ العَـــذارى مَنْظَـــرٌ يَكرهْنَـــه، وَهـــو العـــذارُ الأشْـــيبُ[1]

ويسترجع الأرجاني ذكرياته الماضية فيحن إلى أول أيام عمره بصباحها وضحاها ومسائها، تلك اللّيالي التي تشبه ثوب العروس في جماله وبهائه، مما جعل الشّاعر متبختراً في مشيته، مفتخراً بشبابه الزّاهي بالقوة والحيوية،إلّا أن هذه اللَّيالي مضت قصيرة لأنها في أول العمر،ويتمنى لو أنها لم تذهب، ولكن أنّى له أن يتحقق ما تمناه، فالماضي لا يقبل الإعادة والاسترجاع يقول:{ **الطّويل**}

أحِـنُّ إلـى تِلْـكَ الـضُّحى والأصـائِلُ وَمَـا سَـرَّ فـي أيّـامِهِنَّ القَلائِـلِ
قَـصُرْنَ وَكَانـت أول العُمْـرِ لَـذَّةٌ كَمَـا قَـصُرَتْ ذَرْعـاً كُعُـوبُ العَوامِـلِ
لَيَـالِ كَجِلْبـابِ العَـرُوسِ لَبِـسْتُها أجَـرِّرُ مِنْهـا الـذَّيْلِ تَجْريـرَ رَافِـلِ
سَـوالِفُ بِـيضٌ مِـنْ زَمـانٍ كأنّهـا سَـوالِفُ بِـيضِ مِـنْ حِـسانٍ عَقائِـلِ
وَقَـد مُلِئَـتْ مِـنْ كـلِّ حَلْـيٍ لِنَـاظِرِ فَيَـا حُـسْنها لَـوْ كُـنَّ غَيْـرَ زَوائِـلِ
فَلِلّـه أيّـامٌ قِـصارٌ تَتَابَعَـتْ فَلمَـا تَقَـضّتْ أعقبَـتْ بِأطْـاوِلِ
كَـأنَّ اللّيـالي حاسَـبَتْنا فَأرْسَـلَتْ أوائِـلَ فاسْـتَوفَت بَقايـا الأوائِـلِ[2]

ويهيّج هديل الحمام على غصنه أحزان الشّاعر المشتاق، وتذكره بزمان مضى بلذة عيشه المفتقدة، حيث يقول الأرجاني: { **البسيط** }

إذا الحَمـامُ عَلـى الأغْـصانِ غَنّانـا فِـيْ الـصُّبحِ هَـيَّجَ لِلمُـشْتاقِ أحْزَانـا
وُرْقٌ يُـرَدِّدْنَ لَحْنـاً واحـداً أبَـداً مِـن الغِنـاءِ ولا يُحْـسِنَّ ألْحانـاً
ذَكَّرْنَنـا زَمَنـاً عِـشْنا ذَوي طَـرَبٍ لِـذِكْرِهِ بَعْـدَ أنْ قَـدْ مَـرَّ أزْمانـا
ظَلْـمٌ، مِـن الآنَ يَنْـسانا وَنَـذْكُرُهُ حَتّـى مَ نَـذْكُرُ إلفـاً وَهْـوَ يَنْـسَانا؟[3]

(1) ابن مطروح، **الديوان**، 210.
(2) الأرجاني، **الديوان**، 209/2.
(3) نفسه،2/ 353

ويحن أسامة بن منقذ إلى الأيام الجميلة التي قضاها برفقة محبوبته، ففراق أسامة لمحبوبته ثم فراقه لأهله لم يتركا في نفسه إلا لواعج الحنين، الذي غذته ذاكرته،فراح يستذكر أيامه التي قضاها بالقرب من محبوبته[1]،

يقول :**{ المنسرح}**

آهِ لِعَيْـــشِي، مَـــا كَـــانَ أنْعَمَـــهُ   بِقُـــربِكُم، والزّمـــانُ طَـــوعُ يَـــدي
أيّـــامَ وِردي مِـــنْ مَـــاءِ أوجُهِكُـــمْ   عَـذبٌ، وَقَلبِـي بعـد الـوُرُدِ صَـدِي
فَفَرَّقَتْنـــا النَّـــوى، فَـــواظَمِئي   إلــى ارتِــشَافِ العُقَـارِ مِـن بَـرَدِ[2]

أما حياة أسامة بن منقذ بعد ذلك الفراق أصبحت حزينة يائسة، لم يشعر فيها بالسّعادة، وكيف يأتيه الفرح بعد أن انقضت أيام السّعادة والوصال، فلا تنفع كلمة كُنّا الشّاعر بشيء، وذلك لأن الماضي لا يعود، والأيام دول،يقول: **{ الرّمل}**

يَــا زَمَــانَ القُــربِ سُــقْياً لَــك، مِــن   زَمَـنٍ، لَـو كَـان قُـربُ الـدَّارِ أغْنَـى
لَـــمْ تَكُـــن إلّـــا كَظِـــلٍّ زَائِـــلٍ   والمَـــسراتُ تَلاشَـــى، ثُـــمَّ تَفْنَـــى
سَـــاءَنا مَـــا سَـــرَّنا مِـــن عيـــشنَا   بَعــدَ مَــا رَاق لَنَــا مَــرأى وَمَجْنَــى
فَــا فْتَرقنــا بَعـــد مَــا كُنَّــا صَــدىً   إنْ دَعَونَـــا وَكَفانَـــا قَـــولُ: كُنَّـــا
وَكَـــذَا الأيّـــامُ: مِـــنْ عَاداتِهـــا   أنّهـــا تُعقِـــبُ سَـــهلَ العَـــيشِ حَزْنَـــا
خُلُـــقٌ للـــدَّهرِ: مَـــا أولَـــى امـــرأً   نِعمـــةً مِنْـــه، فَملَّـــاه، وَهَنَّـــا[3]

ويتلذذ أسامة بن منقذ بالحنين إلى الأيام الماضية، فتلك الأيام ألذ وأجمل من حاضره الذي أصبح كله هموماً وأحزاناً: **{ البسيط }**

سُـــقياً لِـــدَهرٍ، نَعمنَـــا فِـــي غَـــضَارَتِه   إذْ فِـــي الحَـــوادثِ عمَّـــا سَـــاءَنَا بَلَـــهُ
وَعَيْـــشُنَا لَـــم يُخَـــالِطْ صَـــفوَه كَـــدَرٌ   وَوَدنَـــا لَـــمْ تَـــشُبْ إخْلاصَـــهُ الـــشُّبَهُ
مَـــضَى، وَجَـــاء زَمـــانٌ لا نُـــسَرُّبِه   كُـلُّ البَرِيَّـةِ مِنْـه فِـيْ الـذي كَرِهُـوا[4]

---

[1] ينظر: سليمان ، رولا ناصر ، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته و خصائصه الفنية** ، 190، رسالة ماجستير جامعة دمشق ، (د.م)،(د.ت).
[2] أسامة بن منقذ ، **الديوان** 62.
[3] نفسه 100،101.
[4] نفسه، 107.

ويؤرق الملك الأمجد الأيوبي رحيل زمن الشّباب والصّبوة، وقدوم الشّيب، الّذي يوحي بالشّيخوخة والكبر، ويهدد الذّات بالفناء، فيكون سبباً في نفرة النِّساء الجميلات، وبذلك ينهي شبابه بالهجران والصّدود إذ يقول: **{ المتقارب }**

فَهَـــلْ لِـــي شَـــفيعٌ إلـــى قُربِهـــا؟ وَهَـــل لوِصَـــالٍ مَـــضَى مَرْجِـــعُ؟
أبْعـــــدَ المَـــــشيبِ أرومُ الـــــشَّفيع؟ وَهَيهـــاتَ، بَـــانَ الـــذي يَـــشْفَعُ
وَلَـــــمْ يَبـــــقَ إلّابَيـــاضٌ يَـــسوءُ عُيـــونَ الغَـــواني، وَلا يَنْفَـــعُ
شَـــبابُ الفَتـــى دونَ هِجرانِـــه إذا رُمْـــنَ هِجرانَـــه يَمْنَـــعُ[1]

وقال أيضاً: **{ الكامل }**

عَهـــدُ الـــصِّبا ،وَمَعاهِـــدُ الأحْبَـــابِ دَرَسَـا، كَمَـا دَرَسـتْ رُقـومُ كِتـابِ[2]

يخيم الإحساس باليأس على ابن الهبّاريّة ، فيبدي تذمره من ثقل الضّيف ويوحي بتخوفه من بوادر الشّيخوخة فقد رحل الشّبـاب آخذاً معه الحيوية،والنَّشاط[3] ولم يبقَ للشَّاعر ســـوى لوعة الفقد والحرمـان، إلّا أنّ قلبه بقي حيّاً يعشق العشق،ويحب الخسارة ،فالشّاعر يرفض الواقع المرير، فيقول: **{ المديد }**

نَـــزَلَ َالـــشَّيبُ بِفُـــوديَّ ضَـــيْفَاً يَـــا سَـــقاهُ الله ضَـــيْفاً وَجَـــارَا
وَكَـــساني وَقَـــدهُ كـــلَّ وَصْـــفٍ مِـــنْ صِـــفَاتِ الـــشّيْخ إلّـــا الوَقَـــارَا
وَسَـــــقاني مِـــــنْ أذاهُ كُؤوســـــاً مُـــــرّةً تعقِـــــرُ لَيْـــست عُقـــارا
مُـــــت إلّـــــا أنَّ قلبـــــيَ حَـــــيٌّ يَعَـــشَقُ العِـــشْقَ وَيَهـــوى الخَـــسَارا
يَتَـــصَابَى بَعـــد مَـــا رَدَّ كَرْهَـــاً مِـــنْ غَيابَـــات الـــصِّبا مَـــا اسْـــتَعَارا
مَـــا الَّـــذي تَـــصنعُ بِـــاللهِ قُـــلْ لِـــي مَـــا أرى فِيـــه عَلَيْـــكَ اقْتَـــدَارا
فَـــإنْ فـــيْ جانـــبِ البَيـــتِ نِـــضْوٌ مَـــا أطيـــقُ الخَطْـــو إلّـــا قِـــصَارا[4]

ويتصاعد الحنين إلى عصر الشّباب عند الكندي البغدادي، فيظهر تفجعه على رحيل زمن الصبا واللهو،متأسفاً على فراقه. يقول: **{ الطّويل }**

زَمـــانُ الـــصِّبا واللهـــو حُييـــتَ بَائِنـــاً وَإنْ كُنـتَ بالـذِّكْرَى عَلَـى البُعـد دَانِيـا

(1) الملك الأمجد، **الديوان**،173، 174..
(2) نفسه، 187.
(3) ينظر: حبيب، محمود وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام**،8، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.
(4) **الديوان**، 92.

تَحيْــــة مَقْجُـــــوعٍ بِفَقْـــدِكَ عَــــالِمٍ   عَلَـــى طمـــع الأشْـــواقِ أنْ لا تَلَاقِيَـــا
أقـــــامَ حَميـــــداً ثـــــمَّ ودَّع مُعْـــــذِراً   فَـسَاعَفَ بِـالعُتبى مُقِيمـاً وَمَاضِـياً [1]

ويبرز الشّاعر المفارقة بين الحاضر في صورته الانهزامية، وبين الماضي، ويعمق إحساسه بفاجعة الفقد، ويتيح للذّات مزيداً من التّفجع على زمن الشّباب الّذي غَادرَ دون رجعة، و في الغالب كان تفجع الشّاعر يخفي في طياته حنيناً مُبطنا إلى مواصلة السّعي في الحياة والإحساس بالوجود والكينونة[2]، إذ يقول الكندي البغدادي **{ الطّويل }**

وَأقبــل عَــصْرُ الــشّيبِ بَعــد وَدَاعــه   عَلَـــى ثِقَـــةٍ أنْ لَـــيْسَ يبَـــرُح ثَاويـــاً
فَلَيـــتَ شَـــبَابي كَـــان عِنْـــدي شِـــيبةً   وَلَيْـــتَ مَـــشِيبِي كَـــانَ عِنـــدْي شَـــبَابِيَا
وَقَـالوا تَعـوَّض بالتَّـصابي عَـنْ الـصِّبا   زَمَانـــاً عَـــسى أنْ تَـــستلذَّ التَّـــصَابِيا
فَقُلْـــتُ لَهَـــم: هـــزؤٌ بنفـــسيَ أنّنـــي   أحـــاول إخْفـــاءً لِمـــا لَـــيْسَ خَافِيـــاً[3]

ويتحسر أبو الحسن الدّمشقي[4]، على أيام شبابه الذاهبة، متذكراً قوته وصباه، ثم واصفاً ما آلت حاله إليه من ضعف وعجز، منعته من اللهو والصّبابة:**{ الكامل}**

لَهْفــي عَلَـــى عَــصرِ الــشَّبَابِ وَطِيْبِــه   وَبِـــبَعضِ حَقَّـــي إنّنـــي أتلَهَّـــفُ
أيّـــام غـــصْنِي نَاضِـــرٌ وَشَـــمَائِلي   تُـصْبي الحَكـيْمَ وَبَـدْرُ تَمِّـي مُـشْرِفُ
وَبِــــوَجَنَتِي مَــــاءٌ وَنَــــارٌ غَالَــــهُ   لِيْـلٌ العِذَارِ فَشَمْسُ صَحْوِيَ تِكْسفُ[5]

يظل المزدقاني[6] متصلاً بماضيه من خلال مشاعر الحنين إلى زمن الشّباب المفعم بالحيوية والنشاط، فيظهر رغبة بالعودة إلى ذلك الزّمن، فيقول: **{ البسيط }**

---

(1) الكندي البغدادي،**الديوان**،68.
(2) ينظر: حبيب، محمود وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام**،14، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق،2003م.
(3) ينظر: حبيب، محمود وهران، **الحنين في شعر صدر الإسلام**،14، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق،2003م.
(4) أبو الحسن الدمشقي: علي بن إسماعيل بن المجن بن يوسف بن غازي بن محمود، أبو الحسن الدمشقي، يعرف بعليان النيّف، أقام بالوصل، توفي فيها سنة 634هـ، ينظر:ابن الشعار الموصلي،**قلائد الجمان**، 135/5.
(5) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 135/5
(6) المزدقاني: أحمد بن أسعد بن أحمد بن عبد الرزاق بن بكران، أبو الفضل المزدقاني صفي الدين، المعروف بابن الكريم الملك، كان من سلالة الوزراء، مولده بدمشق سنة 573هـ، وتوفي في بعلبك سنة 615هـ، ينظر: الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 425/6، وابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 158/1.

رُدُّوا زَمَــانَ الــصِّبَا واللَّهْــو وَالكَــاس   وَعَلِّلـــــوْني بِنُــــدْمَانِيْ وَجَلَّاسِـــــيْ
وَاسْـــتَيقنوا أنْ أقْـــصَى مَـــا أؤَمِّلُـــهُ   وَأَشْـتهيْ شَــربةُ مِــنْ مَــاءِ بِلنَــاسْ[1]
وَإنْ تَحَقَّقْـــــتُمُ أنْ لَــــــيْسَ يُمْكِــــنُكُمْ   هَــذَا فَحَــسبِيْ صَــبَاباتِيْ وَوَسْوَاسِــي
مَــنْ لَــيْسَ يَقْــدرُ أنْ يَقْــضِيْ لِــصَاحِبِه   حَقّــاً يُعــدُّ مِــنَ الأحْيَــاءِ فِــيْ النَّــاسِ[2]

ويتألم ابن المقرئ العباسي الموصلي[3] على أيامه الماضية، متذكراً شبابه وصبابه، مظهراً استسلامه وإقراره بالواقع المرير، فالحنين لا يشفي ما في القلب من حسرة ولوعة، إذ يقول: **{ الطّويل }**

تَـــــذَكَّرَ أيّـــــامَ الـــــصِّبا فَتَألَّمـــــا   وَحَــنَّ وَهَــل يَــشْفِي الحَنــينُ المُتَيَّمـــا؟
وَفَــي الــنَّفْسِ أشْــواقٌ وفــي القَلــبِ حَــسْرَةٌ   أبــتْ طُــولَ هَـذا الـدَّهر أنْ تَتَـصرَّما[4]

يجذب الحنين إلى الزّمان الماضي ابن النّجم الليلي[5]، فقد ولى أول الشّباب ونضارته، وذلك العصر الّذي يتمتع به بالعنفوان والنّشاط، وأمسى اليوم شيخاً مسناً غير قادر على الفوز بحبِّ الغواني ورضاهن، فلم يعد يهمه حوادث الدَّهر وخطوبه وهذا ما يظهر بقوله: **{ الكامل }**

شَــرْخُ الــشَّبَاب مَــضَى وَرَيْعــانُ الــصِّبَا   وَلَّـــى وَمَـــا ظَفــرَتْ يَــدَايَ بِطائِـــل
وَالغَانيـــاتُ صَـــدَدنَ حَيْـــثُ رَأيْتَنَـــي   غَــرَضَ الحَــوَادثِ وَالزَّمَــان المَائِــلِ
والأَقْربُـــــونَ تَفَرَّقَـــــتْ آرَاؤُهُـــــمْ   عَنِّـــيْ وَصَــدَّ مُعَاشِــرِي وَمُوَاصـــلِي
فَعَـــلامَ أجـــزعُ للخُطُـــوبِ وَصَـــرفِهَا   وَلأيّمَـــا حَـــال تَهــــيْجُ بَلَـــابِلِي[6]

ويشعر سبط بن التّعاويذي باليأس والإحباط، فقد سلب عصر الشّباب الماضي بطيب عيشه،وليالي أنسه المفتقدة،وهذا ما يعمق المأساة، فالحاضر يهدد بالشّيخوخة، الّتي لا أمل منها باللهو والصّبابة، فيقول: **{ الكامل }**

(1) بلناس: كورة ومدينة صغيرة، وحصن بسواحل حمص على البحر، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** ، 580/1، 581.
(2) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،159/1.
(3) ابن المقرئ العباسي الموصلي:عبد الله بن الخضر بن محمود المقرئ، أبو العباس الموصلي، المولد النشأة، لم يرد له سنة ولادة، ووفاة، ولكن ورد أنه نزل بمدينة إربل سنة 627هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 236/3.
(4) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،236/3.
(5) ابن النجم الليلي: محمد بن بدر بن الحسين بن مقبل بن السمين، أبو الفرج بن أبي النجم الليالي البصري، ولد سنة584هـ، بقرية تدعى قرية فاطمة من أعمال وآسط، ونشأ بالعفر قرية بنواحي البصرة، لم ترد سنة وفاته، ولكن المؤلف ذكر أنه شاهد ابن نجم الليلي في رمضان سنة 633هـ، ينظر: ابن الشعار **الموصلي، قلائدالجمان**،164/7.
(6) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**،165/7.

عَـــصْرُ الـــشَّبَابِ تَـــصَرَّمِتْ أوْقَاتُـــهُ وَتَبـــسَّمتْ عَـــنْ فَجْرِهَـــا لَيْلاَتُـــهُ
أوْدَى بِجِدَّتِـــــهِ المَـــشِيبُ فَأَخْلَقَـــتْ أثْوَابُـــــهُ واسْـــــتُرْجِعَتْ عَارَاتُـــــهُ
كـاَنَ الـشَّفِيعُ إلـى الحِـسَانِ فَمُـذْ مَـضَى أمَـــستْ تُعَـــدُّ مَـــسَاوِياً حَـــسَنَاتُهُ
وَالـشَّيبُ لا يُغْـضَى لَـهُ عَـنْ هَفْـوَةً وَأخُـــو الـــصِّبَا مَغْفُـــورةٌ زَلاَّتُـــهُ
وَلَقَـدْ عَلَـوْتُ سَـرَاةَ أشْـهَبَ تُجْتَـوَى وَتُعَـــافُ عِنْـــدَ الغَانِيَـــاتِ شَـــيَاتُهُ
لَـا يَبعْـدَنَ زَمَـنُ الـشَّبيبةِ وَالْهَـوَى مِـــنْ ذَاهِـــبٍ بَقِيَـــتْ لَنَـــا تَبِعاتُـــهُ
زَمَـــنٌ خَلَـــتْ أيَّامُـــهُ وَعُهُـــودُهُ وَتَنكَّـــرتْ أتْرَابُـــهُ وَلِدَاتُـــهُ(1)

ويحن الزَّمخشري(2) إلى أيام الشّباب والعنفوان والنّشاط ، بما تحمله من ذكريات جميلة عزيزة على قلبه،ولذات العيش المفتقدة، وليالي اللهو الدّاهبة، ويتمنى عودتها، فيقول: **{ البسيط }**

لَيـاليَ اللهـو فـي سِـقْطِ اللِّـوى عُـودِي عُـودِي وَغـصْنُ شَـبَابِي أخْـضَرُ العُـودِ
غَـــبْنٌ عَلَـــيَّ بِطَـــالاتِي إذا فُقِـــدتْ فِـــي عُنْفُـــوانِ شَـــبابٍ غَيْـــرِ مَفْقُـــودِ
مَـــاءُ الـــشَّبيبةِ لا تَـــصْفُو مَـــوارِدُهُ إلّـــا بِـــشرْبٍ مِـــنَ اللَّـــذَّاتِ مَـــوْرُودِ(3)

ويتأسف ظافر الحداد على رحيل زمن الشّباب، ويعض أصابعه ندما على ذهابه، إذ لا أمل من عودته، إذ يقول:**{ الكامل }**

أسَـفِي عَلَـى زَمَـنِ الـشَّبابِ الزّائِـلِ أسـفٌ أُدِيـمُ عَليـه عَـضَّ أنِـامِلِي
وَلَّـى فَـلا طَمَـعٌ بعَطْفَـةِ هَـاجِرِ مِنْـه وَلا أمَـلٌ لأوْبَـةِ رَاحِـلِ
هَـذا عَلَـى أنَّ العَفَـافَ وَهِمَّتِـي لَـم يُظْفِـرا حَظِّـي لَدْيـه بِطَائِـلِ(4)

---

(1) سبط بن التّعاويذي، **الديوان**، 63.

(2) الزمخشري:محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، لقب بجار الله، لأنه أقام في مكة مدة مجاورا البيت الحرام،ولد 467هـ، بقرية زمخشر،توفي سنة 538هـ، في الجراجانية، أحدى قرى خوارزم، ينظر:ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 81/2.

(3) الزمخشري، **الديوان**، 243.

(4) ظافر الحداد، **الديوان**، 247.

وخلاصة القول، إنّ الشّاعر الزّنكي والأيوبي عبر عن حنينه إلى الذّكريات الماضية بما تحمله من أوقات الهناء والسّرور، ورغد العيش المفتقد، وتمنى عودة تلك الأوقات، وعقد مقارنة بين الماضي بصورته الجميلة، والحاضر بصورته الانهزامية المريرة، وأظهر، كيف تحول ذلك الحنين إلى نقمة على الحاضر بشيخوخته، وشيب رأسه الذي نفرَّ الجميلات منه وهذا ما زاد من حزنه وألمه.

خامساً: الحنين الديني.

عبر الشّعراء في العصرين الزّنكي والأيوبي عن حنينهم الدّيني من خلال قصائد التّصوف والزّهد، والحنين إلى الأماكن المقدسة، فقد تكرر ذكر هذه الأماكن في نتاجهم الشّعري، ليظهروا ما في أنفسهم من شوق وحنين إلى تلك الرّحاب الطّاهرة.

وقسمت الدّراسة الحنين الديني إلى قسمين، وهما:

1-الحنين إلى الدّيار الحجازية والأماكن المقدسة.

حنّ الشّاعر الزّنكي والأيوبي إلى الرّحاب الطّاهرة، حيث أورد ذكرها في قصائده الشّعرية، من مثل: مكة، والمدينة، وغيرها، ومن الشّعراء الّذين تناولوا هذا الجانب، الزّمخشري: فقد قال قصائد في الحنين إلى مكة والبيت الحرام وغيرها من المواضع الّتي تعبر عن شوقه وحنينه إلى تلك الدِّيار المقدسة، فبكى شوقاً وحنيناً إلى مكة وأيامها، مظهراً تلهفه وحنينه إليها وإلى صخرها المبارك، وما يحيط بها من مواضع، مشبهاً حنينه بحنين النّاقة الّتي فقدت البكر، ولا يفوت الزّمخشري أن يشبّه حزنه لفراق مكة وبكاءه عليها ببكاء الخنســاء على أخيها صخـر[(1)]، فيقول: **{ الطّويل }**

بُكَـــاءً عَلَـــى أيّـــامِ مَكّـــة إنّ بِـــي ... إليهـــا حَنـــينَ النـــاب فَاقِـــدةَ البَكـــرِ
تَـــــذكَّرْتُ أيَّـــــامي بِهـــــا فَكَـــــأنّني ... قَـد اخْتلفـتْ زُرْق الأسِـنَّةِ فِـي صَـدْرِيْ
أبِيــتُ علـــى الــصَّخْر المُبــارِكِ بَاكيــاً ... كَمَـا كَانَـتْ الخنـساءُ تَبْكـي عَلـى صَـخْرِ
وَحِـينَ تَخَطَّينـــا المناقـــبَ[(2)] وارتمـــتْ ... بِنـا العِـيسُ تَهْـوِي فِـي مَـسَالِكها الغُبْـرِ
وَشَـطَّ بأصـحابِي عَـن الأبْطَـحِ[(3)] الـسُّرَى ... وَلَـــطَّ الجبـــالَ المـــشْمَخِرّاتِ بِالـــسِّتْرِ
وَقُلْـــتُ ألا أيـــنَ الحَطـــيمُ[(4)] وَزَمـــزمٌ ... وَمـالِيَ مَحْجـورا عَـن الـرُّكْنِ والحجـرِ
وَقُلْـــتُ لِقَلبـــي قـــد ملكْتُـــك مَـــرَّةً ... فَمَـا أنـت إلّـا طَـائِرٌ طَـارَ عَـنْ وَكْـرِ[(5)]

---

(1) ينظر: عمرو، علي عبد الله، **تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره**، 122، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) المناقب: طرق الجبال، واسم الطريق إلى الطائف، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (نقب).

(3) الأبطح: مسيل فيه دقاق الحصى المنبسط على الأرض، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 95/1.

(4) الحطيم: حجر الكعبة أو جداره أو ما بين الركن وزمزم، والمقام، وزاد بعضهم الحجر، أو من المقام إلى الباب أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحاطم الناس للدعاء، ينظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة (حطم).

(5) الزمخشري، **الديوان**، 50، 51.

ويهيج ذكر مكة المكرمة وما فيها من أماكن مقدسة أشواق الزّمخشري وحنينه، فقد ضعف صبره وتمنى الذّهاب إلى عَرفات، ومنى ومسجدها لما يعتري صدره من خلجات الوجد والصّبابة إلى تلك الأماكن، متذكراً مناسك الحج، فالشّوق يضعف صبره ويجعله دائم الحنين والاشتياق إلى البقاع الطّاهرة، حيث يقول : **{ الطّويل }**

وَهَـــاجَ إلـــى بَطْحَـــاءِ مَكَّـــة هَـــائِجٌ مِـنْ الـشَّوقِ يَنهَـى الـنّفسَ أنْ تَتَـصَبَّرَا
فُـــؤادِي إذَا أمُّ القـــرَى مَـــرَّ ذِكْرُهَـــا يَـــرِفُّ رَفِيـــفَ الأقْحُـــوانِ مُنَـــوَّرَا
وَيــصُبحُ وَجْهــي شَــاحِباً فَــإذا جَــرَى تَــبلَّج وجْهــي كَالــصَّباحِ وَأسْــفَرَا
أيَـــا حَبَّـــذا سَـــوْقي الرِّكَـــابَ مُلَبِّيـــاً إلــى عَرفــاتٍ أشْـعَثَ الـرَّأس أغْبَـرَا
ولَيلـــةُ جَمْـــع والبُكـــورُ إلـــى مِنـــىً وَعَـنْ مَـسْجِدِ الخَيْـف انْحِدَاري مُجَمِّرَا
وَوَطْــأُ بِــساط الرَّحمــةِ والمُبْتَغَــى وَأنْ أُهَـــرْوِلَ فيـــه حَالِقـــاً وَمُقَـــصِّرَا
تَـــذَكَّرتُها فـــارْفَضَّ صَـــبْري وَقُـــوَّتِي ولا بُـــدَّ لِلمُـــشْتَاقِ أنْ يَتَـــذَكَّرا[1]

ويغمر الشّوق والحنين الزّمخشري في الوصول إلى مكة والبيت الحرام، فقلبه يحترق بنار الشّوق فتخرج أنفاسه كلهيب النّار، وتنسكب دموعه فتحرق وجنتيه[2]، ويندم على فراق حرم الله، فيقول: **{ الخفيف }**

حَـــرَمُ اللهِ لِـــي إليـــكَ اشْـــتِياقُ دُونَ أدْنَـــاه تُقـــرَحُ الآمَـــاقُ
نَفَـــسٌ واقـــدٌ مَتَـــى يَتَـــصَاعدْ يَنْحِـــدرُ دَمْـــعُ عَيْنَـــيَ المُهْـــراقُ
مَـــا ذكَـــرتُ الـــسُّكْنَى بِمَكَّـــة إلَّـــا قَـــدَحَتْ فِـــي فُـــؤَاديَ الأشْـــواقُ
مَـــع بُـــؤْسِ الحِجَـــاز أصْـــبو إليـــه لَـــمْ يَرُقْنـــي مَـــع النَّعــيم العِــراقُ
ثـــمَّ بَيْـــتُ اللهِ العَتيـــقُ إلِيْـــه تَتَرامَـــــيَ بِأهْلِهـــــا الآفَـــــاقُ
حَولِـــه أهْـــلُ خَـــشْيَةٍ تَخْـــشع الأبْـــ صَـــارُ مِـــنْهمْ وَتَخْـــضَعُ الأعْنَـــاقُ
مِـــنْهم طَـــائِفُ وَقَـــائِمُ لَيْـــلٍ قَانِـــتٌ تَـــسْتغيثُ مِنْـــه الـــسّاقُ
أيُّ قَـــومٍ فَارقْـــتُ فِـــي أيِّ أرضٍ أيُّ يَـــوْمٍ بِـــه دَهَـــاني الفِـــراقُ[3]

(1) الزمخشري، **الديوان**، 192.

(2) ينظر: عمرو، علي عبد الله، **تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره**، 120، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(3) الزمخشري، **الديوان**، 531.

ويحنُّ الزَّمخشري إلى وقوفه بعرفات واصفاً قدوم الحجيج من كل حَدَب وصوب، حيث تسمع الأدعية والأذكار، يقول: **{ الخفيف }**

حَبَّـــــذَا نَهْـــضَتِي إلـــــى عَرفَـــــاتٍ   مِـــنْ مِنًـــى أزْجُــرُ المَطِـــيَّ ابْتِكَـــارا
حَيـــــثُ لِلوافِــــدينَ مَـــــنْ كُـــلِّ فَـــجٍّ   زَجَـــــل طَبَّقُـــــوا بِـــــهِ الأقْطَـــــارا
حَيْثُمــــــا مَالَــــــتْ المَــــسَامعُ مِنْهــــا   تَــــــسْمَعُ الأدْعِيَـــــاتِ وَالأذْكَـــــارَا
وَغُـــــدُوِّي أهْــــلَ مَكَّـــــة حَوْلِــــــ   ــــيُ تُلَبِّـــي بِـــذي طُـــوىً عُمَّـــارا
وَقِيـــــامي فِــــي القَـــائِمينَ بِلَيْـــــلِ   وَصِـــيَامِي فِــي الــصّائِمينَ نَهَـــارا[1]

كما يحنُّ إلى زيارة قبر الرّسول صلى الله عليه وسلم .

وَزَفيـــفُ الرِّكـــابِ أمُّـــهُ قَبْـــرُ الْـــــ   مُـصطفى تَحْـتَ أرْحُلِـي مُـزْدَارا[2]

ويتمنى الزّمخشري في حنينه إلى الحرم الشّريف ،أن تعود تلك الوقفات في عرفة ،وأن يشرب من ماء زمزم قبل أن يتوفاه الله سبحانه وتعالى،فيقول:**{ الخفيف}**

وَقَفَـــاتي بِالقَـــاعِ مِــــنْ عَرَفــــاتِ   عُـــدْنَ أهْـــلاً بِكـــنَّ مِـــنْ وقَفَـــاتِ
وَقفـــاتِي ذِكْـــرَى لَكُـــنَّ غَـــرامُ   مِنْـــه قَطْـــرُ الجُفُـــونِ ذُو وَكَفَـــاتِ
حَبَّـــذا أنْ يقطـــرَّ المـــاءُ فِـــي حَلْقِـــ   ــي مِـــنْ زَمْـــزمٍ قُبَيْـــل وَفَـــاتِي[3]

ويشتد الحنين بالشّاعر فَيشتاق إلى حُنين وأرضها القفراء، حتى أن الإبل عطشت شوقاً إلى تلك الدّيار، إذ يقول: **{ الوافر }**

وَجَـــدَّ بِنَـــا الحَنـــينُ إلـــى حُنـــين   وَحنَّـــت تَحـــتَ أرْحُلِنـــا المَهـــارِي
لَنَـــا وَلهـــــنَّ أكْبـــادٌ حِـــرَارٌ   إلـــى تِلـــكَ الأبَـــارِقِ والحِـــرارِ
أنَخْنَـــا فـــي رِيَـــاضِ الحَـــزْنِ نَبْكـــي   دَمَـــاً حُزْنَـــاً عَلـــى تِلـــكَ القِفَـــارِ
وَمحْـــض شِـــيبَ بِالعَـــسلِ المُـــصّفّى   فِـدَاءُ القَعْـبِ[4] مـن ذاك الـسَّمَارِ[5]
وَدَارٍ قَـــدْ بَـــسأتُ[6] بِهـــا فَكَانَـــتْ - وَمَـــا هِـــي خَيـــرُ دَارٍ- خَيـــرَ دَارِ[7]

---

(1) الزمخشري، **الدّيوان**،533.
(2) نفسه، 533.
(3) نفسه، 532.
(4) القعب: القدح الغليظ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(قعب).
(5) السّمار: اللبن الكثير الماء، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(سمر).
(6) بسأت: مررت، ينظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (بسأ)
(7) الزمخشري، **الديوان**، 302.

تظهر الأبيات السّابقة عاطفة الزّمخشري الجيّاشة إلى البلد الحرام، وإلى الأماكن المقدسة فيه[1].

ومن الشّعراء الّذين حنوا إلى الأماكن المقدسة ، ابن جبير، فقد عبر عن شوقه وحنينه إلى مكة المكرمة بتهنئة الحجيج الّذين اجتمعوا في تلك الرّحاب الطّاهرة، قائلاً: **{ الرّمل }**

يَــا وُفُــودَ اللهِ فُــزْتم بِــالمُنى فَهَنيئــاً لَكُــمْ أَهْــلَ مِنَــى
قَــدْ عَرفْنَــا عَرفَــاتٍ مَعْكُــمُ فَلِهَــذَا بَــرِحَ الــشّوقُ بِنَــا[2]

وفي أبيات أخرى يكون أكثر تعلقاً وحنيناً إلى الدّيار المقدسة مشبهاً نفسه بالطّائر الّذي يحاول أن يقع على بغيته، وهي البقاع الثّلاث، البيت الحرام، ومسجد الرّسول، صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى[3] **{ الخفيف }**

طَــالَ شَــوْقِي إلــى بِقَــاع ثَــلاَث لا تَــشدُّ الرِّحِــال إلّــا إليهــا
إنّ لِلــنَّفسِ فِــي سَــمَاء الأمَــانِي طَــائِراً لا يَحــومُ إلّــا عَلَيْهَــا
قُــصَّ مِنْــه الجنَــاحُ فهــو مَهــيضٌ كُــلَّ يَــوْمٍ يَرجــو الوقُــوعِ عَلَيها[4]

كما يشتاقُ ابن جُبير إلى طيبة مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم، فهو يرى أن السّعادة ضُمّنت لكل من نال زيارة طيبة وحج إلى بيت الله الحرام، وحطّ عن النّفس ذنوبها، قائلاً: **{ المتقارب }**

هَنيئــاً لِمَــنْ حَــجَّ بيــتِ الهُــدى وَحَــطَّ عَــنِ الــنّفسِ أوْزارَهَــا
وإنّ الــسَّعادةَ مَــضْمُونةٌ لِمَــنْ حَــجَّ طَيْبَــةَ أوْ زَارهَــا[5]

---

(1) ينظر: عمرو، علي عبد الله، **تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره**، 124، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.
(2) ابن جبير، **الديوان**، 90.
(3) دقالي، محمد أحمد ، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 344.
(4) ابن جبير، **الديوان**، 107.
(5) نفسه، 65.

2-الحنين الصوفي.

عبر الشّعراء الزّنكيون و الأيوبيون عن حنينه الصّوفي بمعنـــاه الظّـــاهر حسب ألفاظــه الظّاهرة، وبمعناه الباطن الّذي يرمز إلى الحنين إلى الذات الإلهيـــة، ومـن الشّعراء الّذين امتازوا بالتّعبير عن الحنين الصّــوفي والحب الإلهي ابن الفارض[(1)]، فقد امتلأ شعره بألفاظ العشاق العذريين، من مثل: العشق، الشّغف، الوجد، والهوى، والوصل، والاشتياق ، ، والهجر، والقرب، والبعد، والنّور، والحسن والجمال، كما رمز بمشاهير نساء العرب مثل: هند، وليلى، وسلمى وغيرهن إلى حبه المطلق إلى الذّات الإلهيّة.

الحنين الصّوفي في شعر ابن الفارض:

عبر ابن الفارض عن حنينه الصّوفي من خلال قصائد احتوت أشرف الألفاظ والمعاني في محبة الله تعالى،والتّقرب إليه سبحانه[(2)] واتخذ ابن الفارض من الشّعر العذري العفيف طريقه للتعبير عن أذواقه ومواجده، في شكل غنائي[(3)].

واستخدم ابن الفارض في حنينه الصّوفي عدة أساليب، منها :

أ- الوقوف على الأطلال

عبر ابن الفارض عن حنينه الصّوفي من خلال مخاطبته لحادي الأظعان، طالباً منه أن يعرِّج على ديار المحبوب، وأن يبلغ التّحية إلى سكان الحي، وأن يطرح ذكره عندهم، فقد ترك محباً متيماً، أضناه الحب والشّوق، وهذا المعنى الظّاهر. إذ يقول: **{ الرّمل }**

سَـــائِقَ الأظْعَـــانِ يَطْـــوي البيـــدَ طَـــيّ مُنعِمـــاً عَـــرِّج عَلَـــى كُثبَـــان طَـــيّ

وَبِـــذَات الــــشّيح[(4)]عَنّـــــي إنْ مَـــــرَرْ تَ بِحَـــيٍّ مِـــنْ عُرَيْـــبِ الجِـــزْع حَـــيّ

(1) ابن الفارض: هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار، عرف بابن الفارض ينحو في شعره منحى الصوفية، ولد سنة 576هـ، وتوفي في القاهرة ودفن في سفح الجبل المقطم سنة 632هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، 149/5، 153.

(2) البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**،1/ 3.

(3) نصر، عاطف جودة، **شعر عمر بن الفارض دراسة في الشعر الصوفي**، 249.

(4) ذات الشيح: بالكسر ثم السكون، وجاء مهمله، موضع بالحزن من ديار بني بربوع، ينظر: ياقوت الحموي **معجم البلدان**، 430/3.

(2) ابن الفارض، **الديوان**، 7.

(3) ينظر: دقالي، محمد أحمد ، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 360.

وَتَلطَّفْ وَاجْرِ ذِكْرِي عِنْدهمْ عَلهُمْ أنْ ينْظُروا عَطْفاً إلَيّ
قُلْ تَرَكْتُ الصّبّ فِيكُم شَبَحًا مَا لَهُ مِمّا بَرَاهُ الشَّوقُ فِيّ
خَافِياً عَنْ عائِدٍ لَاحَ كَمَا لَاحَ فِي بُرْدَيهِ، بعدَ النّشْرِ، طَيّ
صَارَ وَصفُ الضُّرِّ ذاتيّاً لَهُ عَنْ عَنَاءٍ والكَلامُ الحَيّ لَيّ[2]

أما المعنى الباطن، فقد رمز الشّاعر بوقوفه على الأطلال، وإظهاره الحنين والشّوق إلى المحبوب، فإنه يدل على حنينه إلى الذّات الإلهية،[3] فقصد بسائق الأظعان، الله سبحانه تعالى، و"الأظعان" النّاس واستعمال السّوق إليه، وكثبان طي" كناية عن المقامات المحمدية الّتي عددها كرمال الكثيب، ورمز "بذات الشّيح" إلى مقام الحيرة في الله يشم رائحة طيبة من غير أن يدرك شيئاً، "والحي" يقصد به المناظر العلا، والجزع الّذي هو منعطف الوادي إشارة إلى هذا الحي انعطفت عليه جميع الآمال يقصد "بالضّر" البلاء الشّديد[4].

وفي موضوع آخر يخاطب الشّاعر صاحبه للوقوف بديار الأحبة، وإلقاء التّحية والسّلام على منازلها، لعل هناك من يجيب النّداء، وإن توحشت تلك، فنار شوقه تشعل ظلماتها، يقول: **{ البسيط }**

قِفْ بالدِّيَار، وحَيّ الأرْبُعَ الدُّرُسَا وَنَادهَا، فَعَساهَا أنْ تُجيبَ، عَسَى
وإنْ أجَنّكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحشّها فاشعَلْ مِنْ الشّوقِ في ظَلمَائِها، قَبَسَا
يَا هَلْ درَى النَّفَرُ الغَادونَ عَنْ كلفٍ يَبيتُ جِنْحَ اللّيالي، يَرْقُبُ الغَلَسَا
فَإنْ بَكَى فِي قِفَارِ خِلتَها لُجَجاً وإنْ تَنفّسَ عَادتْ كُلّها يَبَسا[5]

المعنى الباطن، عبر ابن الفارض عن حنينه إلى الذات الإلهية من خلال مخاطبته لكل سالك في طريق الله، وقوله "الدّيار" يكنى بها عن مجموع الصّور الإنسانية وغيرها من أشخاص العالمين في الملك والملكوت، والوقوف كناية عن عدم تخطيها لأن الظّهور الإلهي والتّجلي الرّباني ليست إلا بها وعليها، ويقصد بقوله: "حيّ

---

[4] ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 36/1، 37، 40.
[5] ابن الفارض، **الديوان**، 177.

الأربع الدّرسا" النّفوس، وهي إشارة إلى أنه أمر بإيصال التّحية منه إلى العارفين بربهم المتحققين بتجليه بهم وعليهم، وعلى الكشف والشهود، وفي قوله "فعساها أن تجيب" بإجابة هذه المحبوبة المذكورة إلى معنى انكشافها له بكل شيء، و "توحشها" يقصد بها ظلمة الكون، "فأشعل" يكنى بذلك عن نار المحبة الإلهية في قلوب السّالكين إلى المعرفة[1].

ب-الدعاء بالسّقيا والخير.

ومن الأساليب الّتي استخدمها ابن الفارض في حنينه الصّوفي الدّعاء بالسّقيا والخير للمكان الّذي رمز فيه إلى حبه الإلهي، فهو يدعو بالسّقيا والخير والنّماء للعقيق الكائن باللوى، كما أنه يدعو إلى الأوقات الطّيبة المحببة إليه، فقد كانت الرّاحة بإرادته وتصرفه يبرزها متى يشاء متمنياً أن يحفظ الله المكان الذي عهده، ولازم فيه البكاء حتى نبت من ماء أجفانه أزهاراً لطيفة زينت ربا ذلك المنزل[2]،يقول: **{ الرّمل }**

يَـــا سَـــقى اللهُ عَقيقـــاً، بِـــاللّوَى وَرَعَـــى ثُـــمّ فَريقـــاً مِـــنْ لـــؤيّ
وَأوْيْقَـــاتٍ بِـــوادٍ سَـــلَفَتْ فِيـــه، كانَـــتْ رَاحَتـــي فِـــي راحَتَـــيّ
مَعْهَـــدٍ مِـــنْ عَهـــدِ أجْفَـــاني، عَلَـــى جيـــدِهِ، مِـــنْ عِقْـــدِ أزْهَـــارٍ حُلَـــيّ[3]

يظهر المعنى الظّاهر شوق الشّاعر للأحبة والدّعاء لهم بالسّقيا، أما المعنى الباطن فيعبر فيه الشّاعر عن حنينه وشوقه إلى الذّات الإلهية من خلال الدّعاء بالخير والسّقيا للعقيق، فقد أشار بقوله "عقيقاً" إلى المقام المحمدي الّذي هو موضع الفيض الرّباني والوحي الرّحماني[4].

وفي البيت الثّاني "يقصد "بواد" " الوادي المقدس طوى قلب العارفين الكامل الّذي يطوى بأمر الله وينشر بأمر الله"[5] وقوله "سلفت" أي مضت في ذلك العالم الرّوحاني قبل النّفخ في الأجسام[6]"ورمز براحته إلى العالم الرّوحاني الأصلي الذي كان فيه قبل أن ينزل إلى عالم الطّبيعة"[7].

---

(1) ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 235/2، 236.
(2) ينظر: نفسه، 135/1، 154، 155
(3) ابن الفارض، **الديوان**، 24.
(4) ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**،153/1.
(5) نفسه1/ 154.
(6)نفسه،154/1.
(7) نفسه،1/ 154

وفي البيت الثّالث أراد بقوله "معهد" ما يعهد فيه ساكنيه من التّوجيهات الرّبانية وهو وادي باعتبار سيول الأمطار إليه النّازلة من سماوات الغيوب، وحضرات التّجليات الإلهية، وقوله "من عهد أجفاني" يرمز به إلى البكاء وسيلان الدّموع وحجب العين[1]، وقصد بالأزهار عن الأحوال الّتي ينتجها ذلك البكاء من الذّل والانكسار، والشّكر والثّناء الجميل"[2].

وفي بيت آخر يدعو مطر الرّبيع إلى أن يحيي منزل الاستحياء والأحياء، وهذا المعنى الظّاهر: **{ الرّمل }**

حَـــيٍّ، رَبْعـــيَّ الحَيَـــا، رَبْـــعَ الحَيَـــا، بِـــأبي جِيرَتَنَـــا فيـــهِ، وَبَـــيّ[3]

أمّا المعنى الباطن فالشّاعر يقصد به من خلال حنينه الصّوفي بـ"ربعي الحيا" "مطر العلم الإلهي من سماء الغيب المحقق في ربيع قوة الحال الشّوقي الإلهي"[4] و"ربع الحيا" منزل الحياة بمعنى هيكل الإنسان الكامل وجيرته المجاور له في المقام العارفين[5]."والحياء " وجود الهيبة في القلب "[6].

وفي موضع آخر يدعو الشّاعر بالسقيا إلى إلى مكة، فهو يحن إلى ذلك المكان الذّي أقام فيه زمن الصِّبا، حيث لذة العيش المفتقدة، وموضع الأنُس بالقرب من الحبيب، فقد هام غراماً وشوقاً، يقول: **{الطّويل }**

سَقَى بالـصّفَا الرّبْعـيُّ رَبْعـاً بِـه الـصّفا وَجَـــادَ بِأجيَـــادٍ ثَـــرىً مِنـــهُ ثَرْوَتَـــي

مُخَـــيَّمَ لِـــذاتي، وَسَـــوْق مَـــآربي وَقِبلَـــة آمِـــالِي، وَمَـــوْطِنَ صَـــبْوَتي

مَنـــازِلِ أنْـــسٍ، كُـــنّ لَـــمْ أنـــسَ ذِكرَهـــا بِمـنْ بُعْـدُها والقُـربُ: نَـاري وَجَنّتـي[7]

يريد الشّاعر من خلال حبه الإلهي في قوله :" الرّبعي" العلوم الإلهية، وقوله: "ربعا" قصد به قول العارف المحقق كون ذلك الرّبع في الصّفا أي المقام الرّوحاني والسّر الإنساني، وقوله " بأجياد" وهي أرض مكة كناية عن الجسم العنصري للإنسان الكامل، "والثّرى" أصل جسم الإنسان الّذي نَشأ مِنه كاملاً، بِتربته في حجر

---

(1) ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 1 / 155.
(2) ينظر: نفسه، 155/1.
(3) ابن الفارض، **الديوان**، 25.
(4) البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 157/1.
(5) ينظر: نفسه، 157/1.
(6) أبو خزام، أنور فؤاد، **معجم المصطلحات الصوفية**، 77.
(7) ابن الفارض، **الديوان**، 43.

أحكامه، وهو الحقيقة المحمديّة النّورانية[1]، والمقصود بالحقيقة المحمديّة النّورانيّة، هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق كله؛ لكي يخلق محمد صلّى الله عليه وسلّم، ويبعثه فيهم رسولاً.

جـ-ذكر شهيرات النّساء في شعر الغزل.

ذكر ابن الفارض في حنينه الصّوفي أسماء شهيرات النَساء اللاتي تكرر ذكرهن في الشّعر العربي، مثل: (ليلى العامريّة وسلمى، ولبنى، وغيرهن).

من ذلك قوله من قصيدته الحائية : **{ الكامل }**

أومَـــــيضُ بَــــرْقٍ، بِــــالأبَيرِقِ لَاحَــــا   أمْ، فِــي رُبَــى نَجْــدٍ، أرَى مِــصْبَاحَا؟!
أمْ تِلْــــكَ لَيْلَــــى العَامِرِيّــــةُ أسْــــفَرَتْ   لَــيلاً، فَــصيّرَتِ المْــسَاءَ صَــبَاحَا[2]

ما يراه الشّاعر في الليالي الدّاجية، لم يكن البرق والأنوار السّاطعة بل هو نور ليلى العامرية وهذا المعنى الظّاهر، أما المعنى الباطن: "فقد رمز بليلى إلى حبه المطلق لأنها اشتهرت بذلك الوصف، فقد رمز بالبرق إلى الحق لأنه نور، والأبيرق إلى عالم الأجسام المؤلفة من العناصر والطّبائع المختلفة"[3].

وقوله في البيت الثّاني (أسفرت)أي أن المحبوبة لما كشفت عن وجهها توجهت بأمرها القديم على ما في علمها، وهو الذّكر الحكيم، ظهرت من ظلال المعلومات بنوره فكان ذلك الظّاهر هو النّور، وهو وجود الحق وجميع العوالم على ما هي عليه من عدمها"[4]. ومعنى قوله "فصيرت المساء صباحا" أي نار حبه لليلى، أرجعت الظلمة بظهور وجهها وانكشافه نوراً وجودياً، فالجود لها، والصّور العدمية للأكوان"[5].

---

(1) ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 264/1، 265.
(2) ابن الفارض، **الديوان**، 123.
(3) البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 55/2.
(4) نفسه، 52/2.
(5) نفسه، 56/2.

ويكرر ابن الفارض ذكر ليلى في شعره، فهي مطلق الحبيبة، متسائلاً هل ما ظهر لعينه ليلاً نار حبه لليلى، أم هو بارق ظهر في الزّوراء إذ يقول: **{ البسيط }**

هَـلْ نَــارُ لَيلَــى بَــدَتْ لَــيلاً بِــذي سَــلَمِ   أمْ بَــارِقٌ لَــاحَ فَــي الـزّوْراءِ، فَـالعَلَمِ[1]

المعنى الباطن: عبر ابن الفارض باسم ليلى إلى أسماء الحقائق على اختلافها "وقصد بنار ليلى عز ظهور الوجود الحق على صور التّقادير العلمية، إذا توجهت بتلك المقادير الإرادة الأزلية، وقوله: "بدت ليلاً" أي ظلمة اللّيل وهو عالم الأكوان في ظلمة المكان"[2].

وقوله " أم بارق " كناية عن القطب فإنه سحاب على شمس الأحدية ذو برق روحاني"[3] وقوله بالزّوراء يقصد بها بغداد وبغداد من الزّور بالتّحريك وهو الميل وبغداد مسكن القطب"[4].

وفي موضع آخر استحضر الشّاعر صورة المحبوب الّذي كنى عنه باسم سلمى، طارحاً سؤاله هل أضاءت نار الغضا أم هي ابتسامة سلمى الّتي كشفت عن درر بيضاء، شابهتها دموع الشّاعر في كبر مقدارها وفي بياضها، يقول: **{الطّويل}**

أنَـارُ الغَضَا ضَاءَتْ،وَسَلمى بِذي الغَضَا   أمْ ابتَـسمتْ، عَمـا حَكتـهُ، المَـدامعُ[5]

المعنى الباطن، يعبر الشّاعر عن حبه الإلهي، وحنينه الإلهي، بذكره اسم سلمى، وهي إشارة إلى حبه المطلق عند الصّوفيين.

ويظهر ابن الفارض شوقاً وحنيناً إلى منزله الّذي فارقه فلم يصفَ له منزلاً بعد النّقا، ولا يستحسن محبوباً بعد مفارقته "لميّ" هذا المعنى الظّاهر فيقول: **{ الرّمل }**

لَـــمْ يُرقنِـــي مَنْـــزِلٌ بَعــدَ النَّقَـــا   لا وَلا مُستحـــسَنٌ مِـــن بَعـــدَ مَـــيْ[6]

وما يريده من المعنى الباطن هو الحنين إلى المقام المحمدي، الّذي هو مقام محمد صلّى الله عليه وسلّم الدّي اختاره من جميع القبائل، وهو كناية عن الحضرة الوجودية المحتجبة بصور الأكوان العدمية[7].

---

(1) ابن الفارض، **الديوان**، 128.
(2) البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 56/2.
(3) نفسه،72/2.
(4) ابن الفارض، **الديوان**، 166.
(5) ابن الفارض، **الديوان**، 166.
(6) نفسه،، 13.
(7) ينظر: البوريني والنابلسي، **شرح ديوان ابن الفارض**، 81/1.

ومن الأسماء الأخرى الّتي أورد لها ذكراً " لبنى" الّتي فاقت بهجتها كل المحبوبات، فزادت من وجده وصبابته، يقول: **{ الطّويل }**

بِفَــرْطِ غَرَامِــي ذِكّــرَ قَــيْسٍ بِوَجْــدِهِ وَبَهْجتُهــا لُبْنَــى، أمَــتٌ، وأمَــتِ[1]

لقد استحضر ابن الفارض في تجربته الصّوفية أسماء مشاهير النّساء في شعر الغزل العذري ليعبر عن أسماء الحقائق الإلهية على اختلافها، وهو بذلك يعبر عن حنينه إلى الذّات الإلهية المتمثلة في الحب الوجودي المطلق.

---

[1] ابن الفارض، **الديوان**، 36.

الفصل الثّالث

الدّراسة الفنية

أولاً: بناء القصيدة.

ثانياً: الأسلوب.

ثالثاً: الموسيقا

رابعاً: الصّورة الشّعرية.

أولاً: بناء القصيدة.

ميّز النّقاد العرب في حديثهم عن بنية القصيدة العربية بين ثلاثة أجزاء رئيسة تتألف منها القصيدة، هي: المطلع، والتّخلص، والخاتمة، وفي شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، يوجد صورتين لغرض الحنين، هما: المقطعات، والقصائد.

أ-المقطعات:

كثرت المقطعات الشّعرية الّتي جاءت في الحنين إلى الوطن، والأحبة والأهل،والأصدقاء، وعصر الشّباب وغيرها من المفتقدات، حيث بلغ عددها ما يقارب الخمسين مقطعةً؛ لأنها تعبر عن حالة نفسية يعيشها الشّاعر، فقد مثلت إحساسه بالفقد والحنين إلى تلك المفتقدات بأبيات شعرية لم تتجاوز الأبيات السّبعة فلا وقت لديه للشّرح والتّفصيل، ومن هذه المقطعات قول ابن عنين: **{الطّويل}**

دَعَتْ فِي أعَالي الصُّغْدِ(1) يَوماً حَمَامةٌ   عَلَى فَنَنٍ فِي ظِلِّ ريَّانَ كَاليَمِّ
فَهَاجَتْ مَشَوقاً واسْتَفزَّتْ مُتيَّماً   وَأبْكتْ غَرِيباً وَاسْتخفَّتْ أخَا حَلمِ(2)

يجسد البيتان السّابقان موقفا شعورياً صادقاً، يعبر عن أحزان الشّاعر والآمه، فقد هيّج هديل الحمام أشواقه وحنينه إلى وطنه الغائب.

ومنه أيضا قول ابن القيسراني: **{ الوافر}**

ذكرتُكِ فِي حُسَيْنَةَ(3) ،والرّوابِي   مُلقَّعَةُ المَناكِبِ بِالرِّيَاضِ
وَرَعْنُ(4) "الكُثبِ" مُخضَرٌّ المَجَاني   عَلَى الغُدْرانِ مُتْرَعَةِ الحِيَاضِ
وَقَد "سَئِمَتْ" مِن السَّيْرِ المَطَايا   ومَلَّ قُتودَهَا حَنَقُ العِضَاضِ
وَضَاقِتْ ساحَةُ الأخِلَاقِ حَتّى   "نَبا" الخُلُقُ الكريمُ عن التّغَاضِي
وَعندكِ أنّني مَعْ مَا ألاقِي   نَسيتُكِ، "لا" "وَعَيْنَيْكِ" المِراضِ(5)

---

(1) الصغد:ناحية سمرقند، كثيرة المياه والأشجار، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخاري وسمرقند، ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** 25/3.
(2) **الديوان،** 90.
(3) الحسينة: منسوبة إلى الحسن، بلد شرق الموصل على بعد يومين، بينها وبين جزيرة ابن عمر، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان،** 300/2
(4) الرعن:أنف الجبل البارز، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب،** مادة (مادة رعن).
(5) ابن القيسراني، **الديوان،** 278..

استطاع الشّاعر أن يقدم سرداً موجزاً لرحلته الطّويلة فقد تحدث عن دابته وما أصابها من تعب وإعياء، وذكر تعلقه بصاحبة العينين الجميلتين، الّتي لا يمكن أن ينساها.

وهذه مقطعة أخرى يعبر فيه الشّاعر عن تجربته المريرة في السّجن، حيث يتوق إلى الحرية، فيحشد تعابير اللغة وألفاظها ليبث لواعجه وأشواقه، مبرزاً إحساسه بالألم والمعاناة، فيقول المهذب ابن الزّبير: **{الطّويل }**

أيَـا صَــاحِبِيْ سِـجنِ الخِزَانــةِ خَلِّيَـا ... نَسِيمَ الصَّـبا يُرسِـلْ إلـى كَبْـديَ نَفْحَـا

وَقُـولا لِضَـوْءِ الصُّبْحِ هَلْ أنْتَ عَائِدٌ ... إلـــى نَظَـــري، أم لا أرَى بَعْــدها [1]

وتمكن أسامة بن منقذ من خلال مقطعته الشّعرية الّتي كتبها من مصر إلى أخيه في دمشق، أن يجسد إحساس وشعور من هو غريب مثله سواء أكان مقيماً في وطنه، أم نازحاً عنه، وبخاصة عندما يدنو الموت منه، فحينذاك تنفجر في قلبه كل مشاعر الحزن والأسى على من يموت غريباً بين الناس دون أن يجد حوله أحدا من أهله وأقربائه، ذلك ما شعر به أسامة عندما ماتت ابنة أخيه في شيزر ووالدها غائب عنها، وكذلك أعمامها وأخوالها، فقال[2]: **{الكامل}**

وَيْــحَ الغَريبـــةِ والـــدِّيارُ دِيَارُهـــا ... لــمْ تَرتَحِــلْ عَنْهــا، وَلَــم تَتَغَــرَّبِ

مَاتَــت غريبــة وَحــدةٍ: مِــن تِربِهــا ... وَشَــقيقها، وَمَـــن العُمومـــةِ، والأبِ

فَهــي الوحيــدةُ، والأقَــاربُ حَولَهَــا ... وَهــي البَعَيــدةُ فــي المحــلِّ الأقْــربِ

فِــإذا تضــرَّمَ فــي الجَــوانِح ذكرُهــا ... قــال الأسـى: بَــاللهَ يَـا عـينُ اسْـكُبِي[3]

وقد اتسمت أغلب المقطعات الشّعرية في الشّعر الزنكي والأيوبي خلال القرنين السّادس والسّابع الهجري، بوحدة الفكرة، وقوة العاطفة، ومن ذلك الأبيات الآتية الّتي شكا فيها أسامة ابن منقذ من كثرة ترحاله في البلاد، والأبيات أشبه ما تكون بخاطرة، أفضى فيها أسامة بمكنونات نفسه بصورة تلقائية[4].

---

(1) **الديوان**، 182.

(2) ينظر: سليمان، رولا ناصر، **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، 199، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م) (د.ت).

(3) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 294.

(4) ينظر: الرقب، شقيق محمد عبد الرحمن، **الشعر العربي في بلاد الشام** ، 314.

يقول : **{مجزوء الكامل}**

يَـــا دَهـــرُ، كَـــم هَـــذَا التَّفـــرُّ قُ وَالتَّغـــــــرُّبُ، والشّـــــــتاتُ
أبـــــداً عَلـــــى ســــيرِ كَـــأ نِّـي الشّـمسُ، لَـيسَ لَهـا ثَبـاتُ
مُتَقَلقِــلُ العَزَمَــاتِ كَالــ مطلــوبِ أفرقَــهُ البَيَــاتُ
نَــاءٍ عَــن الأهلِــينَ والــ أوْطَــانِ، والأتــرابُ مَــاتُوا[1]

ويختصر ظافر الحداد معاني الشّوق والحنين في مقطعة شعرية، تمنى فيها العودة إلى الحمى،وليالي أنسه، متذكراً الأهل والأقرباء والجيران، وأيام الشّباب والعنفوان، فيقول: **{الطّويل}**

ألا هَـلْ إلـى بَـردِ الأصـائلِ بِـالحِمى عَلَـى الرّمـلِ فـي ظِـلِّ الأراكِ إيـابُ؟
لَيَـالِيَ يُزْهِينِـي لَذِيـدُ حَـدِيثِكُم وَألفَاظُـه مَهمَـا اسْـتعدتُ عِـذابُ
وَلا مُرسـلٌ إلّـا لِسَـانِي إلِـيكُم وَلا فِـي سِـوى دَمْعِـي يُـردُّ جَـوَابُ
وَلا تَسْـتَثِيرُ الشّـوقَ مِنـي حَمَامـةٌ ويُـذْكرني يَـوْمَ الفـرَاقِ غُـرَابُ
وَدَارٌ وَإخْـوَانٌ وَأهْـلٌ وَجِيـرةٌ وَأمَـن وَأمَـرٌ نافـذٌ وَشَـبابُ[2]

هذه بعض المقطعات الشّعرية التي أفردها الشّعراء في الشّوق والحنين إلى الوطن والأهل والأحبة وغيرها من المفتقدات ، مبرزين فيها أشواقهم ونزوعهم الدّائم إلى تلك المفتقدات، وقد حاول الشّعراء من خلالها أن يظهروا مهارتهم في حشد الألفاظ وتكثيف المعاني، وتكاد معظم المقطعات الشّعرية التي قيلت في الحنين أن تكون ذات موضوع واحد، قائمة على فكرة واحدة، هي الشّوق والحنين، فلم يظهر من خلالها البناء الفني العام للقصيدة الطّويلة، من حيث المقدمة، والتّخلص الذي ينتقل فيه الشّاعر من غرض إلى آخر دون أن يشعر المتلقي بذلك، وخاتمة تبقى في الأسماع.

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 296.
(2) ظافر الحداد،**الديوان**، 33.

ب- القصائد:

1-**المطلع.**

حرص الشّاعر الزّنكي والأيوبي على اختيار مطلعه كونه أول ما يقع في السّمع من القصيدة، والدّال على ما بعده[(1)]، فالشّعر "قفل أوله مفتاحه وينبغي للشّاعر أن يجوّد ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السّمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"[(2)]، ودعا أسامة بن منقذ إلى تحسين الابتداءات فإنها " دلائل البيان"[(3)]

ولذلك اشترط النّقاد في المطلع جودة الأسلوب، إذ يجب أن يكون أسلوب الشّاعر فخماً قوياً مؤثراً، وحلواً سهلاً، حيث يؤثر في السّامع، ويشده إلى باقي أجزاء القصيدة[(4)]، واشترطوا "أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه مشعراً بغرض النّاظم، من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذّوق السّليم، ويستدل بها على القصيدة، من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو"[(5)].

وإذا قامت الباحثة بتطبيق ما قيل من آراء حول المطلع على شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، يلاحظ اهتمام الشّعراء بمطالعهم فقد اختاروا الألفاظ السهلة الأنيقة، والقوية المؤثرة.

ومن المطالع قول ابن عنين في حنينه إلى دمشق: **{الطويل}**

حَنِــينٌ إلــى الأوْطــانِ لـَـيْسَ يَــزُولُ   وَقَلــبٌ عِــن الأشــواقِ لـَـيْسَ يَحــولُ[(6)]

يكشف المطلع السّابق عن نفس دائمة الشّوق والحنين إلى الوطن المفتقد، بألفاظ سهلة وواضحة، وقوية ومؤثرة في المتلقي.

ويستهل ابن عنين قصيدته بالدّعاء إلى قومه بالرّعاية والحفظ، فيقول: **{الطّويل }**

رَعَــى اللهُ قَوْمَــاً فِــي دِمَشْــقَ أعــزّةً   عَلَيَّ وإنْ لَمْ يَحْفَظـوا عَهْدَ مَن ظَعَنْ[(7)]

يتضح أن المطلع السّابق قد أشار إلى مضمون القصيدة وعرضها العام الّذي يريده الشّاعر، وهو الحنين إلى دمشق.

---

(1) ينظر: أبو الهلال العسكري، **الصناعتين**، 489.
(2) ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، 217/1.
(3) **البديع في نقد الشعر**، 400.
(4) ينظر: نفسه، 217، 218.
(5) ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، 30/1.
(6) **الديوان**، 68.
(7) ابن عنين،**الديوان**، 77.

ومن المطالع الحسنة أيضا قول أسامة بن منقذ: **{البسيط}**

مَـاذَا يَروعُـكُ مِن وَجْـدِي وَمِـنْ قَلَقِـي أمْ مَـا يَرِيبُـك مِـن أجْفَـانِي الـدُّفُق[(1)]

يشير المطلع السّابق إلى حالة الشّاعر النفسية، وما يعتريها من قلق وحزن، وعلى الرّغم من ذلك لم يهمل الشّاعر مطلع قصيدته، فقد أشار من خلاله إلى فحوى القصيدة وعرضها العام، وهو الحنين إلى المحبوب.

وكذلك قوله: **{ الرّمل }**

وَمَـا يُريـدُ الشّـوقُ مِـن قَلْـبِ مُعنَّـى ذَكـرَ الألّـافُ وَالوصـلَ فَحنّـا[(2)]

فالمطلع يدل على مضمون القصيدة بجودة أسلوبه وحلاوته حيث يؤثر في نفس المتلقي، ويشده إلى باقي القصيدة.

ومن المطالع المحمودة قول القاضي الفاضل: **{ الطّويل }**

سَـقَى اللهُ تِلْـكَ الـدَّارُ عَـوْدَةَ أهْلِهَـا فَـذَلِكَ أجْـدَى مِـنْ سَـحَابٍ وَقَطْـرِهِ[(3)]

فهو مطلع حسن جاء بالدّعاء بجمع الشّمل وعودة الأهل إلى الدّيار.

ومن الّذين استهلوا قصائدهم بمطلع حسن الملك الأمجد حيث يقول: **{السّريع }**

يَـا أدْمُعِـي فِـيْ رَسْـمِها الجَـاري أوْضـحتِ لِلـوّام أخْبَـاري[(4)]

تمكن الشّاعر على الرغم من حالته النّفسية السّيئة أن يبعث الشّوق في نفس المتلقي إلى أجزاء القصيدة كلها.

---

(1) **الديوان**، 89.
(2) **نفسه**، 100.
(3) **الديوان**، 488/2.
(4) **الديوان**، 114.

ومن المطالع الجيدة أيضاً، مطلع قصيدة العماد الأصبهاني، حيث لوّنه الشّاعر بعناصر الموسيقى الدّاخلية، التي تحدث أثراً في نفس السّامع،

إذ يقول: **{ الكامل }**

هَلْ عائِدٌ زمنُ الوِصَالِ المُنْقَضي؟ أمْ عَائِدٌ لِيْ في الصّبَابةِ مُمْرِضِي[1]

وبدأ ابن القيسراني قصيدته بالحديث عن الطّيف الأحبّة، حيث يقول:**{ الطّويل }**

أمَا وَخيَالٍ زَارَ مِمّنْ أحبُّهُ لَقَد هَاجَ مِن ذِكْرَاهُ مَا لا أغِبُّه[2]

فهذا مطلع حسن منسجم وموضوع القصيدة الرّئيس، وهو تذكر وقائع نور الدين الزّنكي.

ويقول ابن الخيّاط : **{ الكامل }**

لَوْ كُنتَ شَاهدَ عبْرَتِي يَوْمَ النَّقا لَمَنعْتَ قَلْبكَ بَعدَها أن يَعْشَقا[3]

هذا مطلع جميل، يجتذب القارئ، ويترك في نفسه أثراً جميلاً؛ لأنه يعبر عن حالة الشّاعر الحزينة.

ومن المطالع المحمودة، التي حرص الشّاعر فيها على عنصري الموسيقا الدّاخلي والخارجي، قول ابن السّاعاتي: **{ البسيط }**

قَلبٌ لِذكْرَى الحِمَى بَعْدَ النَّوى يَجِبُ وَأدْمعٌ فَي الهَوى قَامَتْ بِمَا يَجِبُ[4]

ينسجم المطلع مع الغرض الرئيسس من القصيدة وهو الحنين إلى المحبوبة.

وكذلك قوله: **{ الطّويل }**

نَعَمْ هَذه آثَارُهم وَالمَنَازلُ وإن لامَنِي فِيهَا نَصِيحٌ وَعَاذلٌ[5]

---

(1) ابن العماد الأصبهاني،، **الديوان**، 262.
(2) ابن القيسراني، **الديوان**، 76.
(3) **الديوان**، 254.
(4) **الديوان**، 114/1.
(5) نفسه، 310/2.

ومثله أيضاً قول ابن مطروح: **{ الطّويل }**

هـمُ جيرتِــي حَيــثُ اسْـتَقلُّوا وَيمَّمــوا وَحَيْـثُ ثَـوَوا بَعـدَ الفِـرَاقِ وَخَيَّمــوا[1]

فقد أشار المطلع إلى فحوى القصيدة وعرضها العام.

لقد سار الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون على منهج الشّعراء الأوائل، حيث اعتنوا بختيار مطالعهم كونها فاتحة النّص، وأول ما يطرق السّمع من الكلام، ودليلاً على مقدرة الشّاعر، وبراعته فيما ينظم.

[1] **الديوان**، 182.

2- التّخلص.

حرص النّقاد على الاهتمام بالتّخلص، لأنه نتيجة طبيعية لوجود مقدمة تمهد للدّخول في الموضوع الرّئيس للقصيدة، لذلك سار شعراء هذا العصر على طريقة القدماء في بناء قصائدهم، وإن تحرروا منها في بعض الموضوعات التي لا تستدعي اصطناع المقدمات لسيطرة عواطف الشّوق والحنين عليهم، لذلك بنيت القصيدة من أولها إلى آخرها على موضوع واحد، وفكرة واحدة، وعاطفة واحدة.

ويعرّف التّخلص بأنه " هو أن يستطرد الشّاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقع في الثّاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أُفرغا في قالب واحد"[(1)].

ويعتبر ابن رشيق القيرواني أن الانتقال إلى الموضوع الرّئيس، هو النّقلة المعنوية الأبرز بين تلك الموضوعات[(2)].

ومن الأمثلة على التّخلصات والانتقال من موضوع إلى آخر في هذه الدّراسة، قول الأبيوردي: **{ الطّويل }**

إذا هِـــيَ نَاحَـــتْ جَاوَبَتْهَـــا حَمَـــائِمٌ   كَمَـا حَـنَّ وَلهـي فِـي رَوَائِـمِ أظـآرِ[(3)]
كَـــأنَّ رُواتـــي عَلّمـــوُهنَّ مَنْطِقـــي   فُهـــنَّ إذا غَـــرَّدْنَ أنْشَـــدْنَ أشْـــعَارِي
أتَتْك القَوافي يَـا بْنَ عَمْرٍو، ولـم تـرد   مُعَـرَّس نَـوّامٍ عَـن الحَمْـدِ أغْمَـارِ[(4)]

لقد تخلص الشّاعر من الأبيات الأولى الّتي جاءت في الحنين إلى المحبوبة تخلصاً حسناً رشيقاً دون أن يشعر المتلقي به، وانتقل إلى الحديث عن ممدوحه الشّجاع الّذي لم ينم عن المجد يوماً.

---

(1) ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، 329/1.
(2) ينظر: **العمدة**، 239/1.
(3) الأظار، جمع ظئر، وهي الناقة التي يموت ولدها فترضع ولدها غيرها ينظر: ابن منظور **لسان العرب**،مادة (ظئر)
(4) **الديوان**، 261/1.

ومنه أيضاً، قوله: **{ الطّويل }**

وَقَـد فَـرَّقَ البَـيْنُ المُشَـتِّتُ بَيْنَنَـا فَشَـطَّ مَـزَارٌ، وَاسْـتَقَلَّ رَفيـقُ
وأَشْـأَمَ مِـنْ جيرانِنَـا إِذْ تَزَيَّلـوا فَريـقٌ، وأعرَقْنَـا وَنحـنُ فَريـقُ
طَلَعْنَا إلى الزّوْراءِ مِنْ أيْمَنِ الحِمى ثَنَايـا بِأخْفَـافِ المَطِـيِّ تَضـيقُ
نَـزُورُ أميـرَ المُـؤْمِنينَ، وَدونَـهُ خَفِيُّ الصُّوى[1] مَرْتُ[2] الفِجاجِ عَميقُ
وَلا أرْضَ إلّاوَهـيَ مِـنْ كـُـلِّ إلـى بَابَـهِ لِلمُعْتَفِيـنَ طَريـقُ [3]

انتقلَ الشّاعر من الحديث عن الفراق، والبين، ورحيل إلى الشّام والعراق، إلى الحديث عن زيارته لأمير المؤمنين، ومدحه.

ومن الانتقالات المحمودة الّتي وردت في قصيدة الحنين قول ابن عنين: **{الطّويل}**

دِمَشْـقُ فَبِـي شَـوقٌ إليهـا مُبـرّح وإنْ لَـجّ وَاشٍ أو ألَـحَّ عَـذولُ
دَيَـارٌ بِهَـا الحَصْـبَاءُ درٌّ وَتُربهَـا عَبيـرٌ وأنفـاسُ الشَّـمالِ شَـمولُ
تَسلسـلَ فِيهَـا مَاؤُهـا وَهُـو مُطلـقٌ وَصـحَّ نَسـيمُ الـرَّوضِ وَهـو عَليـلُ[4]

فقد أجاد الشّاعر التّخلص وأحسنه في البيت الأول، حيث انتقل بسلاسة وبساطة من الحنين إلى دمشق، إلى وصف جمال دمشق وما تحويه من مناظر خلابة.

ومن التّخلصات الجيدة أيضا، قول فتيان الشّاغوري :**{ البسيط }**

وَلسـتُ آمُـلُ طَيفـاً مِنـهُ يَطْرُقُنـي أمَا تَرى الطَّيفَ مَنْ مِنْهُ الكرَى سُلِبا
بَـانَ الحبيـبُ وَبـانَ الصّـبرُ يَتْبعُـهُ لا اسـتَطيعُ لِصَـبْرِي بَعْـدَهُ طَلَبـا
إنْ يَنـأَ فالأمْجـدُ المَيْمـونُ طَـائِرُهُ لَـدَيَّ إحسـانُه مَـا زالَ مُقتربَـا[5]

أحسن الشّاعر الانتقال من الحديث عن الشوق والحنين إلى المحبوب إلى الحديث عن الممدوح.

(1) الصِّوى: حجر يكون دليلاً في الطّريق، ينظر: **لسان العرب**، مادة(صوي).
(2) االمرت: المفازة، ينظر: **لسان العرب**، مادة(مرت).
(3) الأبيوردي، **الديوان** 618/1، 619.
(4) **الديوان**، 69.
(5) **الديوان**، 37..

ويتفنن العماد الأصبهاني في التّخلص ويحسنه، حين صور أيام الشّباب المنصرمة بأيام الممدوح، إذ يقول :{**الكامل}**

يَـــا حُســـنَ أيّـــامِ الصِّـــبا، وكَأنّهـــا أيّـــامُ مَولانَـــا الإمـــامِ المُسْتَضِـــي !
ذو البَهجــةِ الزّهــرَاءِ، يُشْـرقُ نُورُهــا والطّلعـةِ الغـرّاءِ، والوجْـهِ الوَضــي**[1]**

من التّخلصات الجيدة قول ابن السّاعاتي :**{ الطّويل }**

فَـلا خَـابَ ظَنّـي فِـي العَقِيـقِ وَأَهْلِـهِ كَما لَمْ يَخبْ فِي الظّافرِ المَلكِ سَائِلُ**[2]**

لقد جاء الانتقال من غرض الحنين إلى الممدوح انتقالاً سلساً رشيقاً، دون أن يشعر به الملتقى.

حرص الشّعراء على التّخلص حرصاً شديداً، واعتنوا بالخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بالتّحام الأجزاء وتماسكها لا بوجود حواجز واضحة بينها**[3]**.

---

[1] العماد الأصبهاني، **الديوان**، 263.
[2] **الديوان**، 311/2.
[3] بكار، يوسف حسين، **بناء القصيدة في النقد العربي القديم**، 22.

3- الخاتمة.

حرص الشّعراء على أن يختموا قصائدهم بأحسن خاتمة، لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، فإن كان ابن رشيق القيرواني قد أشار إلى أن المطلع مفتاح، لم ينس أن يجعل لهذا المفتاح قفلا حيث يقول: " قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وإذا كان أول الشّعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً"[1].

واشترط بعضهم في الخاتمة أن تناسب عرضها، كأن تكون سارة في المديح والتّهاني، وحزينة في الرّثاء والتّعازي، إضافة إلى ذلك أن تكون ألفاظها مستعذبة، وتأليفها جزلاً متناسباً، وأن تكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الّذي قصد له الشّاعر في نظمها[2].

ومعنى ذلك أن الخاتمة خلاصة القصيدة، وعدم اهتمام الشّاعر بها يعد نقصاً ومأخذاً عليه، لذلك اعتني الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون بخواتم قصائدهم الّتي قيلت في الحنين، ومنها قصيدة أسامة بن منقذ، التي قالها عندما خرج من مصر، حيث ختمها بحكمة اشتملت على أن الأيّام لا تبقى على حالها :{ **الرّجز** }

فَقُـــــلْ لِمَـــــنْ أشْـــــمَتَهُ فَراقنــــــا وَسَــــرَّه أنْ جَـــارَ دَهْـــرٌ وَاعْتَـــدى:
إنْ سَــرَّكَ الــدَّهرُ بِنَـــا اليــومَ فَهَــلْ أمنْـــــتَ أنْ يســـرَّنَا فِيـــكَ غَـــدَا[3]

ومنه أيضا قوله :{الرجز}

لكنَّنِـــــي أَدْعُــــو لِجمــــع شَــــمْلِنا مُســـيِّرَ الشُّــهبِ، وَمُجــري السُّــفْنِ[4]
قد ختم أسامة قصيدته بأحسن الكلام، حيث دعا الله أن يجمع شمله بالأحبة.

وقد جاءت خاتمة ابن عنين حسنة المأخذ، مناسبة لغرضها، ألفاظها سهلة، واشتملت على الدّعاء الممزوج بالتّمني بعودة أوقات السّرور والهناء، إذ يقول:**{الطّويل}**

رَعَـــى اللهُ أيّامـــاً تَقَضَّــتْ بِقُــربِكُم وَعصْرَ الصِّبا يا حبّذا ذاكَ مِنْ عَصرِ

---

(1) **العمدة**، 239/1.
(2) ينظر: القرطاجني، حازم، **منهاج البلغاء**، 306.
(3) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 67.
(4) نفسه،، 102.

فَســــائِرُ أيّـــــامي لَـــــدَيْكُم مَواسِـــــمٌ وُكُـــلُّ اللَّيَــالي عِنـــدَكُم لَيلَـــةُ القَــدْرِ(1)

وغلب أسلوب الدّعاء على خاتمة قصيدة الحنين في هذا العصر، فظافر الحداد يختم قصيدته بالدّعاء والتّضرع إلى الله عزّ وجل بالعودة إلى الإسكندرية، حيث يقول: **{الطّويل }**

عَســـى مُنْيَــة قَبْــلَ المَنيـــةِ تَنْقَضِـــي فَيرشــفَ ثَغــرَ الثَّغــرِ طَرْفِــي إذا رَنَــا
سَـــأَلتُك يَـــا رَبّـــاه عَـــوْداً فُجُـــدْ بِـــهِ وَجَـــازِ بِخَيـــرٍ مَـــنْ دَعـــوتُ فأمَّنَـــا(2)

ويحسن ابن مطروح ختام قصيدته بالسّلام على الزّمان الماضي، والدّعاء بالسّقيا إلى الرّبوع، والدّيار: **{ الطّويل }**

سَلَامٌ عَلَـى ذَاكَ الزَّمـانِ الـذي مَضَـى وَسُـــقْيا لِهَاتِيـــكَ المَعَـــالم والرُّبَـــا(3)

ووُفِّقَ الزّمخشري في ختام قصيدته الّتي نَظمها في الحنين إلى الحرم المكي الشّريف، حيث تضرع بالدّعاء إلى الله أن يجعل مثواه الجنّة مع الصّالحين من عباده، يقول:

{ الخفيف }

رَبِّ فَـــاجْمَع بَيْنِـــي وَبَيْـــنهم فِـــي صُـــحْبَةِ الآمنـــينَ فـــي الغُرفُـــاتِ(4)

ويقول العماد الأصبهاني، في خاتمة قصيدة موضوعها التّشوق والحنين إلى أصدقائه ببغداد، وهو ما يتصل بالرِّثاء: **{ الهزج }**

تَوكّلــــــــــــــتُ عَلَــــــــــــى اللهِ إذا ضَـــــــاقَتْ بِـــــــيَ السُّـــــــبْلُ
وَعَلّقـــــــــــتُ بِحبـــــــــــلِ اللهِ كفّـــــــيَ، فَهُـــــــو الحَبْـــــــلُ(5)

فقد أجاد فيها بإيمانه القوي بالله سبحانه وتعالى وتوكله عليه في الأمور كلها، فلا ملجأ له سوى الله.

---

(1) ابن عنين، **الديوان**، 80.
(2) ظافر الحداد، **الديوان**، 348.
(3) ابن مطروح، **الديوان**، 88.
(4) الزمخشري، **الديوان**، 532
(5)العماد الأصبهاني،**الديوان**، 338.

وفي الشّوق والحنين إلى بغداد وساكنيها يحسن الكندي البغدادي ختام قصيدته بالسّلام عليها، وعلى أهلها المطمئنين قائلاً :**{ الطّويل}**

سَـــلامٌ عَلَــيكُم واقْــروا كَيْــفَ شِــئِتُمْ   سَـــلامي لَكُـــم عَـــن زائِـــرٍ وَمُـــودِّع[1]

ويمكن القول إن خاتمة قصيدة الحنين في شعر العصرين الزّنكي والأيوبي تنوعت بين الحكمة، والدّعاء ،والإيمان بقضاء الله وقدره، حيث استطاع الشّاعر أن يشعر المتلقي بالخروج والإغلاق، وأن يترك في نفسه أثراً بأن هذه هي النّهاية.

[1] الكندي، البغدادي، **الديوان**، 67.

ثانياً: الأسلوب.

ليس الأسلوب إلا وسيلة من وسائل نقل المعاني وجودته قد ترقى بالمعاني فتخرجها في كل شكل يدعو إلى الإعجاب[(1)].

والأسلوب " طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها للتّعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح أو التّأثير أو الضّرب من النّظم والطّريقة فيه"[(2)].

فالأسلوب هو طريقة الشّاعر أو الكاتب الخاصة في اختيار الألفاظ، وتأليف الكلام والفكرة والصّورة، وليس الأسلوب اللفظ وحده، وإنما هو مركب من عناصر يستمدها الفنان من ذوقه[(3)].

وهذا يعني أن عناصر الأسلوب كل لا يتجزأ في بناء القصيدة، وتشكل اللغة لبنة أساسية من لبنات بناء الأسلوب الأدبي، ويصبح لألفاظها أهمية كبيرة لذا يجب أن تكون بين ألفاظ القصيدة علاقة وثيقة تربط بعضها ببعض، محدثة إيقاعاً موسيقياً منسجماً، وبتركيب الألفاظ معاً تتشكل الأساليب المختلفة بمعانيها ومبانيها[(4)].

تظهر نصوص شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، بساطة الأسلوب وسهولته، وكيف لا ؟ فهو يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة جيّاشة بالمشاعر والأحاسيس، ومثل هذا الغرض لا يناسبه الألفاظ الغريبة الصّعبة والحوشية.

فقد اختيرت الألفاظ السّهلة المتسمة بالوضوح بعيدة عن التّعقيد والحوشية، منها ما امتاز بالجزالة ومنها ما امتاز بالرّقة[(5)]، وقد وظفت هذه الألفاظ على تنوعها ضمن تجربة الحنين، وجاءت الألفاظ في صورتين:-

1- ألفاظ الحنين والشّوق المباشرة:

وظف الشّاعر الزنكي والأيوبي الألفاظ الدّالة على الحنين مباشرة، فقد وردت اللفظة صريحة في نتاجه الشّعري الّذي قاله في الحنين إلى الوطن، والأهل والأحبة، والأصدقاء والذّكريات الماضية، ومن ذلك قول ابن عنين: **{الطّويل}**

---

(1) ينظر: أمين، أحمد، **في النقد الأدبي**، 113/1.
(2) الشايب، أحمد، **الأسلوب**، 44.
(3) ينظر: طبانة، بدوي، **البيان العربي**، 287.
(4) ينظر: مندور، محمد، **الأدب وفنونه**، 37.
(5) ينظر: دقالي، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 435.

أحِــنُّ إلـــى قَـــوْمٍ هُنَـــاك أعـــزَّةٍ   علــيَّ وَقَـومٍ فــي عِـراصِ المُقطَّــبِ[1]

أأرْجـو وَقـد حَاولـتُ فـي الهنـدِ عُـوْدةً   إلـيهم لَقَـدْ حَاولـتُ أطْمـاعَ أشْـعَبِ[2]

قوله أيضاً: **{الطّويل}**

أحِـنُّ إلـى مِصْـرٍ وَيَـا ليـتَ أنَّ لِـي   إذا ذُكِـرتْ مِصْـرٌ جَنَاحــاً أُعــارُهُ[3]

ووردت أيضاً لفظة الحنين عند الأرجاني من قصيدته، التي نظمها في مدح الخليفة المسترشد[4]باللهِ، يقول: **{ الطّويل }**

أحِـنُّ إلـى لَيْلـى عَلـى قُـرْبِ دَارِهـا   حَنــينَ الّــذي يَشْــكو لِأُلّآفِــهِ فَقْــدا[5]

ويصرح الزّمخشري بلفظة الحنين في قصيدة قالها يرثي قاضياً مقرباً منه، إذ يقول: **{الطّويل}**

أحِـــنُّ إلـــى تِلـــكَ البَشَاشـــةِ كُلّمـــا   تَأَوَّبَــهُ ضَـيْفٌ مَــعِ اللّيــلِ طَــارِقُ[6]

ومن الألفاظ الدّالة على الحنين دلالة مباشرة لفظة "الشّوق" فقد تردّدت في أغلب قصائد الحنين، حيث عبر الشّاعر عمّا يُكنه من لواعج الشّوق والحنين تجاه ما يحب من وطن، وأهل، وأصدقاء، وأحبة .

---

(1) المقطب: يقصد به جبل المقطم، وهو جبل مشرف على القاهرة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 204/5

(2) ابن عنين، **الديوان**، 90.

(3) نفسه، 91.

(4) الخليفة المسترشد: هو الخليفة المسترشد بالله بن أحمد بن المقتدي عبد الله محمد الهاشمي العباسي أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (512هـ)هـ توفي سنة 529هـ، ينظر: ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، 124/2.

(5) الأرجاني، **الديوان**،1/ 197.

(6) الزمخشري، **الديوان**، 149.

من ذلك: قول أسامة بن منقذ معبراً عن حنينه وشدة شوقه إلى أهله الذين فقدهم فيقول: **{الطّويل}**

وَهَـاجَ لِـي الشَّـوقَ القـديمَ حَمَامـةٌ عَلَـى غَصُـنٍ فِـي غَيْضَـةٍ[1] تَتَـرنمُ
دَعتْ شَجْوَها مَحزُونـةً لـمْ تِفضْ لَهَـا دُمُـوعٌ؛ فَفَاضَـتْ أدْمُعِـي مَزْجُهـا دَمُ[2]

ويبدأ ابن مطروح مقطعته الشّعرية الّتي يحن فيها إلى المحبوبة بلفظة "المشتاق" ليقوي فكرته، فيقول : **{ الكامل }**

بَـردَتْ حَـرَارةُ قَلْبِـك المُشَـتَاقِ لمـا دَعَـوك، وَأسْـعفُوا بِـتَلاقِ
سَكَنَ الْهَـوى بَعْـدَ الخُفُـوقِ وأخْفقـتْ سُـبْلِ الأسَـى مِـنْ قَلْبِـكِ الخفّـاقِ[3]

ويجمع الطّغرائي بين لفظتي الحنين والشّوق في قصيدة واحدة، ليظهر ما يكنه من لواعج الشّوق والحنين، حيث يقول: **{ الطّويل }**

فَيَـا لـكَ مِـنْ شَـوْقٍ أرُوضُ جِماحَـهُ وَيَـأبَى سِـوى عَـضِّ الشّـكيمِ الجَـوامِحُ
وَعَـازبِ أشْـجَانٍ أُريـحَ عَلـى الحَشَـا وَلَـو كَـانَ مَـالاً ضَـاقَ عنـه المَسَـارِحُ
وَكَـمْ حَنّـةٍ لـي نَحـوَ "نَجْـدٍ" وَأنّـةٍ كَمَـا حَـنَّ مَرقُـوع الأظلّـينِ رَازِحُ[4]

2-الألفاظ الدالة على الحنين

يتردد على ألسنة الشّعراء الزّنكيين والأيوبيين عدد من الألفاظ الدّالة على الحنين والشّوق، منها " الوجد والصّبابة ، والشّجن، والفراق، والتّلهف، والدّموع" وغيرها من الألفاظ الّتي تخدم تجربة الحنين عند الشّاعر الزّنكي والأيوبي، وتعبر عن مشاعره وأحاسيسه، من ذلك قول الأبيوردي حاناً إلى محبوبته: يقول **{ الكامل }**

جُهْـدُ الصَّـبابةِ أنْ أكُـونَ مَلومـاً والوْجـدُ يُظْهِـرُ سِـرِّيَ المَكْتُومَـا
يَـا صَـاحِبَيَّ تَرَقَّقَـا بِمُتَـيَّمٍ نَـزَف الصَّـبابَةُ دَمْعَـهُ المَسْـجُومَا[5]

---

(1) الغيض: مجتمع الشجر في مغيض ماء، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غيض).
(2) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 99.
(3) ابن مطروح، **الديوان**، 157.
(4) الطغراني، **الديوان**، 108.
(5) الأبيوردي، **الديوان**، 1/ 308.

ويقول ظافر الحداد: **{الطّويل}**

فَـإنّي وَإنْ شَـطّت بِـيَ الـدّارُ عَـنْكمُ ... مُقِـيمٌ علـى فَـرْطِ الصَّـبَابةِ وَالوَجْـدِ
إذا نَسَـمتْ مِـن ذلـكَ القُطْـرُ شَـمْألٌ ... تَرَشَّـقتُها رَشْـفُ النَّزيـفِ مِـن الثَّمـدِ[1]
لـأَلْقى مِـن الإسْـكنْدريّةِ نَشْـوةً ... أغْـضُّ بِهَـا مَـا بَـيْن جَنْبِـيَّ وَقْـدِ
وأودعُ هَبّـاتِ الجَنـوبِ تَحيّتِـي ... فَهْل بَلّغَـتْكم مَـا أقـولُ عَلـى البُعْـدِ؟[2]

فقد جمع لفظة الصّبابة والوجد في بيت واحد، ليضاعف من شوقه وحنينه إلى المحبوبة.

ويستخدم ابن الهبّاريّة لفظة دالة على الشّوق الملتهب للوطن الغائب: **{ السّريع }**

لَهَفـي عَلـى بَغْـدادَ دارِ الهَـوَى ... فَـإنّني مِـنْ حبِّهـا مَـا أفيـقْ[3]

فلفظة "لهفي" تعمق الصّورة وتبرزها أكثر، فهو متلهف إلى بغداد العزيزة على قلبه.

ووظف أسامة بن منقذ ألفاظاً دالة على الشّوق والحنين ، من ذلك الفراق والدّمع والوداع، يقول: **{ البسيط }**

أقـولُ لِلعـينِ فـي يَـوْمِ الفِـرَاقِ، وَقَـد ... فَاضَـتْ بِـدمعٍ علـى الخـدَّين مُسْـتَبِقِ
تَـزوّدِي اليَـومَ مِـنْ تَـوديعِهم نَظَـراً ... فَفِـي غَـدٍ تَفْرُغـي للـدَّمعِ والأرقِ[4]

تؤكد ألفاظ الحنين والشّوق السّابقة، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة صدق تجربة الحنين عند شعراء هذا العصر، فقد وظف الشّاعر أكثر من لفظة في البيت الواحد، ليعبر عن حنينه المستمر إلى الوطن والأهل والأحبة والأصدقاء والذّكريات الماضية، فهذه كلها مفقدات عزيزة عليه، ويحبها ويتشوق لها شوقاً كبيراً.

ومن السّمات الأسلوبية الأخرى الّتي وظفها الشّاعر الزّنكي والأيوبي في شعر الحنين، الاقتباس، والتّضمين.

---

(1) الثمد: الماء الثقيل لا مادة له. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ثمد)
(2) ظافر الحداد، **الديوان**، 97، 98.
(3) ابن الهبارية، **الديوان**،160.
(4) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 90.

حيث اقتبس الشّاعر الزّنكي والأيوبي من القرآن الكريم والحديث في نتاجه الشّعري الّذي قاله في الحنين ليؤكد صدق عاطفته تجاه وطنه وأهله وأحبابه وأصدقائه، ولتجميل شعره في هذا الغرض، من ذلك قول ابن مطروح: **{ الطويل}**

وَمَــا هـــي إلا جنّـــةُ الخُلْـــدِ بِهجـــةً ‌‌ وَلا عَجــبٌ شَــوْقي إلــى جنَّـــةِ الخُلْـــدِ[1]

فقد تأثر يقوله تعالى: (**قُل أذلك خيرٌ أمْ جنّة الخُلد التي وعد المُتَّقون كانت لهم جزآءً ومصيراً**) [2] ويتضح تأثر ظافر الحداد بالقرآن الكريم والاقتباس من كلام الله العظيم، حيث يقول في التّشوق والحنين إلى أهله ومدينته الإسكندرية :**{ الطّويل}**

وَغَايتُــــه حَالَــــان: إمّــــا لِجنّــــة ‌‌ لَهَــــا مِــــن جُــــوارِ اللهِ خَيــــرُ مُقَــــامِ
وإمّــــا إلــــى نَــــارِ فَيَالــــك غُربــــة ‌‌ وَطُــــولُ عَــــذّاب دَائِــــمٍ وَلِــــزَام[3]

فهو متأثر بقوله تعالى: (**الذي أحلّنا دار المُقامة من فضله لا يمّسنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب، والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفورٍ**) [4]

لقد ناسبت الإشارات القرآنية حالة الشّاعر ونفسيته فالوطن يمثل له الجنة حيث الأمن والرّاحة ،في حين أن الغربة تمثل له النّار العذاب الدّائم الذي يلازمه ما دام مغترباً.

وفي قول ابن مطروح: **{ الخفيف}**

حُــــبّكُم والغَــــرَامُ يَــــا أهْــــلَ نَجْــــدٍ ‌‌ - بَعْــدَ يَــوْمِ الحِسَــابِ والعَــرْضِ بَــاقٍ[5]

فقد تأثر بقوله تعالى: (**يوم يقوم الحساب**) [6]

لم يجد ابن مطروح طريقة أفضل للتّعبير عن شوقه الملتهب إلى المحبوب الغائب من الاقتباس من القرآن الكريم؛ ليجمّل نصه الشّعري ويعطيه جزالة أكثر، حيث يقول:

---

(1) **الديوان**: 50.
(2) الفرقان:15 .
(3) ظافر الحداد، **الديوان**، 285.
(4) فاطر: 35، 36.
(5) **الديوان**، 175.
(6) إبراهيم: 41.

{ الطّويل}

وَفِـــي القَلْــبِ نَـــارٌ لِلخليــلِ تَوقــدت   وَمَـــا ذُقــتُ مِنْهــا لا سَــلاماً ولابَــرْدا[1]

فقد أشار إلى قوله تعالى: **(قُلنا يا نارُ كُوني بَرداً وسَلاماً على إبراهيم)** [2]

ويتأثر العماد الأصبهاني بالقرآن الكريم في حنينه إلى الأهل والأحبة، فيقول:

{ الطّويل}

سَـــأبْلى وَلَــا تَبْلـــى سَــريرةُ ودّكُــمْ   وَتُؤنسـني إنْ مُـتُّ فِـي وَحَشْـةِ اللَّحـدِ [3]

يلاحظ تأثر الشّاعر الواضح بالآية القرآنية الآتية: **(يوم تُبلى السّرائر)** [4]

ومن خلال عملية البحث والتّقصي في أشعار الحنين حول تأثر الشّعراء بالحديث النّبوي الشّريف، يلاحظ أن الشّعراء لم يكثروا من الاستشهاد به، إلاّ ما قاله ابن جبير من شعر في الحنين إلى الديار المقدسة :**{ الخفيف}**

طَـــالَ شَـــوْقِي إلـــى بِقَـــاعٍ ثَـــلاثٍ   لا تُشَــــدُّ الرَّحِــــال إلّـــا إليهَــــا[5]

فقد أشار إلى قول الرّسول صلى الله عليه وسلم : **"لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا ،والمسجد الأقصى"**[6].

ولم يقتصر تأثر الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالقرآن الكريم والحديث الشّريف بل تأثر بالشّعراء السّابقين، حيث تأثر بأساليبهم الشعرية.

---

(1) ابن مطروح، **الديوان**، 120.
(2) الأنبياء: 69
(3) ابن العماد الأصبهاني، **الديوان**، 129.
(4) الطارق: 9
(5) ابن جبير، **الديوان**، 107.
(6) البخاري، **صحيح البخاري**، 206/1.

ومن ذلك قول ابن عنين: **{الطويل}**

لِعَـــزَّةَ دَقْـــرٌ حِـــينَ تُوقـــدُ نَارُهَـــا   لديـــه وَمِتْفَـــالٌ بِـــهِ أم جُنْـــدبِ[(1)]

فقد أشار إلى قولين سابقين أولهما: قول كثير عزة: **{الطّويل}**

بِأطّيـــبَ مِـــنْ أرْدَانِ عَـــزَّةَ مَوْهنَـــاً   وَقَـد أُوْقِـدتْ بِالمَنـدلِ الرَّطْـبِ نَارُهـا[(2)]

أما في قوله: "ومتفال به أم جندب" يتأثر بقول امرئ القيس: **{ الطّويل }**

فإنّكمَـــــا إنْ تنْظرَانِـــــيَ سَـــــاعةً   مِـنَ الـدَّهرِ تَنْفَعْنـي لَـدَى أمِّ جُنْـدبِ[(3)]

ومثله أيضاً قول المهذب بين الزّبير في مقطعته الّتي نظمها في ذكر الدّيار والحنين إليها، فقد تأثر فيها بقول زهير بن أبي سلمى، والبحتري، يقول: **{ الكامل }**

وَإلـــى دِيَـــارِكُم نَحـــنُّ صَـــبَابةً   وَنَفُـــضُّ أوْعيَـــةَ الـــدُّمُوعِ وَنُرسِـــلُ

تِلْـــك المنـــازلُ مَـــا تمـــرُّ سَـــحَابةٌ   تَهْمِـــي بِهَـــا إلّـــا وَعَـــينٌ تَهْمُـــلُ[(4)]

ويشير إلى قول زهير: **{ البسيط }**

كَـأنَّ عَيْنـي وَقَـد سَـالَ السَّـليلُ بِهِـمْ   وَعَبـــرَةٌ مَـــا هُـــمُ لَـــوْ إنّهُـــمْ أمَـــمُ[(5)]

وفي قوله: { الكامل }

مَـــا ضَـــرَّها إذْ يَنْزِلِـــونَ رُبوعَهـــا   ألّـــا يُـــرى، "فيهـــا لَعَلْـــوةَ مَنْـــزلُ"[(6)]

قد اقتبس من قول البحتري { الكامل }

عَـــرّج عَلَـــى حَلَـــبٍ فَحـــيِّ مَحَلَّـــةً   مَأنُوســـــةً فِيهَـــا لَعَلْـــوةَ مَنْـــــزلُ[(7)]

حيث تأثر بقوله عندما اقتبس من عجز البيت "لعلوة منزل".

---

(1) **الديوان**، 89.
(2) **الديوان**، 429.
(3) **الديوان**، 114.
(4) المهذب بن الزّبير، **الديوان**، 209.
(5) زهير بن أبي سلمى، **الديوان**،90.
(6) المهذب بن الزبير، **الديوان**، 209
(7) **الديوان**، 24/1.

ويقول العماد الأصبهاني: **{الكامل }**

وَلَكُنـــتَ تَتْــركُ فـــي الغَــرامِ مَلامَــهُ   كَــيْلا يَزيـــدُ اللَّـــومُ فِـــي إغْرَائِــــهِ[1]

يظهر البيت تأثر الشّاعر بقول أبي نواس: **{البسيط }**

دَعْ عَنْـكَ لَـوْمِي فَـإنَّ اللَّـومَ إغْـرَاءُ   وَدَاوِنِـــي بِـــالّتي كَانَـــتْ هِـــي الـــدَّاءُ[2]

ويقول الملك الأمجد في حنينه إلى المحبوبة : **{المتقارب }**

دَعِ العِـــيسَ تَرْفُـــلُ فِـــي الفَدْفَـــدِ   عِجَـــالاً إلـــى بُرْقتـــي ثَهْمَـــدِ[3]

فقد ضمّن الشّاعر من مطلع معلقة طرفة بن العبد التي يقول فيه: **{الطّويل }**

لِخَوْلَـــةَ أطْـــلالٌ بِبُرْقَـــةِ ثَهْمَـــدِ   تَلُـوحُ كَبَـاقِي الوَشْـمِ فِـي ظَـاهِرِ اليَـدِ[4]

ويتأثر أسامة بن منقذ بأبي فراس الحمداني، حيث يقول: { الطويل }

أطَاعَ الْهَوى مِنْ بَعْدهم وَعَصَى الصَّبرٌ   فَلَـيْسَ لَـهُ نَهـيٌ عَليـهِ وَلا أمْـرُ[5]

فالتأثر واضح إذ يقول أبو فراس الحمداني: **{الطّويل }**

أراكَ عَصـيَّ الـدَّمع شِـيمَتُكَ الصَّـبرُ   أمَـا لِلهَـوى نَهْـيٌ عَلَيـكَ وَلَـا أمْـرُ[6]

ومن الأمثلة على التّضمينات أيضاً ، قول أسامة بن منقذ: **{البسيط }**

يَـا قَلْـبُ ،دَعْهـم، فَقَـد جَرَّبْـتَ غَـدرَهُمُ   "وَفِـي التَّجَـاربِ بَعـدَ الغَـيِّ مَـا يَـزَعُ"[7]

فقد ضمّن أسامة بن منقذ عجز بيت المتنبي الآتي : **{ البسيط}**

---

(1) **الديوان**، 66.
(2) **الديوان**، 11.
(3) الملك الأمجد، **الديوان**، 100
(4) الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، 62.
(5) **الديوان**، 72
(6) أبو فراس الحمداني، **الديوان**، 64.
(7) **الديوان**، 82.

أهْـــلُ الحَفِيظَـــةِ إلّـــا أنْ تُجَـــرِّبَهُمْ   وَفِـي التَّجَـاربِ بَعـدَ الغَـيِّ مَـا يَـزَعُ [1]

الأساليب الإنشائية:

وظف الشّاعر الزّنكي والأيوبي الأساليب الإنشائية في قصائده ومقطعاته الشّعرية الّتي قيلت في الحنين؛ لتخدم تجربته الشّعرية، فقد أكثر من النّداء والاستفهام والتّمني، وهذه الأساليب تتفق وحالة الشّاعر، فمرة يخاطب الوطن والأصحاب والأحبة والأصدقاء والزّمن الماضي، وهذا يناسبه أسلوب النّداء، ومرة يتساءل عن حاله، وعمّا يختلج صدره من شوق وحنين إلى تلك المفتقدات، وهذا يناسبه أسوب الاستفهام، وثالثة يتمنى العودة إلى الوطن والأهل والأقرباء والأحبة والذّكريات الماضية الجميلة، وهذا يناسبه أسلوب التّمني.

أ. أسلوب النّداء.

تكررت أساليب النّداء في شعر الحنين في هذا العصر، فقد عبر أسامة بن منقذ عن حنينه الممزوج بالأسى والحسرة إلى المحبوب، فيقول: **{الطّويل}**

أَأحْبَابَنَــا مَــا أَشْــتِكي بَعْــدَ بُعْــدِكُمْ   سِــوى أنّنِــي بَــاقٍ وَلُبّــيَ حَاضِــرُ [2]

ويكرر أسامة بن منقذ أسلوب النَداء ليعبر عما حلّ به من الدهر، فالأيام لم تنصفه ولم تكن عادلة بحوادثها ووقائعها فيقول: **{ مجزوء الكامل }**

يَـــا دَهـــرُ مَالَـــكَ لا يَصــــدكَ عَــــنْ إســـاءَتِيَ العِتَـــابُ
أمْرَضْـــتَ مَـــنْ أهْـــوى ويَـــأبَـــى أنْ أُمَرِّضَـــه الحِجَـــابُ
لَـــوْ كُنْـــتَ تُنِصــفُ كَانِــتِ الــأمِـــراضُ بِـــي وَلَـــهُ الثّـــوابُ [2]

ويظهر أسلوب النّداء المصحوب بالتّحسر والاسى تجاه الوطن في قصيدة ظافر الحداد إذ يقول: **{ مجزوء الوافر }**

فَـــوَا أسَـــفَاه يَـــا وَطَنِــــي   وَإنْ أوْدَى بِــــيَ الأسَــــفُ
عَـــدِمتُك حِـــينَ مَـــالِي مِنْـــكَ مُعْتَـــاض وَلا خَلَـــفُ [3]

---

[1] الديوان، 224/2.
[2] أسامة بن منقذ، **الديوان**، 74.
[2] نفسه، 55.
[3] **الديوان**،210.

ويتعاقب أسلوب النّداء المشحون بحرارة العاطفة وصدقها تجاه مصر وقاطنيها في مقطعة للعماد الأصبهاني، معبراً فيها عن شدة حبه وشوقه لمصر وساكنيها يقول: **{الطّويل}**

أيَــا سَــاكنِي مِصْــرٍ ألَــمْ تتحققــوا   بِــأنّكُمُ لَــمْ تبَرحُــوا سَــاكني قَلبِــي
حَنـــــانيكُمُ زادَ الحَنِـــــينُ إلـــــيْكُمُ   فَأَضْعفَ من صَبْري وَضَاعفَ مِنْ كَرْبي
لَقَد أشْـفَقَتْ مِـنْ لَوْعـةِ الحُـبِّ مُهْجتِـي   وَهَـلْ مُهجـةٌ تَبْقَـى عَلَـى لوْعَـةِ الحُـبِّ[1]

ويكرر الشّاعر الزّنكي والأيوبي أسلوب النّداء في شعر الحنين، ليدل على صدق تجربته الشّعرية تجاه ما يحنّ إليه، فيخاطب عرقلة الكلبي أحبابه، مظهراً ما يكنه من شوق وحنين إليهم

قائلاً :**{البسيط}**

أحْبابنَـــــا لا تَظنُّـــــوني سَـــــلْوتُكم   وَمـا حَالـتِ الحَـالُ، والتَّبـرِيحُ مَـا بَرِحَـا [2]

ويوظف الزّمخشري أسلوب النّداء في حنينه إلى مكة المكرمة مخاطباً من يسافر في البلاد المختلفة، مظهراً أنه إلى البلد الحرام مسافر: **{ الكامل }**

يَــا مَــنْ يُسَــافِرُ فِــي البِلَــادِ مُنَقّبــا   إنِّــي إلــى البَلَــدِ الحَــرَام مُسَــافِرُ[3]

---

(1) العماد الأصبهاني،**الديوان**،85..
(2) عرقلة الكلبي، **الديوان**، 17**.**
(3)الزمخشري، **الديوان**، 342.

ويكرر النّداء في القصيدة نفسها طالباً من الله تعالى أن يهديه إلى خير الأمور، يقول: **{الكامل}**

يَـــا ربِّ إنّـــي اسْـتَخِيرُكَ فِــي الــذي   نِطَــتْ الرَّجَــاء بـــهِ وَأنَــتَ الخَـــائِرُ [1]

وهكذا قد جاء أسلوب النّداء لخدمة تجربة الحنين، واكتسب دلالة أعمق في سياق هذه التّجربة، فقد جاء مفعماً بإحساس الشّاعر ووجدانه ومشاعره.[2]

ب- أسلوب الاستفهام

وظف الشّاعر الزّنكي والأيوبي أسلوب الاستفهام للتّعبير عن حاضره المرير واصطدامه بالواقع[3]، ومن ذلك ما يظهر في قول الطّغرائي، الّذي عبرعن اصطدامه بالواقع المرير الحزين، فقد سلب منه الأشياء الجميلة كلها، يقول: **{البسيط}**

فَــأيْنَ عَصْــرُ شَــبابٍ لا رُجُــوعَ لَــهُ   أمْ أيْـنَ أنْـتَ وَمَـالِي عَنْـكَ مـن خَبَـرٍ ؟[4]

ومنه أيضاً قول الملك الأمجد، حيث وظف هذا الأسلوب في قصيدته البائية، للتّعبير عن شوقه الملتهب إلى المحبوب البعيد، إذ يقول :**{ الطّويل}**

وَكَيْـفَ يَـرى قَلْبـي جَلِيـداً عَلَـى النَّـوى   وَقَد بَانَ مَنْ يَهْوى وَلَوْ كَانَ مِنْ صَخرٍ؟[5]

ومن الشّعراء الّذين وَظفوا الاستفهام أسامة بن منقذ، فقد استخدم اسم الاستفهام "أين" ليدل على ما يكتنف نفسه من حسرة وألم نتيجة لضياع الوطن، وفَقْد الأهل والخلان والأحبة.

---

(1) الزمخشري، **الديوان**، 342.
(2) ينظر: دقالي، محمد أحمد ، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 456.
(3) نفسه، 456.
(4) الطغرائي، **الديوان**، 196.
(5) الملك الأمجد، **الديوان**، 148.

يقول: **{الكامل}**

أيْــنَ السُّــرورُ مِــنَ المُــروَّع بِــالنَّوى   أبَــــدا، فَلّــــا وَطَــــنٌ، وَلا خُلّـــــانُ[1]

ويكرر العماد الأصبهاني في أسلوب الاستفهام في قصيدته اللامية تعبيراً عن حنينه ونزوعه إلى أصدقائه، فقد حرم منهم واصفاً عيشته المريرة، وواقعه الأليم بعد غيابهم : **{الهزج }**

تُـــــــرى يَجْتَمِــــــــعُ الشَّـــــــملُ؟   تُـــــــرى يَتَفِـــــــقُ الوَصْـــــــلُ؟

تُـــــرى العَـــــيْشَ الَّـــــذي مَـــــرَّ   مَريـــــــــــراً بَعْـــــــــدهُمْ يَحْلُـــــــــو؟

تُـــــرى مِـــــنْ شَـــــاغلِ الهَـــــمِّ   فُـــــــؤَادي المُبْتَلـــــــى يَخْلُـــــــو؟[2]

(1)

ويقول ابن مطروح: **{ الوافر }**

أجيــرانَ الحِمــى، هَــلْ لِــي إلــيْكُم   عَلَــى رغــم العِــدَى يومــاً سَــبيلُ؟

لَــئِنْ نَزَحَــتْ بِكُــمْ عَنّــا اللّيَــالِي   فَــأنْتم فِــي حِمَــى قَلْبِــي نُــزُولُ

أيَــا بَــانَ الحِمَــى، قُــلْ لِــي وَهَــلْ لِــي   - وَقَــدْ بَــانُوا-، إلــى وَصْــلٍ وصُــولُ؟ [3]

فقد كثف ابن مطروح في الأبيات السّابقة من استخدام أسماء الاستفهام حيث وظف الهمزة (أ) و(هل) في موضعين،ودلالة هذا التّكثيف رغبة الشّاعر الجامحة في التّعبير عن مشاعره الملتهبة تجاه الحبيب فهو يتمنى الوصل بعد الفراق.

ويكرر ظافر الحداد أسلوب الاستفهام في بيت شعري واحد، متمنياً العودة ولقاء الأهل والأحبة، إذ يقول: **{ الطّويل }**

ألا هَــلْ لأيّــامِ الوِصَــالِ تَواصُــلٌ   وَهَــلْ لِــي إلــى سُــكّانِ مِصْــرَ مَصِــيرُ؟[4]

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 104.

(2) العماد الأصبهاني، **الديوان**،334

(3) **الديوان**،166.

(4) ظافر الحداد، **الديوان**، 155**.**

(5) الزمخشري، **الديوان**، 52.

ولجأ الزّمخشري إلى هذا الأسلوب في حنينه إلى الدّيار المقدسة، ليوثق ارتباطه بمكة المكرمة، وما حولها من الدّيار الحجازية الطّاهرة، حيث يقول: **{ الطّويل}**

فَكَيْــفَ إذا خَلَّـــى الحِجَـــازَ وَرَاءنـــا   وَجِيـفُ المَطَايَـا؟ يـا لَهَـا كَبِـداً حَـرَّى[5]

يمكن القول: إن الشّاعر الزّنكي والأيوبي من خلال توظيفه أسلوب الاستفهام، استطاع أن يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي، ويثبت له صدق عاطفته في تجربة شعرية.

جـ - أسلوب التمني.

استخدم الشّاعر الزّنكي والأيوبي أسلوب التّمني في شعر الحنين، ليبرز حنينه وشوقه إلى وطنه وأهله وأحبابه، فهو يتمنى عودة كل ما يفتقد إليه، ومن الأمثلة على أسلوب التّمني، قول أسامة بن منقذ: **{ الطّويل }**

فَلَيتَ زَمَـانَ الهَجْرِ يَنْقصُ مِنْ مَـدَى   حَيَـــاتِي، وَسَـــاعاتِ الوِصَـــالِ تَعُـــودُ
وَكَانَــتْ لَيَــالِي الوَصْــلِ مُشْــرِقةً بِــه   كَمَـــا أنَّ أيَّـــامَ القَطِيعـــةِ سُـــودُ[1]

فقد وظف الشّاعر أسلوب التّمني الممزوج بالحسرة والأسى، فقد مضت أيّام الوصال الجميلة، الّتي كانت تجمعه بالأحبة والأهل؛ ليعبرعن شوقه القوي،إلى الأحبة الغائبين. كما وظف ابن عنين هذا الأسلوب، بقوله: **{ الطّويل }**

ألَــا لَيْــتَ شِــعْرِي هَــلْ أبِيــتنَّ ليلــةً   وَظلُّـــك يَـــا مَقْـــرَى عَلَـــيَّ ظَلِيـــلُ[2]

يستخدم الشّاعر عبارة "ألا ليت" ليعبر عن حنينه إلى مدينة دمشق، متمنياً العودة إليها.

ومن ذلك ما يظهر في قصيدة العماد الأصبهاني حيث كرر هذا الأسلوب الممزوج بالاستفهام، ليضاعف من حنينه إلى مصر الّتي فارقها، فهو يتمنى أن تعلم بشدة حبه إليها، مظهراً رغبته بالعودة إلى مصر، والالتقاء بأصحابه، يقول: **{الرّمل}**

لَيْـــتَ مِصْـــراً عرفَـــتْ أنّـــي ،وإنْ   غِبْـــتُ عَنْهَـــا فَـــالْهَوى لَـــمْ يَغِـــبِ
فَمَتـــــى أظْفـــــرُ مِـــــنْ قُـــــرْبِكمُ   يَـــــا أخِـــــلايَ بِـــــنَجحِ الطَّلَـــــبِ
وَمَتَــى أحْصــلُ بِالوَصــلِ عَلَــى الــ   ــــــواصلِ المُرتقـــــبِ المُقْتَـــــربِ
وَمَتــــى أطْلـــــعُ فِـــــي أُفقِكـــــمُ   قَمَـــــراً يَجْمَـــــعُ شَـــــملَ الشُّـــــهُبِ[3]

[1] **الديوان**، 64.
[2] **الديوان**، 69,
[3] العماد الأصبهاني، **الديوان**، 79.

ويوظف الشّاعر أسلوب التمني رغبة منه باسترجاع الماضي الجميل، وزمن الوصال الّذي كان يجمعه بالأحبة، وهذا ما يتضح في قول ظافر الحداد: **{الكامل }**

يَــا لَيــتَ شِــعْري وَالأمَــاني ضِــلَّةٌ   والـــدَّهرُ يُـــدرك صَــــرْفُه وَيَجُـــوزُ
هَـلْ لِــي إلــى زَمَــنٍ تَصــرَّم عَهْـدُه   سَـــببٌ فَيرجـــعَ مَـــا مَضَــى فَـــأفوزُ
وَأزورُ مِـــن أَلِـــف البعَـــادَ، وَحبُّـــه   بَـــيْنَ الجَـــوانِح والحَشَـــا مَركُـــوزُ[1]

-المحسنات البديعية.

اهتم الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالمحسنات البديعية اهتماماً بالغاً، واعتبره "ضروة لا يكون الشّعر جميلاً إلا بها"[2] ويرى شفيق محمد الرّقب أن بعض شعراء هذا العصر استخدموا المحسنات البديعية، وكأنها ميدان يتنافسون فيه لاظهار مهارتهم في التّصرف بالكلمة المفردة، رسماً، وصوتاً، ومعنى لاستدعاء صورة الزُّخرفة اللفظية[3].

لذلك كان الاهتمام بالفنون البديعية أحد مقاييس الذّوق في العصرين الزّنكي والأيوبي، في معظم الأغراض الشّعرية لا سيما شعر الحنين، ولكن هل تخدم الزّخرفة والتّزويق اللفظي تجربة الحنين، وتعطيها بعداً صادقاً؟ أم أن المحسنات البديعية توضح الفكرة وتضاعفها؟

وقد وظف الشّاعر الزّنكي والأيوبيّ عدداً من المحسنات البديعية في شعر الحنين، وفق الآتي:

أ-الطّباق .

كان الطّباق من ضروب البديع الّتي اعتمد عليها الشّاعر في قصيدة الحنين في هذا العصر لتحسين الكلام وتجميله.

والطّباق: الجمع بين ضدين في الشّعر[4]، ومن خلال البحث في النّصوص الشّعرية الّتي قيلت في الحنين في هذا العصر، نلاحظ استخدام بعض الشّعراء لهذا اللون البديعي،" فشعر الحنين يقوم في أساسه على الجمع بين صورة الماضي وصورة الحاضر والمفارقة بينهما"[5]، من ذلك قول القيسراني: **{الطّويل}**

---

(1) **الديوان**، 161، 162.
(2) زغلول، محمد سلام، **تاريخ النقد العربي في القرن الخامس إلى القرن السابع**، 313.
(3) ينظر: **الشعر العربي في بلاد الشام**، 35.
(4) ينظر: ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، 5/2، ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، 156/1.
(5) دقالي، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 490.

وَأَطْمَـعُ مِنْـهُ فـي الوِصَـالِ وَدونَـه   دَلالٌ عَلَـى الهجَـرانِ مِنْـه دَليـلُ[(1)]

حيث جمع الشّاعر بين (الوصال والهجر) وهما ضدان، أراد من خلالهما أن يكشف عن حالته النّفسية، فهو يتمنى وصال المحبوبة الّتي تتمنع في هجرها له.

ومن أمثلته أيضاً ما ورد في مقطعة شعرية لابن الكتّاني أرسل بها إلى صديقه، حيث يقول: **{ المنسرح }**

شَـوْقاً إذا مَـا اقْتَصَـرْتُ فِيْـهِ   أطَلْـتُ فِـيْ بَعْضِـهِ خِطَـابِي[(2)]

فقد جمع الشّاعر بين متضادين، هما: (اقتصرت وأطلت) ليعبر عن حنينه إلى صديقه الغائب، فهو وإن اقتصر في شوقه، فقد أطال الحديث عنه.

ومن الشّعراء الّذين استخدموا الطّباق في حنينهم أسامة بن منقذ حيث يقول: **{الكامل}**

فَـإلى مَتَـى يُمْسـي وَيُصْبحُ فـي لَظـىً   مِـنْ وَجْـدِهِ، يَسِـمُ المَطـيّ أُوارُهُ[(3)]

جمع الشّاعر بين (يمسي ويصبح)، وهم ضدان، تعبيراً عن ألمه الممزوج بالحنين والشّوق إلى الغائبين.

ويلجأ ابن القيسراني إلى الطّباق ليصور الانفعالات المشتتة المتداخلة، فقد بدا حائراً بين موقفين: **{ الطّويل }**

تُجَـاذِبُني ألاهـوَاءَ شَـرْقاً ومَغْربـاً   فَقَلبـي "وَرَائِـي" تَـارةً وَأمَـامَي[(4)]

فقد جمع بين (شرقاً ومغرباً) و (ورائي وأمامي) ليعبر عن حنينه المقسم بين العراق والشّام.

ومنه أيضا قول ظافر الحداد: **{ البسيط }**

لَعبـتُ بـالزّمنِ المَاضِـي فَخَلّفنِـي   مِـنْ بَعْـدِهِ فِـي زمَـانٍ ظَـلَّ يَلْعَـبُ بِـي
هَـذا بِـذاكَ فَطَبْـعُ الـدَّهرِ مُخْتَلِـفٌ   لا بُـدَّ مِـنْ رَاحـةٍ فيـهِ وَمِـنْ تَعَـبِ[(1)]

---

(1) **الديوان**، 341.
(2) ابن الشعار، **قلائد الجمان**، 224/10.
(3) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 71.
(4) ابن القيسراني، **الديوان**، 388.

جمع الشّاعر بين الرّاحة والتّعب في عجز البيت الثّاني، وهما ضدان، ليظهر أحواله المتقلبة، فالزّمن لا يبقي شيئاً على حاله، فبعد أن عاش في راحة وسرور، أصبح يعيش في تعب وشقاء.

ب- المقابلة.

وتعد المقابلة من الألوان البديعية التي وظفها الشّاعر الزّنكي والأيوبي، والمقابلة:هي الجمع بين أكثر من ضدين في الشّعر[(2)]، فقد قابل الشّاعر بين صورتين متضادتين ليوضح فكرته ويبررها أكثر،من ذلك:قول سبط بن التعاويذي: **{ المتقارب }**

وَرُبَّ لَيَـــــالٍ نَصَــــــحْنَا بِهَـــــا حَــــرّ الفِــــرَاقِ بِبَـــــرْدِ التّلاقِـــــي[(3)]

حيث قابل الشّاعر بين (حر الفراق وبرد التّلاقي) ليكشف حالته التي ملأها الشوق والحنين.

ويقول المهذب بن الزّبير **{الطّويل }**

لَقَــد طَــالَ هَــذا اللَّيــل بَعــد فِرَاقِــه وَعَهْــدِي بِــه قَبْــلَ الفِــرَاقِ قَصــيرُ[(4)]

فقد قابل الشّاعر بين حاله قبل الفراق وحاله بعد الفراق، فقبل الفراق كان ليله قصيراً، أما بعده، أصبح طويلاً مليئاً بالهموم والعذابات، وقد اعتنى الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالطّباق، والمقابلة ليبرز حالته النّفسية الواقعة بين ضدين يوضحان غرضه.

جـ - الجناس:-

اهتم الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالجناس ليجمّل قصيدة الحنين المليئة بالأحزان والأشجان والدّمع، والجناس: " تشابه اللفظين في النُّطق تشابها تاماً أو جزئياً، مع اختلافهما في المعنى"[(5)].

---

(1) **الديوان**، 20.
(2) ينظر: ابن رشيق ، العمدة/ 15/2.
(3) **الديوان**، 299.
(4) **الديوان**، 189.
(5) اسامة بن منقذ، **البديع في نقد الشعر**، 12.

ومن الأمثلة على الجناس التّام والنّاقص في هذه الدّراسة قول ابن القيسراني يحن إلى أرض العراق وساكنيها: **{البسيط}**

رَأيــتَ حَبَّــةَ قَلبِــي كَيــفَ يَسْــلُبُها "خــدٌّ" لَهَــا لــيس بِالخَــالِي مِــنْ الخَــالِ[1]

فقد جانس بين (الخالي والخال) وهذا ترك أثراً في نفسي المتلقى، لما أحدثه من جرس موسيقي عذب.

ومن الشّعراء الّذين وظفوا هذا اللون في شعرهم المهذب بين الزّبير وذلك من قصيدة قالها في تذكر الوطن : **{ الطّويل }**

وإنْ شَـامَ بَـرقَ الشّـامِ طَرْفِـي وَشَـمَّرتْ عَلَــى البُعْــدِ عَنْــه للظَّلَــامِ ذُيُــولُ[2]

حيث جانس بين لفظتي (شام والشّام) جناساً تاماً ،وكان لهذا التّكرار في اللفظ أثر موسيقي يطرق الأسماع.

ومنه أيضا قول العماد الأصبهاني: **{ الخفيف }**

وَمَــرادُ[3] المُــرَادِ بــالعُرف زَاهٍ وَمَــراحُ المِــراحِ بِــالعَرفِ فَــاغِمْ[4]

إن المتتبع للبيت السّابق يجد أن الشّاعر قد استخدم الجناس ثلاث مرات، فقد جانس بين (مَراد ومُراد) وبين (مَراح والمِراح)،وبين(العُرف والعَرف)،وكان لهذا التّكرار جرس موسيقي جميل، يترك شيئاً في نفس الملتقي.

ومن الجناس أيضاً قول ظافر الحداد: **{ الكامل }**

تَــرفٌ يُميّلــه الصِّــبَا مَيْــل الصَّــبا بِقَــوَامِ خُــوط[5] البَانَــةِ المَيّــادِ[6]

---

(1) **الديوان،** 207.
(2) المهذب، بن الزبير، **الديوان،** 207.
(3) مراد: بفتح الميم، هو مكان رياد الإبل، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب،** مادة (مرد)
(4) **الديوان،** 366.
(5) **الديوان،** 89.
(6) خوط: الغصن النّاعم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب،** مادة(خَوَط).

جانس الشّاعر بين لفظتي (الصِّبا والصَّبا) وهذا الجناس أعطى موسيقا داخلية واضحة، تجذب الملتقي إلى الاستماع.

ومن الأمثلة على الجناس النّاقص، قول ابن الهبّاريّة: **{ الكامل }**

إنْ لَـمْ تَكُـنْ وَطنِـي فَلِـي بِربُوعِهَـا وَطَـرٌ وَأوْطَـانُ الْفَتَـى الأوْطَـارُ[1]

جناس الشّاعر بين (أوطان وأوطار) جناساً ناقصاً، أحدث جرساً موسيقياً واضحاً.

ويقول الآرجاني : **{ الكامل }**

مَـا كَـانَ تَـدْري مَـا الحَنِـينُ مَطِيُّنـا حَتَّـى مَـرَرْنَ بِـأبْرَقِ الحَنَّـانِ[2]

لمَّـا أمَلْـتُ زِمَـامَ نِضْـوِي نَحْـوَهُ لِأجِيـلَ طَرْفِـي فـي رُسـومَ مَغَـانِ[3]

فقد جانس الشّاعر بين لفظتي (الحنين والحنّان) وهو جناس ناقص غير متكلف، أدى التكرار فيه إلى موسيقا داخلية واضحة.

د- التّقسيم.

ومن ألوان البديع الّتي وظفها الشّاعر الزّنكي والأيوبي في قصيدة الحنين التّقسيم، والتّقسيم " هو أن يقسم المعنى بأقسام تستكمله، فلا تنقص عنه، ولا تزيد"[4]

ومن الأمثلة على التّقسيم، ما يظهر في قوله القاضي الفاضل: **{ البسيط }**

رَجَعتُ عَنْـهُ بِـلا سَـمَعٍ، وَلَـا بَصَـرً وَلا فُـؤَادً، وَلَـا دَمْـعٌ، وَلَـا نَفَـسِ

وَلَـا حَبِيـبٍ، وَلَـا أهْـلٍ، وَلَـا وَطَـنٍ وَلَـا اصْـطِبَارٍ، وَلَـا نَـوْمٍ، ولـا أنَـسٍ[5]

فقد جعل الشّاعر عودته مقسمة إلى أقسام عديدة، حيث قسّمها إلى أحد عشر قسماً، وهي: السّمع، والبصر، والفؤاد، والدّمع، والنّفس، والحبيب، والأهل، والوطن،

---

(1) **الديوان**، 90.
(2) الحنّان: وهو اسم موضع فيه حجارة غليظة وأتربة، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(حنن).
(3) **الديوان**،2/ 333.
(4) أسامة بن منقذ، **البديع في نقد الشعر**، 98.
(5) **الدّيوان**، 56/1.

والاصطبار، والنَوم، والأنس، وهذا يدل على حنين الشّاعر الممزوج بالحزن والألم لافتقاده إلى كل ما يحن إليه.

ومن الشّعراء الّذين استخدموا هذا اللون البديعي في حنينهم ابن مطروح: حيث يقول: **{البسيط }**

عِنْـــدِي غَـــرامٌ وَتَبـــريحٌ وَتِـــذْكَارٌ وَنَــارُ وَجْـدً، غَـدَتْ مِـن دُونِهَـا النّـارُ[(i)]

فقد أحسن الشّاعر التقسيم، حيث قسم شوقه إلى المحبوبة إلى أقسام هي: الغرام،والتّبريح، والتّذكار، ونار الوجد، ليبرز حنينه وحبه إلى تلك المحبوبة الغائبة.

وأحسن أسامة بن منقذ التّقسيم في قوله: **{ الكامل }**

فَــالْعُمرُ أجْمَــعُ بَـين هَجْــرٍ سَــالِفٍ مَــــاضٍ، وَبَـــينَ آنـــفٍ مُسْـــتَقبلِ [(1)]

فقد قسم العمر إلى (هجر سالف ماض) وإلى (آنف مستقبل) تعبيراً عن حنينه وشوقه إلى أهله الغائبين.

ومنه أيضا قول ابن الكتّاني: **{المنسرح }**

شَـــوْقِيْ إلَـــى يُوسُـــفَ العُقَـــاب العَــــــالِمِ المَاجِــــــدِ الشّــــــهَابِ[(2)]

فقد أحسن الشّاعر التّقسيم حين جمع فيه صديقه ثلاث صفات حميدة قسّمها إلى: (العالم، والماجد، والشّهاب) ،معبراً عن شدة حنينه وحبه إلى ذلك الصّديق الغائب.

ومن التّقسيمات الجميلة الّتي وردت في قصيدة الحنين قول الأبيوردي من قصيدة كتبها إلى أصدقائه ببغداد: **{ الطّويل }**

ألَــا لَيْـتَ شِـعْري هَـلْ أراني بِغِبطَـةٍ أبِيـــــتُ عَلَـــــى أرْجَائِهَـــــا وَأَقِيــــلُ

---

(1) ابن مطروح، **الديوان**، 128.
(2) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 94.
(3) ابن الشعار الموصلي، **قلائد الجمان**، 224/10.

هَـــواءٌ كَأَيّـــامِ الهَـــوَى لا يُغِبُّـــهُ نَســـيمٌ كَلَحْـــظِ الغَانِيَـــاتِ، عَلِيـــلُ
وَعَصـــرٌ رَقِيــقُ الطُّــرَّتَيْنِ تَــدَرَّجَتْ عَلَـــى صَـــفْحَتَيْهِ نَضْـــرَةَ وَقَبُـــولُ
وَأَرْضٌ حَصَـــاهَا لُؤْلُـــؤٌ وَتُرابُهــا تَضَـــوّعَ مِسْـــكَاً وَالمِيـــاهُ شَـــمُولُ[(1)]

حرص الشّاعر على إبراز عنصر التّقسيم في حنينه إلى أصدقائه المقيمين في بغداد، فقد قسم شوقه إلى بغداد إلى ثلاثة أقسام هي: (هواء، وعصر رقيق، وأرض)وقسم الأرض أيضا إلى ثلاثة أقسام: (الحصى والتّراب والمياه) وقد كان التّقسيم رشيقاً لطيفاً بعيداً عن التّكلف والصّنعة، تاركاً أثراً في نفس المتلقي.

إن تقسيم البيت إلى أجزاء متساوية، يحدث تناسقاً مُوسيقياً دقيقاً، ويبدو البيت متساوياً في أركانه، من مثل ذلك قول ابن القيسراني :{ **البسيط }**

فَفَــي الصُّــدُورِ صَــبَاباتٌ ومَوْجِــدَةٌ وَفِـــي الخُـــدورِ لُبَانَـــاتٌ وَأَوْطَـــارُ[(2)]

أحسن الشّاعر التّقسيم بين الصّدور والخدور، فقد كان التّقسيم متساوياً متناسقاً.

هـ- رد العجز على الصدر.

وظف الشّاعر الزّنكي والأيوبي لوناً بديعاً آخر ألا وهو رد العجز على الصّدر وهو أن يأتي الشّاعر بلفظ في الصّدر ويكرره في العجز[(3)].

وقد ورد هذا النّوع في أشعار الحنين في هذا العصر، ومن ذلك قول ابن عنين: **{ الطويل }**

حَنَنْــتُ إِلَيْــهِ بَعْــدمَا نَــام صَــحْبتي حَنــينَ العِشَــارُ الحَائِمــاتُ إلــى الــوُرِدِ[(4)]

ويقول أيضاً: **{ الطّويل }**

لَقَـدْ طَـالَ عَهْـدِي بِالمُصـلّى فَلَيْتَنِـي رَأَيــتُ المُصــلّى أو سَــمعتُ لَــهُ خَبَــرْ[(5)]

---

(1) الأبيوردي، **الديوان**، 569/1.
(2) ابن القيسراني، **الديوان**، 203.
(3) ينظر: ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، **255/1.**
(4) **الديوان**، 72.
(5) نفسه،82.

ووظف أسامة بن منقذ هذا اللون البديعي ، قائلاً: **{ الطّويل }**

وَقَصَّــــر كَفّـــي عَـــنْ نَـــوالٍ تُنِيلُــــهُ وَزَاولَهَـــا عَـــنْ نَيْـــلِ مَـــا أنَـــا طَالِبـــهُ[(1)]

حيث كرر لفظة النّوال ليؤكد حنينه الممزوج بالألم بعد رحيله قسراً عن بلاده التي حلت بها المصائب.

ويقول أيضا في الحنين إلى الأهل والأحبة الّذين فارقهم: **{ الكامل }**

فَـــــارقْتَهُم ثِقَـــــةً بِصــــــبرِكَ عَـــــنْهُم فَاصــــبرْ لِنِيــــران الأسَـــى يَـــا مُوقَـــدُ[(2)]

واستخدم العماد الأصبهاني هذا النّوع أيضاً في حنينه إلى مصر وساكنيها،قائلاً: **{الطّويل}**

وَإنّـــي بِحَـــالٍ لَسْـــتُ أذكـــرُ بَعْضَـــهَا عَلَـــى كُـــلِّ حَـــالَ أنْـــتمُ كَيْـــفَ أنْـــتمُ[(3)]

وقد ورد هذا النّوع في الحنين إلى الدّيار المقدسة ليؤكد الشّاعر الزّنكي والأيوبي حبه للدّيار الطّاهرة، حيث يقول الزّمخشري من قصيدة في الحنين إلى مكة المكرمة:

{الطّويل }

أبيــتُ عَلَــى الصَّــخْرِ المُبَــارك بَاكِيــاً كَمَـا كَانـتْ الخَنسَـاءُ تَبْكِـي عَلَـى صَـخْرِ[(4)]

ويلجأ الزّبير بن المهذب إلى رد العجز على الصّدر في ذكر الوطن والحنين إليه يقول: **{ الطّويل }**

نَبَـــــتْ بِهُـــــمُ أوْطَـــــانِهُم فَترحَّلـــــوا وَلِلمَجـــدِ فـــي ذَاكَ الرَّحيـــلِ رَحِيـــلُ[(5)]

كرر الشّاعر لفظة (الرحيل) في عجز البيت ليعبر عن حال سيئة آلت بمن رحلوا عن أوطانهم، فقد ضاع المجد والعز برحيلهم وفقدانهم لأوطانهم.

---

(1) أسامة بن منقذ، **الديوان**،56.
(2) نفسه، 26.
(3) العماد الأصبهاني، **الديوان**، 379.
(4) الديوان، 50.
(5) الزّبير بن المهذب، **الديوان**، 207.

واستخدم ظافر الحداد هذا اللون البديعي ليعبر عن حنينه إلى بلاده وليؤكد البعد والفراق بتكرار لفظة (شمل)، حيث يقول: **{ الكامل }**

شَــتّت شَــمْلُ الــدّمْع لمّــا شَــتَّتوا   شَــمْلي وَصِــحْتُ بِــهُ: بَــدادِ بَــدادِ[1]

فــالآن تَخْتَــرقُ الــدُّمُوعُ سَــوَاكِبَا   مَــا بَــيْنَ مَثْنَــى تَــوْأمٍ وَفُــرادِ[2]

ويقول عرقلة الكلبي: **{ الوافر }**

وَفِـي البَلَـدِ القَرِيـبِ عَـدِمْتُ صَـبْري   فَكَيْــفَ أَكُــونُ فِــي البَلَــدِ البَعِيــدِ[3]

كرر الشّاعر لفظة "البلد" في عجز البيت تعبيراً عن شدة شوقه وحنينه إلى المحبوب.

وهكذا تناول الشّعراء هذا اللون البديعي في أغراض الحنين المختلفة؛ ليبرزوا شوقهم وحنينهم الدّائم إلى تلك المفتقدات الّتي ينزعون إليها، وليخدموا تجربتهم الشّعرية ،ويظهروها صادقة.

---

[1] بداد، بداد، المقصود بها بلادي بلادي، ينظر، ظافر الحداد، **الديوان**، حاشية المحقق، 90.

[2] ظافر الحداد، **الديوان**، 90.

[3] **الديوان**، 21.

ثالثاً: الموسيقا.

الموسيقا من أخصّ خصائص الشّعر العربي، والوزن والقافية عنصران مهمان لإحداث الموسيقا الشّعرية، ولا يمكن عند القدماء بناء القصيدة بدونهما، يضاف إلى ذلك عنصر آخر هو حسن تأليف الكلام، وترابط أجزائه، حتى لا يشعر المتلقي بالتواء أو نفور لذا كان "للشّعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبة واعتدال أجزائه" [(1)] واشترط قدامة بن جعفر أن يكون اللفظ "سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة"[(2)].

وبالنظر إلى طبيعة الموسيقا الّتي تنتج عن قصيدة ما تنقسم إلى قسمين: موسيقا خارجية، وموسيقا داخلية، ولا يقل أحد القسمين أهمية عن الآخر، لأن كل قسم يؤدي وظيفة موسيقية معينة، ولا تخرج موسيقا شعر الحنين في هذا العصر عن القسمين السّابقين، فالقسم الأول هو الظّاهر، يتمثل في الوزن وما يستخدم الشّاعر من بحور شعرية تناسب الغرض الّذي قيل فيه النّص الشّعري، والقسم الدّاخلي المتمثل بحسن اختيار الألفاظ وترابطها، وحسن تقسيمها وما تحدثه في نفس المتلقي من أثر.

1. الموسيقا الخارجية.

تبدو الموسيقا الخارجية واضحة من خلال الوزن والقافية، والوزن كما يراه ابن رشيق "من أعظم أركان حد الشّعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية"[(3)]. ويعد الوزن أخص ميزات الشّعر وأبنيها في أسلوبه، حيث يقوم على ترديد التّفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتار والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها[(4)].

وربط بعض النّقاد بين الوزن وموضوع القصيدة، فحازم القرطاجنّي يؤكد ذلك بقوله: " ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرّصانة، وما يقصد به الهزل والرّشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتّفخيم وما يقصد به الصّغار والتّحقير وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يُناسبها من الأوزان، ويخيلها للنّفوس"[(5)]

والمتتبع لشعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، يجد أن الموسيقا الخارجية انقسمت إلى قسمين، هما:

[(1)] ابن طباطبا، **عيار الشعر**، 21.
[(2)] **نقد الشعر**، 74.
[(3)] **العمدة**، 134/1.
[(4)] ينظر: الشايب، أحمد، **الأسلوب**،13.
[(5)] **منهاج البلغاء**، 266.

أ- البحور الشّعرية

فقد نظم الشّاعر الزّنكي والأيوبي قصائده ومقطعاته الشّعرية في الحنين على معظم البحور الشّعرية ،وإن تفاوتت النّسبة من بحر إلى آخر.

فمن خلال استقراء النّصوص الشّعرية في شعر الحنين لهذه الفترة، كانت النّصوص المستشهد بها مئتين وخمسة وثلاثين نصاً شعرياً، جاءت وفق الجدول التالي:

الرقم المتسلسل	البحر	التّكرار	النسبة المئوية للتّكرار إلى مجموع القصائد والمقطعات
1-	الطّويل	78	%33.1
2-	الكامل	49	%20.8
3-	البسيط	38	%16.1
4-	الخفيف	17	%7.2
5-	الوافر	15	%6.3
6-	المتقارب	9	%3.8
7-	السّريع	6	%2.5
8-	الرّجز	4	%1.7
9-	المنسرح	4	%1.7
10-	الرّمل	2	%0.85
11-	المجتث	2	%0.85
12-	المديد	1	%0.42
13-	الهزج	1	%0.42
14-	مجزوء الكامل	5	%2.1
15-	مجزوء الرّمل	3	%1.2
16-	مخلع البسيط	1	0.42

يلاحظ من الجدول السّابق أن الشّعراء نظموا على ثلاثة عشر بحراً من البحور العروضية، أي ما نسبته 81,2% من بحور الشّعر وتدل هذه النّسبة على أن الشّعراء نسجوا على معظم البحور الشّعرية، باستثناء ثلاثة بحور، هي: المتدارك والمضارع، والمقتضب، وكانت أكثر البحور استخداماً البحر الطّويل، والكامل والبسيط، ويأتي في مقدمتها بحر الطويل بنسبة 33,1%، ما يقارب ثلث النّصوص الشّعرية الّتي قيلت في الحنين، والبحر الطّويل يُؤثر على غيره من البحور، ويتخذه الشّعراء ميزاناً لأشعارهم

ولا سيما في الأغراض الجدية[1]، لعل سبب إكثار الشّعراء من استخدام هذا البحر العروضي أن البحر الطّويل يتسع للكثير من المعاني[2]، فالشّاعر في حديثه عن الوطن وما يحويه من مفتقدات غالية وعزيزة عليه يحتاج إلى شرح وتفصيل وتوضيح، وهذا ما يناسبه البحر الطويل.

أما البحر الكامل، فكان في المرتبة الثانية، ما نسبته 20,1%، وهذا أمر طبيعي، لأن البحر الكامل قادر على الإخبار عن إحساس الشّاعر ومشاعره وألمه وحزنه، والبحر الكامل " أكثر بحور الشّعر جلجة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقا إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل، وما بمجراه من أبواب اللّين والرّقة، حلواً عذباً مع صلصلة كصلصة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً أو شهوانياً"[3].

وجاء البحر البسيط في المرتبة الثالثة، وهو من البحور الطّوال يتحمل الوصف والحديث عن الوطن والأهل، والأحبة والأصدقاء الغائبين، وتذكر الأيام الماضية، فلا غرابة أن ينظم الشّاعر على هذا البحر الرّقيق الباكي حيث يقول: عبد الله مجذوب،" والحقيقة إن رقة البسيط من النّوع الباكي تظهر في باب الرّثاء وتظهر في كل ما يغلب عليه عنصر الحنين والتّحسر على الماضي"[4].

وهذا ما يلمس في قصائد الحنين إلى الوطن، والبكاء عليه، والتّعلق به، لما يحتمله البحر البسيط من موسيقا ساعدت على إثارة المشاعر العامة، وإيقاظ العاطفة، والإحساس بقيمة الوطن.

ومن البحور الأخرى الّتي جاءت في مراتب متقدمة الخفيف، والوافر، وهكذا فقد مال الشّعراء في هذا العصر إلى استخدام البحور الطويلة في قصائدهم ومقطعاتهم الشّعرية، لأنها قادرة على التّعبيرعن حنينهم، واستيعاب انفعالاتهم القوية وتحسرهم، وألمهم لما يفتقدون.

إلى جانب البحور السّابقة، هناك بحور أخرى قليلة الاستعمال في شعر الحنين، وإن ساهمت في إبراز موسيقاه، هي: المتقارب، والسّريع، والرّجز، والمنسرح، والرّمل، والمجتث، والمديد، والهزج.

---

(1) ينظر: أنيس إبراهيم، **موسيقى الشعر**، 191.
(2) ينظر: الشايب، أحمد، **أصول النقد العربي**، 322.
(3) مجذوب، عبد الله، **المرشد إلى فهم أشعار العرب**، 246/1.
(4) نفسه، 474/1.

ب- القافية.

القافية "آخر كلمة في البيت" [1].ويعدها ابن رشيق القيرواني " شريكة الوزن في الاختصاص بالشّعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية"[2].

ويعرف إبراهيم أنيس القافية، فيقول: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر أواخر الأشطر والأبيات الشّعرية من القصيدة، وتكرارها، هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقا الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السّامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التّردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة[3].

وتركز القافية بشكل رئيس على حرف الروي، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، إن كانت عيناً لزم العين إلى آخر القصيدة[4]، ويعد الصّوت الّذي لا بد أن يشترك في كل قوافي القصيدة[5]، فلا يكون الشّعر مقفى إلا إذا اشتمل على ذلك الصّوت في أواخر الأبيات، وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات، عُدّت القافية حينئذٍ أصغر صورة ممكنة للقافية الشّعرية[6].

والقافية هي النّتيجة الطّبيعية لأبيات مبنية على هذه المقاطع نفسها، وهي تجانس صوتي للحركة الأخيرة، وهي ليست تابعة لشيء آخر، فهي عنصر مستقل وظيفته الحقيقية لا تظهر إلا إذا وضعت في علاقة مع المعنى[7].

تنوعت حروف الروي في شعر الحنين في هذين العصرين، فقد نظم الشّعراء على عشرين حرفاً من حروف المعجم العربي يوضحها الجدول الآتي:-

الرقم المتسلسل	حرف الروي	التكرار	النسبة المئوية للتكرار إلى مجموع القصائد والمقطعات
1-	اللام	41	%17,4
2-	الرّاء	36	%15,3
3-	النّون	30	%12,7
4-	الميم	28	%11,9
5-	الدّال	23	%9,7

(1) العروضي، أبو الحسن، **الجامع في العروض والقوافي**،263.
(2) **العمدة**، 15/1.
(3) **موسيقى الشعر**، 246.
(4) العروضي، أبو الحسن، **الجامع في العروض والقوافي**، 266.
(5) ينظر: سليمان، أماني، **الأسلوبية الصوفية**، 461.
(6) ينظر: أنيس إبراهيم، **موسيقى الشعر**، 247.
(7) كوين جون، **بناء لغة الشعر**، 98.

-6	الباء	15	%6,3
-7	الحاء	11	%4,6
-8	الفاء	11	%4,6
-9	العين	9	%3,8
-10	السّين	7	%2و9
-11	الياء	6	%2,5
-12	التّاء	5	%2,1
-13	الهمزة	1	%0,42
-14	الدّال	1	%0,42
-15	الجيم	1	%0,42
-16	الظّاء	1	%0,42
-17	الطّاء	1	%0,42
-18	العين	1	%0,42
-19	القاف	1	%0,42
-20	الكاف	1	%0,42

بالنظر إلى الجدول المتقدم، يلاحظ ما يأتي:-

أولاً: التّنويع في القوافي، حيث استخدم ما نسبته 71.4% من الحروف الهجائية، روياً.

ثانياً: اعتماد شعر الحنين على القوافي الجميلة الّتي تضفي جرساً موسيقياً مثل: (اللام، والرّاء، والنّون، والميم) وليست نافرة مثل: (الياء، والجيم، والظّاء، والقاف)، الّتي تقع موسيقاها الصّوتية على الأذن وقعاً سيئاً، وبالتالي لا يكون أثرها مستملحاً[(1)].

ثالثاً: كثرة عدد القصائد والمقطعات على قافية اللام، ما نسبته 17,4% ، وذلك لأن النّطق لا يتعسر فيها، وتستسيغها الآذان[(2)].

وتنقسم القافية إلى مطلقة ومقيدة، والقافية المقيدة " هي ما كانت ساكنة الرّوي، كما في كلمات زمان،جنان، قرون"[(3)] أما المطلقة هي" ما كانت متحركة الرّوي إما بالضمة، أو الكسرة أو الفتحة"[(4)].

والمتتبع لشعر الحنين في هذا العصر يجد أن أكثر نتاج الشّعراء في ذلك جاء على القافية المطلقة ما نسبته (86,3) " وذلك أمر طبيعي لأن إطلاق الصّوت في القافية

(1) ينظر: الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، 325، 326.
(2) ينظر: أنيس إبراهيم، **موسيقى الشعر**، 38.
(3) عتيق، عبد العزيز، **علم العروض والقافية**، 164.
(4) نفسه، 165.

يعين على إثراء الموسيقا، ويساعد على إظهار ما يختلج في نفس الشّاعر من ولع وحنين"[1].

أما القافية المقيدة، فكان استخدامها ما نسبتة (13,7) وهذه نسبة قليلة بالمقارنة مع القافية المطلقة.

2-**الموسيقا الداخلية.**

إن التّلاؤم بين أجزاء القصيدة، ينتج قوى موسيقية خصبة تبرز من خلالها جماليات القصيدة الخاصة التّي تميزها عن قصيدة أخرى، وهذه الموسيقا تتصل بجرس الألفاظ، وخواصها الصّوتية، وأنماطها البديعية، وكذلك لها صلة بطريقة تأليف الكلام[2].

اعتنى النّقاد والعروضيون القدامى بهذا النّوع من الموسيقا، يقول حازم القرطاجنّي: "وبقوة تهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة، فالاستعذاب فيها يحسن المواد والصّيغ و الائتلاف"[3].

ومن هنا كانت عناية الشّاعر الزّنكي والأيوبي ببعض فنون البديع، والتّفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقا،وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب[4].

أ-التّصريع.

استخدم شعر الحنين في هذا العصر موسيقا التّصريع من ذلك ما يظهر في مطلع قصيدة أسامة بن منقذ : **{ الطّويل }**

تَنَـاءَوا ، وَمـا شَـطّتْ بِنَـا عَـنْهُم الـدّار وَمَالــتْ بِهُــم عنّــا خُطــوبٌ وَأَقْــدارُ[5]

بنى الشّاعر قصيدته على موسيقا بحر الطّويل، والقافية رائية مطلقة، وقد زاد التّصريع من إثراء البيت موسيقياً.

ومن الشّعراء الذين استخدموا التّصريع، المهذب بن الزّبير، حيث يقول: **{ الكامل}**

---

(1) دقالي، محمد أحمد، **الشعر الأندلسي**، 532.
(2) ينظر: أنيس إبراهيم، **موسيقى الشعر**، 45.
(3) **مناهج البلغاء**، 255.
(4) ينظر: ابن رشيق، **العمدة**،1/ 173.
(7) ينظر: أبن حجة الحموي، **خزانة الأدب**، 278/2.
(5) نفسه، 69.

هُـمْ نُصـْبُ عَيْنِــي: أنْجـدُوا أوْ غَـارُوا وَمُنْـــى فُــؤَادي: أنْصَــفُوا أو جَــارُوا[(1)]

ومنه قول ظافر الحداد: **{ الطّويل }**

عَلَـــى الجَانِـــبِ الإسْــكندريِّ سَـــلامُ يُكــــــرِّره مِنّــــــي عَلَيْـــــه دَوامُ[(2)]

وقول ابن مطروح :**{ الطّويل }**

رَأى البَـرقَ نَجْـديٌّ، فَحـنَّ إلـى نَجْـدِ فَغَـــادره حِلْـــفَ الصَّـــبَابةِ والوجْــــدِ[(3)]

وهكذا يزيد التّصريع في مطلع القصيدة من الجرس الموسيقى الذي تلذ به الأسماع.

ب - التّكرار.

من الموسيقا الإيقاعية الدّاخلية أيضاً موسيقا التّكرار، والتكرار من الوسائل الفنية الّتي تسهم في خلق العلاقات المتعددة داخل البيت عن طريق تميزه بالتّوازن، والأخبار تبعا للسّياق، فيتحقق الإفهام، والتأثير[(4)].

ويكون التّكرار بالحروف والألفاظ والعبارات، وهذه جميعها تعطي نوعاً من الموسيقا الدّاخلية من خلال التكرار.

ويعد التّكرار خاصية ظاهرة في شعر الحنين فهو يدل على تأكيد تجربة الحنين، ويعبر عما يعانيه الشّاعر من ضيق وتمزق[(5)].

ومن الأمثلة على التّكرار الحرف، حرف النّون في قصيدة لابن عنين الّتي بنى قافيتها على حرف النّون، فقد تكرر الحرف في الأبيات الآتية إحدى عشرة مرة، وهذا أكسب النّص الشّعري جرساً موسيقياً فأثار الانتباه عند المتلقى :**{ الطويل }**

---

(1) **الديوان**، 273.
(2) **الديوان**، 273.
(3) نفسه، 124.
(4) ينظر: عبد المطلب، محمد، **البلاغة الأسلوبية**، 219.
(5) ينظر: دقالي، محمد أحمد، **الحنين في الشعر الأندلسي**، 549.

أحبّـة قلبــي فِــي الــدُّنُوّ وَفِــي النّــوى وَأقْصــى أمَـانِي الـنَّفْس فِـي السِّـرِ وَالعَلَـنْ
أنَاسَـــاً أعــدُّ الغَـــدْرَ مِـــنْهُمْ بِـــذمَتي وَفَـــاءً وَألقـــى كُـــلَّ مَـــا سَـــاءني حَســـنْ
وَكَـمْ فوقـوًا نَحْـوْي سِهامَاً عَلـى النَّوى فَأصْـمتْ فُـؤَادي واعْتَـدتُ بهَـا مِـننْ[1]

ومنه أيضاً قول ابن القيسراني: **{ المتقارب }**

مَرَرْنَـــــا بِجَـــوٍّ فَهَـــاجَ الجَـــوى عَلَـــى مُهْجَـــةٍ شَـــرقتْ بِـــالنَّوى[2]

يلاحظ أنه كرر حرف الجيم أربع مرات، وهذا أعطى جرساً موسيقياً قوياً، مكنَّ الشّاعر من التّعبير عن حنينه الشّديد إلى العراق.

ومن موسيقا التّكرار في شعر الحنين تكرار الكلمة أكثر من مرة في النّص الشّعري، وتشكل الكلمة الرُّكن الثّاني بعد الحرف في بناء النَّص الشَّعري[3]، ولذلك فإن الشّاعر يقوم أحياناً بتكرار كلمة ليخدم النّظام الدّاخلي للنّص عن طريق تكثيف الدّلالة الإيحائية له[4]، كما أنها تشتمل على قيمة إيقاعية فترداد لفظة معينة ينتج جرساً موسيقياً له أثره على المتلقي، ومن ذلك قول الكندي البغدادي :**{ الطّويل }**

سَـرَى مَعْكُـمُ نَـوْمِي فَأصْـبحتُ بَعْـدكُمْ أَلُــومُ السَّــرى مِنْــهُ وَأبْكِــي ســرَاكُمْ[5]

في هذا البيت نلاحظ تكرار كلمة (سرى) ثلاث مرات مع تغير الشّكل في (سراكم)، ويكشف التّكرار عن حالة الشّاعر النّفسية التي غرقت في الشّوق والحنين إلى الحبيب الغائب، ويضفي إيقاعاً موسيقياً ينسجم والدّلالة، إذ تعد قوالب الألفاظ وصيغها إيقاعات موسيقية[6].

ومنه أيضا قول ابن الهباريّة: **{ السّريع }**

وَكُـــلُّ وَجْـــهٍ مِثْـــلُ شَـــمْس الضُّـــحى فَـــوْقَ قَـــوامٍ مُثْـــل غُصْـــنِ رَشِـــيقْ
وُكـــــــــلُّ رِدْفٍ وَافِـــــــــرٍ وَارمٍ يحْملـــــه بِـــــالظُّلم خَصْـــــرٌ دَقِيـــــقْ

---

(1) ابن عنين، **الديوان**، 77.
(2) **الديوان**، 65.
(3) ينظر: مبروك، مراد عبد الرحمن، **من الصوت إلى النص**، 211.
(4) ينظر:عياش، منذر، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، 80.
(5) **الديوان**، 74.
(6) ينظر: مبروك، مراد عبد الرحمن، **من الصوت إلى النص**، 98.

وَكُـــــــلُّ لَفَـــــظٍطَيّـــــبٍ مُمْتِـــــعٍ   يَسْـــكِرُ مِـــنْ قَبْـلِ كُــؤُوسِ الرَّحِيــقْ[1]

يلاحظ في الأبيات المتقدمة تكرار كلمة (كل)، التي أشاعت إيقاعاً موسيقياً مؤثراً، كما أن الحنين الدَّائم إلى بغداد مسيطر على عقل الشّاعر وجسمه، ولم يترك مجالاً لغيره، وجاء التّكرار ليؤكد هذا الشّوق.

ومنه أيضا قول القاضي الفاضل { الطويل }

أدَارَ الصَّــبَا، لَــا مِثْــلُ رَبْعِــكِ مَرْبَــعٌ   أرَى غَيْــرَكَ الرَّبْــعَ الأنِــيسَ قِفَــارَا[2]

فقد كرر الشَاعر كلمة (ربع) في البيت المتقدم ثلاث مرات، وإن طرأ تغيير على شكلها، حيث أراد من خلال التّكرار توكيد المعنى وتثبيته في ذهن السّامع، ويصبو إلى تحقيق جرس موسيقي عذب.

ومن موسيقا التّكرار أيضا تكرار بعض الأساليب، مثل تكرار أسلوب المدح "حبّذا"، إذ يقول ابن عنين: **{ الطويل }**

فَيَـــا حَبَّـــذا قَـــوْمٌ هُنَـــاكَ وَحبّـــذا   مِـنَ الأرضِ غربِــيُّ الحَـدالي وَغُـرَّبِ[3]

حيث يكرر الشّاعر أسلوب (حبذا) مرتين ذلك لتأكيد المعنى، وهو الشوق والحنين إلى دمشق، ولتحقيق جرس موسيقي بالتّكرار.

ومنه أيضاً تكرار أسلوب الاستفهام في قول العماد الأصبهاني :**{ الهزج }**

تُـــــرى يَجْتمِـــــعُ الشَّــــملُ؟   تُـــــرى يَتَفِــــقُ الوَصْـــــلُ؟
تُـــرى العَـــيْشَ الّــــذي مَـــرَّ   مَرِيـــــــراً بَعْــــدهُمْ يَحْلُـــــو؟
تُـــرى مِـــــنْ شَـــاغلِ الهَــــمِّ   فُـــــؤَادي المُبْتَلَـــــى يَخْلُـــــو؟[4]

---

(1) **الديوان**، 160.
(2) **الديوان**، 489/2.
(3) **الديوان**، 88.
(4) العماد الأصبهاني، **الديوان**،334

يلاحظ في الأبيات المذكورة تكرار أسلوب الاستفهام بلفظة (ترى) ليؤكد الشّاعر شوقه لأصدقائه في بغداد كما أن التّكرار أثرى الموسيقا الشّعرية الدّاخلية، وأضاف جرساً موسيقياً جميلاً.

ومنه أيضا قول ابن مطروح: { **البسيط** }

يَا بَرقُ: حَيِّ عُريبَ الجْزعِ عَنْ جَزَعٍ   واقــرْ السَّــلامَ عَلَــى حِــيٍّ بِــذِي سَــلَمِ

يَـا مَـوْردَ الوَصْلِ مـن جَرْعَـاء كَأظْمـةٍ   نَحــنُ العَطَــاشُ إلــى سَلْسَــالِكَ الشَّــبِمِ[1]

ففي البيتين المتقدمين كرر الشّاعر صيغة النّداء (يا) مرتين، ومما أحدث نوعاً من الانسجام، وأشعر المتلقي بالموسيقا الدّاخلية الإيقاعية الواضحة.

يقول الزّمخشري متشوقاً صديقاً إليه { **الطّويل** }

وَمِــنْ أيْــنَ أنْســىَ مَــنْ إذا مَــا ذَكَرْتُــهُ   تَنَسَّــمْتُ مِــنْ ذِكْــرَاه ذِكْــرَ الِإلــهِ لِــيْ

وَمِــنْ أيْــنَ أنْسَــى مَــنْ فَوائِــدُ عِلْمِــهِ   مُداوَلَــةٌ مَــا بَــيْنَ سَــمْعِي وَمِقْــولي[2]

فقد أكسب التّكرار لصيغة الاستفهام " أين " النّص الشّعري نوعاً من الموسيقا الإيقاعية، النّاتجة عن تآلف العناصر وانسجامها مع بعضها البعض.

وهكذا، قد أدت كل من الموسيقا الخارجية والدّاخلية لشعر الحنين وظيفتها الّتي تناسبها، واستطاعت أن تبرز جمال النّص الشّعري، بما أحدثته من تناسق وانسجام بين عناصره الموسيقية الخارجية والدّاخلية، فأثارت الانتباه في نفس المتلقي.

---

[1] **ابن مطروح، الديوان،** 188

[2] **الديوان،** 202.

رابعاً: الصّورة الشّعرية.

الصّورة الأدبية جزء لا يتجزأ من العمل الأدبي، ولا تنفصل عن سياق القصيدة العام، فالقصيدة أصلاً هي صورة شعرية بأحاسيسها، وتجاربها،وتآلف ألفاظها ومعانيها، ويصبح لها وظيفة مباشرة مع الفن لأنها " أكبر عون على تقدير الوحدة الشّعرية، أو الكشف عن المعاني العميقة الّتي ترمز إليها القصيدة[(1)]، وهذا بدوره يؤدي إلى فهم الفن والتّلذذ به.

ومفهوم الصّورة الشّعرية ليس بالمفهوم الجديد، فقد عرّف النّقاد القدامى الصّورة الشّعرية بقولهم: " الوصف إنما هو ذكر الشّيء كما فيه من الأحوال والهيئات"[(2)].

وأشار ابن رشيق القيرواني إلى التّصوير الشّعري، حيث فرق بين الصّورة المباشرة وغير المباشرة، إذ يقول:" الشّعر إلّا أقله راجع، إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتّشبيه، مشتمل عليه، وليس به؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتّشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشّيء وإن ذلك مجاز وتمثيل"[(3)].

وجمع حازم القرطاجنّي بين الصّورة المباشرة وغير المباشرة بقوله:" واعتماد الصّناعة الشّعرية على تخييل الأشياء الّتي يعبر عنها بالأقاويل، وبإقامة صورها في الذّهن بحسن المحاكاة"[(4)].

ويقول أيضاً: " المحاكاة التّامة في الوصف هي استقصاء الأجزاء الّتي بموالاتها يكمل تخييل الشّيء الموصوف"[(5)].

وأضاف المحدثون إلى مفهوم القدماء، فهناك من يرى أن الصّورة الشّعرية علاقة صريحة أو ضمنية بين تعبيرين أو أكثر، بحيث تضفي على أحد التّعابير لوناً من العاطفة، فتكثف معناه التّخيلي الّذي يعاد حلقة من خلال ارتباطه مع التّعبيرات الأخرى[(6)].

---

(1) عباس إحسان، **فن الشعر**، 230.

(2) قدامه، بن جعفر، **نقد الشعر**، 30.

(3) **العمدة، 294/2.**

(4) **منهاج البلغاء**، 62.

(5) نفسه، 105.

(6) ينظر: عبد الله ، محمد حسن، **الصورة والبناء الشعري**،37.

ويعرّفها آخر بأنها "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصّور مستمدة منه، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصّورة النّفسية"[1].

فالتّعريفات المتقدمة للصّورة الشّعرية تظهر أن أنماط الصّورة الشّعرية عند القدامى هي التّشبيه والاستعارة.

أما أنماط الصّورة الشّعرية، التي قدمتها الدّراسات الحديثة فمتعددة متنوعة بشكل كبير منها: الصّورة الحسية والإيحائية، وغيرها من الصّور.

اهتم الشّعراء في العصرين الزّنكي والأيوبي بالصّورة اهتماماً بالغاً واعتمدوا الأسلوب الفني، التّصويري في نقل أفكارهم ومشاعرهم، سواء أكان ذلك بالأساليب البيانية المعروفة، أم الوصف الّذي يعتمد على ظلال الكلمات وإيحاءاتها في رسم المشهد وإشاعة الجو الّذي يريده الشّاعر[2].

وتنقسم الصّورة الشّعرية في الدّراسة إلى قسمين:

1- الصّورة البيانية:-

هي الصّورة غير المباشرة الّتي يعتمد فيها الشّاعر على التّصوير البياني كالتّشبيه والاستعارة والكناية[3].

ومن الأمثلة على الصّورة البيانية قول أسامة بن منقذ: **{ السّريع }**

أَصْـــقَبَتِ الـــدَّارُ ،وَقَلبـــيَ مُشْـــتَاقُ   مَـــا أتعَـــبَ الحَامـــلَ قَلْبـــاً تَـــوَّاقْ
كَالبَرْق،مَشْـــبوبَ الضِّـــرَامِ خَفَّـــاقْ[4]

يرسم الشّاعر صورة معبرة لخفقان قلبه، فشبهه بالبرق الملتهب المضطرم، لشدة توقانه وشوقه للمحبوبة.

(1) البطل، علي، **الصورة في الشعر العربي**،30.
(2) ينظر: الرقب، شفيق محمد عبد الرحمن، **الشعر العربي في بلاد الشام**، 316.
(3) ينظر: عبد الله، محمد حسن، **الصورة والبناء الشعري**، 145.
(4) **الديوان**، 92.

ومن الصّور البيانية الّتي وردت في الحنين قول ابن مطروح :**{ البسيط }**

كَانَــتْ كَأَضْــغَاثِ أحْلَــامٍ فَــوا أســفا   أنْ لَــا تَعــودُ لنَــا فِــي طَــارق الحُلُــمِ[1]

استطاع الشّاعر أن يأتي بصورة جديدة حيث صور المنازل الّتي غدت أطلالاً بأضغاث الأحلام الّتي لا يصح تفسيرها لاختلاطها وعدم وضوحها، وهذه الصّورة تضاعف تجربة ابن مطروح الشّعرية، فالمنازل الّتي يشتاق إليها صارت حلماً بعيد المنال.

وحن ظافر الحداد إلى وطنه وما فيه من أيام جميلة كانت وسيلة للوصف والتّعبير، حيث صور أيامه بالإسكندرية بما فيها من سرور العيش وهنائه بالجواهر القيّمة الّتي انتظمت في عقد فصّل خصيصاً لها، وبذلك تمكن أن يقدم صورة جميلة معبرة عن حنينه إلى وطنه وأهله وأيامه الماضية: **{ الطّويل }**

وَأَيَامُنَــــا كالــــدُرِّ فُصِّــــل عِقْــــدُه   وَتَــــم وَلَــــمْ يَنْفَــــكَّ مِنْــــه نِظَــــامُ[2]

وفي موضع آخر يكرر ظافر الحداد الصّورة نفسها، حيث صور اللّيالي والأيام المنصرمة بالجواهر المنتظمة بالعقد، يقول: **{ الطويل }**

لَيــــالٍ وَأَيّــــامٌ تَقَضَّــــتْ كَأنّهَــــا   جَـوَاهِرُ نَظْـمٍ خَانَهَـا العَقْـدُ مِـنْ عِقْـدِ[3]

ويقدم العماد الأصبهاني صورة جميلة، يصور فيها دمشق وطبيعتها الخلابة بجنة الخلد ودار النّعيم القائم بما تحويه من مظاهر النّعيم المادي المختلفة مظهراً حنينه القوي لدمشق يقول: **{ البسيط }**

دَارُ النَّعَــيمِ وَمِــنْ أدْنَــى مَحَاسِــنِهَا   ثِمَــارُ تَمُــوزُ فِــي أيّــامِ كَــانُونِ
نَعِيمُهَــا غَيْــرُ مَمْنُــوعٍ لِسَــاكِنِهَا   كَالخُلْــدِ والمَــنَّ فِيهَــا غَيْــرُ مَمْنُــونِ
كأنّمَــا هِــي للأَبْــرارِ قَــدْ فَتَحــتْ   مِــنْ الفَــرَادِيسَ أبْــوَابٌ البَسَــاتِينَ[4]

ويفتتن ابن منير الطّرابلسي بطبيعة دمشق، فتكون مناظرها الجميلة منبعاً للتّعبير والتّصوير، حيث أطال في ذكرها ووصف محاسنها، فصور دمشق بالفتاة المتباهية المفتخرة بنفسها يقول: **{البسيط }**

(1)ابن مطروح، **الديوان**، 189.
(2) ظافر الحداد، **الديوان**، 274.
(3) نفسه، 99.
(4) العماد الأصبهاني، **الديوان**، 432، 433.

سَـقَى دِمَشْــقَ وَمَغْنَــىً لِلهَــوى فِيهَــا   حُيِّـــاً تَهـــزُّ لَـــهُ أعْطَافَهـــا تِيهَـــا[1]

ويأتي ابن الهبّاريّة بصورة تقليدية يستمدها من السّابقين، فيشبه وجه المحبوبة بشمس الضُّحى، وقد جرى الشّعراء على تشبيه الوجه بالشمس، ويصور خصرها بالغصن الرّقيق الرّشيق، يقول: **{ السّريع }**

وَكُـلُّ وَجْــهٍ مِثْــلُ شَـمْسِ الضُّــحى   فَـــوْقَ قَـــوامٍ مُثْـــلِ غُصْـــنٍ رَشِـــيقْ
وُكــــــــلُّ رِدْفٍ وَافِـــــــــرٍ وَارِمٍ   يحْملـــــه بِـــــالظُّلْمِ خَصْـــرٌ دَقِيـــقْ[2]

ومن الصّور البيانية المطروقة في الشّعر تشبيه النُّجوم بمصابيح الرُّهبان لشدة لمعانها، حيث يقول امرؤ القيس: **{ الطّويل }**

نَظَــرتُ إِلَيْهَا والنّجُــومُ كـَأَنَّهَـــــا   مَصَـــابِيحُ رُهْبَـــانٍ تُشَـــبُّ لِقُفّـــالِ [3]

وهذا ما يظهر عند ابن عُنين في تشوقه إلى دمشق، إذ يقول: **{ الطّويل }**

تَعـرَّضَ وَهَنـــاً والنَّجُـــومُ كَأَنَّهَـــا   مَصَـــابِيحُ رُهْبَـــانٍ تُشَـــبُّ عَلَـــى بُعْـــدِ [4]

ومن عناصر التّصوير البياني الكناية، حيث أورد ظافر الحداد هذه الصّورة البيانية في مقطعة لامية يتحسر فيها على رحيل زمن الشّباب، فيقول: **{ الكامل }**

أسَـفِي عَلَـى زَمَــنِ الشَّـبَابِ الزَّائِـلِ   أسَـــفٌ أُدِيـــمُ عَليـــه عَـــضَّ أنَـــامِلِي
وَلَّـــي فَلَـــا طَمَـــعٌ بِعَطْفَـــةِ هَـــاجِرٍ   مِنْـــهُ وَلَـــا أَمَـــلٌ لأوْبَـــةِ رَاحَـــلِ[5]

فكنى بقوله: (عضّ أناملي)، عن النّدم والتّحسر على فراق زمن الحيوية والنّشاط، زمن الشّبّاب "وقد رسم الشّاعر صورة تعبيرية عن تجربة الحنين تتمثل في صورة الإنسان النّادم الحيران الّذي عض أطراف أنامله بأسنانه.

---

(1) ابن منير الطرابلسي، **الديوان**، 132.
(2) **الديوان**، 160.
(3) **الديوان**، 141
(4) ابن عنين، **الديوان**، 72.
(5) ظافر الحداد، **الديوان**، 247.

2- الصّورة الحسية.

هي الصّورة الّتي ترتد إلى حاسة من الحواس الخمس لدى الإنسان، وترتبط بالأثر النّفسي الّذي تحدثه في المتلقي[1].

وقد استخدم الشّعراء الزّنكيون والأيوبيون الصّورة الحسية، بأنواعها المختلفة: البصرية، والسمعية، والشّمية، والذوقية.

أ- الصّورة البصريّة.

هي الصّورة الّتي ترتبط بحاسة البصر، فالعين " أم الحواس لأن معظم ماديات الكون ترى بالعين"[2].

ومن هذه الصّور، قول أسامة بن منقذ :**{ الكامل }**

وَقِبَــــابُهم فِـــي الآلِ تَطْفُـــو مِثْلَمَـــا يَطْفُـو الحِبَـابُ عَلَـى الرَّحِيـقِ الأَبْـيضِ[3]

يلاحظ أن الشّاعر اختار من الألفاظ ما يبعث على الحركة (تطفو) و (يطفو) فصور منظر القباب في السّراب بالفقاقيع الّتي تطفو، وهذه صورة جميلة ، تظهر مدى مقدرة الشّاعر على دقة التّصوير.

ومن ذلك أيضا قول الآرجاني: **{ الكامل }**

شَـــاقَ الحمَـــامُ إليـــكَ لمّـــا رَاحَـــا صَـــــبّاً تَـــــذَكَّر إِلْفَـــــه فَارْتَاحَـــــا
وَمُـــرنّحُ الأعَطَـــافِ تَحسِـــبُ صَـــدْغَهُ لَـــيْلاً وَتَحْسَـــبُ خَـــدَّهُ مِصْـــبَاحَا[4]

يرسم الشّاعر صورة جميلة للمحبوب الغائب، فيصور شعر صدغه باللّيل ، وهذه صورة بصرية معبرة، ويصور نضارة خده بالمصباح المضيء المشرق الّذي تتمتع العين برؤيته.

ويقول ابن عنين: **{ الخفيف }**

وَرُبَـــا عَزَّتَـــا وَقَـــدْ جَادَهـــا الثَّلـــــ م ـــجُ وَلَاحَـــتْ مِـــنْ سَـــائِرِ الأَقْطَـــارِ

---

(1) ينظر: الشناوي، على الغريب، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي**، 133.
(2) الرجبي، عبد المنعم حافظ،**الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، 543،رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، ، 1979م.
(3) **الديوان**، 78.
(4) **الديوان**،1/ 188.

كَعَـــروسٍ مِـــنْ آل سَاسَـــانَ تُجلــى   فـــــــي دَبِيقِـــــــيَّ حُلَّـــــــةٍ وإزار[1]

صور الشّاعر الرُّبا المغطاة بالثلوج البيضاء بالعروس التي تجلى بالثوب الأبيض، وهي صورة هادئة، لأن اللون الأبيض يبعث حالة من الهدوء والطمأنينة والاسترخاء، ويزيد من الحجم الظّاهر للأشياء[2].

ومن الصّور البصرية قول ظافر الحداد: **{ البسيط }**

وَاللَّيْــلُ زِنْجيــةٌ وَلَّــتْ وَقَــدْ نَشَــرتْ   **مِـنْ شَـعْرِهَا وَافِـرَ الفَـرْعين تَسْـحَبهُ**[3]

جمع الشّاعر بين الليل والزّنجية، فتصوير الليل بالزّنجية يوحي بشدة سواد اللّيل وظلامه، فاللون الأسود يمثل الظّلام الكامل، وانعدام الرؤية والخوف من المجهول[4]، وهذه صورة سلبية تعكس القلق الكامن في نفس الشّاعر من طول الليل، وصوّر إن لهذا الليل شعراً طويلاً ممتداً، وتدل هذه الصورة البصرية على طول اللّيل.

ب ـ الصّور السّمعية.

هي الصّورة التي لها علاقة بالسّمع والأصوات، ويصيغها الشّاعر في خياله بحسب ما يتوفر إليه من أدوات سواء ثقافته أم بيئته بعد أن هزّت مشاعره[5].

وقد وردت هذه الصّورة في شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، من ذلك قول أسامة بن منقذ: **{ الكامل }**

فَأنَـا كالحَمَـامِ تَبـوحُ حِينَ تَنَـوحُ بِالشــ   شــكْوَى، ولَــمْ تَفْغَــر لَهَــا فَــمَ نَــاطِقِ[6]

فالشّاعر يتكلم، والحمام يهدل، وهذه الصّورة تبعث في المخيلة صورة حسية سمعية، تجعل المتلقي يدرك أن الشّاعر يبكي بصوت أجش، كما أن الحمام يعبر عن حزنه من خلال هديله.

ومنه أيضا قول ابن مطروح: **{ الوافر }**

وَكَــمْ أهْــدَى حَمَــامُ الجَــزْعِ وَهْنَــاً   إليْــــهِ حِمَامـــــه لمّــــا تَغنَّــــى[7]

---

(1) **الديوان**، 75.
(2) ينظر: عبد الوهاب، شكري، **الإضاءة المسرحية**، 85.
(3) **الديوان**، 66.
(4) ينظر: علي، إبراهيم محمد، **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، 165.
(5) ينظر: الدخيل، محمد حامد، **الصورة الفنية في الشعر الأندلسي**، ، 63.
(6) **الديوان** ، 91.
(7) **الديوان** ، 195.

تعكس الصّورة المتقدمة حالة الشّاعر النّفسية، وتصور مأساته من خلال لفظة (تغنّى) الّتي ترد إلى حاسة السّمع، ليعبر الشّاعر عن انفعالاته وأحزانه.

ويقول ظافر الحداد: **{ الوافر }**

فَأَصْــبَحَ دِمْنَــةً تَغْــدوُ السَّــوافي عَلَيْـــه وَقَصْـــرُه قَفْـــرٌ يَبَـــابُ
تَنُـــوحُ الهَاتِفَـــاتُ عَلَـــى ذُرَاه وَتُعْشِـــبُ فِـــي أَسَـــافِلِه الرِّحَـــابُ[1]

صور الشّاعر المنازل الّتي غدت دمناً وآثاراً من خلال النّواح وهو صوت حزين، ويكشف عن مرارة الشّاعر وألمه بما حل بالدِّيار بعد هجرها.

ويشكل الأرجاني صورة معتمده على الأصوات، ما لها من دلالات نفسية، فصوت الحمام على الشّجر علمه الشّجو، وذكره بالمحبوبة الغائبة، حيث غدا إنسانا حزيناً متألماً، فيقول: **{ السّريع }**

صَــوْتُ حَمَــامِ الأيْــكِ عِنْــدَ الصّــباحِ جَـــدَّدَ تِـــذْكَارِيَ عَهْـــدِ الصِّـــبَاحْ
عَلَّمْنَنــا الشَّــجْوَ، فَيَــا مَــنْ رَأى عُجْمـــاً يُعلمـــنَ رجَـــالاً فِصَـــاحْ
أَلحَـــانُ ذَاتِ الطَّــوْقِ فِـــي غُصْــنِها تُـــذْكِرُني أزْمَـــانَ ذَات الوِشَـــاحْ[2]

جـ ـ الصّورة الشّمية.

هي الصّورة الّتي تعتمد على حاسة الشّم، مثل وصف رائحة الأزهار[3].

ومن الأمثلة على الصّورة الشّمية.

قول العماد الأصبهاني: **{ البسيط }**

أهْــدَى النَّســيمُ لَنَــا رَيّــا الرَّيَــاحِين أمْ طِيــبَ أخْلَــاق جِيرانـــي "بِجَيْــرونِ"
هَبّــتْ لَنَــا نَفْحــةٌ فِــي جِلّــقٍ سَــحَراً بَاحَــتْ بِســرٍّ مِــنْ الفِــرْدَوسِ مَكْنُــونِ

---

(1) **الديوان** ، 28.
(2) الأرجاني، **الديوان** ، 180/1.
(3) ينظر: الشناوي، على الغريب، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي**، 135 .

وَفَــاح بــالعَرْفِ مِــنْ أرْجَائِهــا أَرَجٌ   نَــالَ المســرَّةَ مِنْــه كُــلُّ مَحــزون(1)

رسم الشّاعر صورة زاهية وجميلة إلى دمشق، اعتمد في جزء منها على حاسة الشّم، فنسيم جيرون العطر يذكره بأخلاق أهل جيرون الطّيبة، إضافة إلى الرّوائح الطّيبة الّتي قامت في أرجاء دمشق كلها، فمنحت شعوراً بالسّعادة والهناء، لكل مهموم وحزين، وقد كشفت الصّورة عن حب الشّاعر وعشقه لجيرون.

ويقول ظافر الحداد :**{ الطّويل }**

وفِـي البِركـةِ الغَنّـاءِ للطَّـرْفِ مَسْـرَحٌ   نَهَـى مَـا انْطَـوَى مِـنْ جَفْنِـهِ عَـنْ مآبِـهِ
يُبلِّغُنَـا عَـنْ زَهْرِهَـا وَافِـدُ الصَّـبا   سَـلاماً تَـوَلَّى المِسـكُ رَدَّ جَوابِـهِ(2)

وهي صورة جميلة جامعة للرّوائح الطّيبة الزّكية، إذ صور ما شمه من مسك يفوح من أزهار البركة الّتي يحن ويشتاق إليها ،كأنها إنسان يبلغ السّلام ،ويرد التّحية.وفي صورة جميلة رسمها ظافر الحداد أيضاً يقول: **{ الوافر }**

وَقَـدْ بَـثَّ النَّسـيمُ بَخـورَ عِطْـرٍ   يُصَـعِّدُ طِيبـه مِـنْ غَيْـرِ نَـارِ(3)

يلاحظ أن الشّاعر اختار من الألفاظ ما يرتد إلى حاسة الشّم (البخور، العطر، طيبة)، ليعبر عن جمال بلاده وحسن طبيعتها المليئة بالرّوائح الزّكية العطرة.

دـ الصورة الذوقية

وهي الصّورة التي تعود إلى حاسة الذّوق، وقد جاءت قليلة في شعر الحنين، يقول أسامة بن منقذ: **{ مجزوء الكامل }**

إنْ رَاعَ قَلبَــكَ هَجْــرُه   فَغَــداً يَلِــينُ لَــهُ أشَــدُّهْ
وَالصَّــبرُ سُــمٌّ نَــاقِعٌ   لكــنَّ مِنْــه يُشَــارُ شْــهدُهْ(4)

فقد رسم الشّاعر صورة معبرة لصبره على فراق الحبيب، الّذي تحول من مجرد إلى محسوس، بإضفاء لفظة (السّم) المر القاتل، ولفظة (الشّهد)، حيث ستتحول مرارة الفراق إلى طعم حلو بعودة الحبيب.

الخاتمة

(1) **الديوان**، 431.
(2) **الديوان**، 48.
(3) ظافر الحداد، **الديوان**، 144.
(4) أسامة بن منقذ، **الديوان**، 13

قامت الباحثة في هذا العمل بدراسة شعر الحنين في العصر الزّنكي والأيوبي، فـي الفترة الزّمنية الواقعة ما بين (518هـ - 648هـ) دراسة منهجية وافية، فقد تبين لها ما لهذا الشّعر من أهمية، كونه يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة وتجربة شعورية عميقة، بينت مدى انتماء الشّاعر لوطنه الأم وتعلقه به، وبما يحويه من مفتقدات عزيزة على قلبه، حيث عبر الشّاعر الزّنكي والأيوبي، عن حنينه إلى الوطن الذّي هو رمز الثبات والاستقرار، وإلى المحبوب الغائب، والأهل والأقرباء والأصدقاء، والذّكريات الماضية، كما حن إلى الأماكن المقدسة ، وعبر عن حبه المطلق إلى الذّات الإلهية.

ويمكن القول إن الباحثة توصلت من خلال هذه الدّراسة إلى بعض النتائج منها:

1- إن الحنين إلى الأطلال والمنازل، كان تقليداً فنياً سار عليه الشّعراء في هذا العصر ليبرزوا قدراتهم الشّعرية المليئة بالأحاسيس والتّعابير الفنية القوية، حيث تمكن الشّاعر الزّنكي والأيوبي من الدّخول في عالم الطّلل رغم البعد الزّمني عن تلك الفترة الّتي كانت فيها الدّيار ومنازل الأحبة حياة حقيقية، عاشها فافتقدها وحنَّ إليها، ولكن لم يكن موضوع الوقوف على الأطلال موضـوعاً تقليديـاً عند أسامة ابن منقذ، وإنما نتيجة تجربة ذاتية عاشها الشّاعر.

وفي مجال حنين المكرهين، تمكن الشّاعر الزّنكي والأيوبي أن يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي، حيث صور ما يكتنفه من إحساس بالظّلم والقهر، والشّعور بالغربة، فقد ابتعد عن وطنه قسراً، رغم تعلقه به فهو غير راغب بالبعد والرّحيل، لكن الظروف الاضطرارية هي الّتي أجبرته على ذلك، وهذا ما ضاعف إحساسه بقسوة الزّمان.

والأمر ذاته في حنين المسجونين، إذ استطاع الشّاعر أن يجلب تعاطف القارئ ويشعر بوقع المصيبة وعظمها، حيث ركز على الحديث عن تجربة السّجن القاسية، وما تركت من آثار سلبية في نفسه، فقد وصف السجن كونه شيئاً بغيضاً يصادر حرية السّجين حيث لا يلقى فيه سوى المعاملة الفظة من السّجان، التي تعزز النّفس القلقة في الشّاعر فتدفعه إلى استعطاف الحكام، وجذب عواطفهم ليخفف من خوفه وفزعه من الحبس.

ومن شعر المكرهين أيضاً، وجود بعض المقطعات الشّعرية الّتي قالها الشّعراء النازحون الذين اضطروا إلى ترك أوطانهم لأسباب مختلفة، مثل هجاء الحكام، أو مؤامرة تحاك ضدهم ،أو نتيجة لمشاكل داخلية تعاني منها بلادهم.

2- إن النّصوص الّتي تم جمعها في الشّعر الزّنكي والأيوبي، أعطت صورة واضحة عن مظاهر شعر الحنين، حيث قُسّمت إلى خمس مظاهر ، هـــي:

الحنين إلى الوطن، والحنين إلى المحبوب، والحنين إلى الأهل والأصدقاء، والحنين إلى الذّكريات الماضية، والحنين الديني.

واستنتجت الباحثة في هذا الجانب ما يأتي:-

أ- احتل شعر الحنين إلى الوطن جانباً كبيراً من نتاج الشّاعر الزّنكي والأيوبي، عبر من خلاله عن الحنين الممزوج بالألم والحسرة على فراق الوطن، كما دلت الأشعار على مدى ارتباط الشّاعر الزّنكي والأيوبي بوطنه، وتعلقه به، حيث حن إلى مسقط رأسه، ومنشأ طفولته، وذكريات صباه، وحن أيضاً إلى مدن أخرى أقام فيها فترة من الزّمن فأسهمت في تكوين شخصيته وثقافته وافتتن أيضاً بطبيعة بلاده الخلابة فوصف أنهارها وحدائقها الغناء، وتمنى العودة إليها ليطمئن قلبه ويهدأ باله، وجاء حنينه إلى وطنه صادقاً معبراً في ألفاظه ومعانيه.

ب- شكل مظهر الحنين إلى المحبوب جانباً مهماً في شعر الحنين في هذا العصر، حيث عبر الشّاعر عن حنينه وشوقه تجاه المحبوب، وقد برز هذا الموضوع من خلال المقدمات الغزلية ،التي بدأ بها الشّاعر قصيدة المدح، كما ظهر أيضاً من خلال غرض الغزل.

جـ - كشفت النّصوص الشّعرية التي قيلت في الحنين أن الشّاعر الزنكي والأيوبي حن إلى أهله وأقربائه وأصدقائه، فقد اشتاق إلى ابنه وأخيه وأهله، كما برز في هذا الموضوع شعر الحنين إلى الأصدقاء الغائبين، حيث أرسل الشّاعر بأشواقه إليهم نادماً على فراقهم.

د- شكلت الذّكريات الماضية جزءاً لا يتجزأ من موضوعات الحنين فقد حنَّ الشّاعر إلى أيامه الماضية بما فيها من سرور العيش ولذته التي افتقدها، حيث عبر عن حنينه إلى زمن الشّباب والحيوية والنّشاط، وكان حنينه إلى الماضي إعادة للذّكريات الجميلة ،وذلك ليقهر حاضر الإنهزام والعجز.

هـ- كشفت أشعار الحنين أيضاً عن مظهر آخر من مظاهر الحنين، وهو الحنين الدّيني، الذي ظهر نتيجة لتقرب الشّاعر الزّنكي والأيوبي من الله سبحانه وتعالى والتّضرع إليه، حيث حنَّ إلى الأماكن المقدسة ، مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وقبر الرّسول صلى الله عليه وسلم وغيرها، وجاء حنينه الدّيني مصحوباً بالتّعظيم والتّقديس والتّعبير عن حنينه الدّائم إلى الذّات الإلهية من خلال قصائد احتوت أشرف الألفاظ والمعاني، في محبة الله تعالى والتّقرب إليه،

3- إن الجانب الفني في شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي كشف عن قضايا مختلفة، أبرزها:

أ- جاء شعر الحنين في نوعين من النّظم هما:
المقطعات الشّعرية التي اتسمت بوحدة الفكرة وقوة العاطفة، فلم يظهر من خلالها البناء الفني العام للقصيدة الطويلة، فالقصائد الطّوال التي قام بناؤها الفني العام على ثلاثة معايير، هي: المطلع، والتّخلص ، والخاتمة.

ب-تناولت الدّراسة في هذا الجانب الخصائص الأسلوبية لشعر الحنين، فوقفت على ألفاظ الحنين التي وظفها الشّاعر في تجربته الفنية، حيث قسمت إلى قسمين: ألفاظ الحنين المباشرة، من مثل:(أحنُّ، حنين، الشّوق، المشتاق وغيرها) والألفاظ الدّالة على الحنين منها (الصّبابة، الوجد، والتّلهف، والفراق وغيرها). واستخدم الشّاعر الزّنكي والأيوبي، أسلوب الاقتباس والتّضمين، وقد تأثر الشّاعر بالكثير بالآيات القرآنية التي تتناسب وحالته النّفسية، وتواصل مع الحديث النبوي وإن لم يكن هذا التّواصل بارزاً، واقتبس من الشّعراء السّابقين، حيث تأثر بألفاظهم وأساليبهم، وضمن أقوال بعضهم في أشعاره، ليضاعف فكرته ويبرزها أكثر.

واستخدم الشّاعر الزّنكي والأيوبي ، في حنينه الأساليب الإنشائية المختلفة، مثل: أسلوب النّداء، ووظف أسلوب الاستفهام ليعبر عن حاضره المريرواصطدامه بالواقع، ولجأ إلى أسلوب التمني؛ ليبرز حنينه إلى تلك المفتقدات التي يتمنى عودتها.

اهتم الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالمحسنات البديعية اهتماماً واضحاً؛ ليظهر مهارته في التّصرف بالكلمة صورة وصوتاً، حيث وظف الطّباق والمقابلة ليظهر المفارقة بين صورة الماضي وصورة الحاضر، وكان الطّباق من أكثر المحسنات البديعية حضوراً.

وجمّل الشّاعر الزّنكي والأيوبي ، قصيدة الحنين باستخدام الجناس بنوعيه: التّام والنّاقص، مظهراً ما يضفيه الجناس من موسيقا إيقاعية تترك أثراً في نفس المتلقي، واستخدم التّقسيم حيث قسم البيت الشّعري إلى أجزاء متساوية، تحدث تناسقاً موسيقياً واضحاً، ووظف رد العجز إلى الصدر ليأكد على حنينه وشوقه إلى تلك المفتقدات، وليبرز صدق تجربته الشّعرية.

جـ- انتقلت الدّراسة إلى جانب آخر من الخصائص الفنية، وهو جانب موسيقا شعر الحنين، وقد جاءت في قسمين، هما: القسم الخارجي المتمثل في الوزن والقافية، حيث كشفت الدّراسة أن الشّاعر الزنكي والأيوبي نظم على أغلب البحور الشّعرية، من

أبرزها: بحر الطّويل، والكامل، والبسيط، والخفيف، والوافر، وكان الأكثر استخداماً من بينها بحر الطّويل.

أما القافية، فقد استخدم الشّاعر القافية ، بنوعيها: القافية المطلقة والمقيدة، وإن غلب استخدام المطلقة على المقيدة، ونوّع في حروف الروي، حيث استخدم معظم حروف المعجم العربي، وكان حرف اللام الأكثر حضوراً في شعر الحنين، يليه حرف الرّاء، والنّون.

وأسهمت الموسيقا الدّاخلية في إثراء موسيقا شعر الحنين حيث تمكنت من أن تبرز جمال النّص الشّعري بما أحدثته بعض المحسنات البديعية الّتي وظفها الشّاعر في حنينه، من ذلك: التّصريع والتّكرار، وهي بعض العناصر الموسيقية الدّاخلية الّتي أضفت جرساً موسيقياً عذباً على أشعار الحنين.

د- تناولت الدّراسة الصّورة الشّعرية في شعر الحنين، حيث استخدم الشّاعر الزّنكي والأيوبي الصّورة الشّعرية، غير المباشرة، المتمثلة بالصّور البيانية، واستعمل الصّورة الشّعرية الحسية بأنواعها المختلفة: البصرية، والسّمعية، والشّمية، والذّوقية.

وأخيراً، توصي الباحثة بدراسة شعر الحنين في العصرين المملوكي الأول والثّاني دراسة شاملة.

وفي الختام آمل أن تكون الدّراسة قد أسهمت في إبراز شعر الحنين في العصرين الزّنكي والأيوبي، وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل الّذي بذلت فيه جهداً كبيراً، بما يرضي الله سبحانه وتعالى، والقارئ، فإن وفقت فمن الله، وإن قصرت فمن نفسي، والتّقصير سمة البشر.

الباحثة

المصـــــــادر والمراجـــــــــع

قائمة المصادر والمراجع

- الآلوسي، جمال الدين.
- **أسامة بن منقذ بطل الحروب الصّليبية**، مطبعة أسعد، (د.ط) بغداد، 1970م.

- الآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)
- **الموازنة ين أبي تمام والبحتري**، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار المعارف (د.ط)، القاهرة، 1924م.

- الأبشيهي، شاب الدّين محمد بن أحمد، (ت 850هـ)
- **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م، (1-2).

- الإبياري، إبراهيم.
- **الوطن في الأدب العربي**، دارالقلم، (د.ط)، القاهرة، 1962م.

- الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق، (ت 507هـ)
- **الدّيوان (العراقيات والنّجديات)**، تحقيق: عمر الأسعد، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1987م، (1-3).

- الأرجاني، ناصح الدين أحمد بن محمد، (ت 544هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: قدري مايو، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1998م، (1-2).

- أسامة بن منقذ، أبو المظفر بن مرشد الشيزري، (ت 584هـ).
- **البديع في نقد الشّعر**، تحقيق: عبد. آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.
- **الدّيوان**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجميد، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1953م.
- **المنازل والديار**، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الصباح، ط2، القاهرة، 1992م.

- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت80 ق. هـ)
- **الدّيوان**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).

- أمين، أحمد.
- **النّقد الأدبي**، مكتبة نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1972م، (1-2).

- أمين فوزي.
- **الحركة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السّادس الهجري**، دار الوفاء، (د.ط) الإسكندرية، 2003م.

- الأمين يحيى.
- **معجم الألفاظ المثناة**، دار العلم للملايين، (د.ط) بيروت، 1982م.

- أنيس إبراهيم.
- **موسيقى الشّعر**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، (د.م) 1965م.

- البحتري، أبوعبادة الوليد، (ت284هـ)
- **الدّيوان**، تحقيق: يوسف الشّيخ محمد، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 2000م، (1-2).

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت 256هـ).
- **صحيح البخاري**، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت)، (د.م)، (1-5)

- البطل، علي.
- **الصّورة في الشّعر العربي حتى أخر القرن الثاني الهجري**، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981م.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد باشا، (ت 1339 هـ).
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار العارفين**، مكتبة المثنى، (د.ط) بغداد، 1955م، (1-2).

- بكار يوسف حسين،
- **بناء القصيدة في النّقد العربي القديم في ضوء النّقد الحديث،** دار الأندلس، ط2، بيروت، 1982م.

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت 487هـ)
- **معجم ما استعجم،** تحقيق: مصطفى السّقا، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983م، (1-4).

- البوريني، بدر الدّين الحسن بن محمد، (ت1024هـ) والنّابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت 1062هـ)
- **شرح ديوان ابن الفارض،** جمع الفاضل رشيد بن غالب اللّبتالي، تحقيق: محمد عبد الكريم النّمري،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، (1-2).

- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت 320هـ).
- **المحاسن والمساوئ،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1991م.(1-2).

- ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي (ت 874هـ).
- **النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة،** تحقيق: جمال محرز وفهيم شلتوت، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1971م، (1-16).

-أبو تمام، حبيب بن أوس الطّائي، (ت 231هـ).

- **الدّيوان،** شرح وتعليق، شاهين عطية، مراجعة يونس الموصلي، شركة الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1968م.
-التّونجي، محمد.
- **المعجم المفصل في الأدب،** دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1999م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ).

- **الحنين إلى الأوطان**، تحقيق عبد الفتاح قبلان، مطبعة المنار، ط1، مصر، 1978م.

- الجبوري، يحيى.
- **الحنين والغربة في الشعّر العربي، (الحنين إلى الأوطان)**، دار مجدلاوي، ط1، عمان،2008م.

- ابن جبير، محمد بن أحمد بن سعيد عبد السّلام الكناني، (ت614هـ).
- **جمع ودراسة**، تحقيق: فوزي الخطبا، دار الينابيع، ط1، عمان ،1991م.

- جميل بثينة، أبو عمر جميل عبدالله القضاعي، (ت82هـ).
- **الدّيوان**، دار صادر، بيروت، 1961م.

- الجمحي، محمد بن سلّام (ت231هـ).
- **طبقات فحول الشّعراء**، دار المدني، بجدة، شرح: محمود محمد شاكر، (د.ط)، جدة، (د.ت)، (1-2).

- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ).
- **الصّحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1984م، (1-6).

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت 1067هـ).
- **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، وكالة المعارف الجليلة، (د.ط) إستانبول، 1941م، (1-2).

- حازم القرطاجنّي أبو بكر (ت 684هـ).
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1991م، (1-2).

-الحموي، ياقوت عبدالله (ت 626هـ).

- **معجم الأدباء،** تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1993م، (1-7).
- **معجم البلدان،** تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (د.ط)، بيروت، (د.ت) (1-5).

- حوّر، محمد إبراهيم.

- **الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي،** دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1973م.

- الحيص بيص، سعيد بن محمد بن سعد بن الصّيفي التّميمي البغدادي، (ت 574هـ).

- **الدّيوان،** تحقيق: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شاكر، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التّراث، (د.ط)، بغداد، (د.م)، 1974م، (1-3).

- أبو خزام، أنور فؤاد.

- **معجم المصطلحات الصّوفية،** مراجعة جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1993م.

- الخشروم، عبد الرازق.

- **الغربة في الشّعر الجاهلي،** دار الأنوار للطباعة، (د.ط) دمشق، 1982م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد (ت 808هـ).

- **مقدمة ابن خلدون،** دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1998م.

- ابن خلكان، شمس الدّين أحمد بن محمد (ت 681هـ).
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان،** تحقيق: إحسان عباس، مكتبة النّهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1950م، (1-8).

- ابن الخيّاط، أبو عبدالله بن علي التّغلبي الدّمشقي (ت 517هـ).
- **الدّيوان،** تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، ط3، بيروت،1994م.

- الدّخيل، محمد ماجد مجلي.
- **الصورة الفنية في الشّعر الأندلسي شعر الأعمى التطيلي أنموذجا،** دار الكندي، (د.ط)، عمان، 2006م.

- دقالي، محمد أحمد.
- **الحنين في الشّعر الأندلسي (القرن السابع الهجري).**
دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2008م.

- ابن رشيق القيراوني، أبو علي الحسني الأزدي القيراوني، (ت 456هـ).
- **العمدة في صناعة الشّعر ونقده،** تحقيق: محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل ط 4، بيروت، 1972م، (1-2).

- الرّقب، شفيق محمد عبد الرحمن.
- **الشّعر العربي في بلاد الشّام في القرن السّادس الهجري،** دار الصّفاء، جامعة مؤتة، 1993م.

- ابن الرّومي، علي بن العباس (ت283هـ).
- **الدّيوان،** تحقيق: حسين نصار، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، (د.ط) القاهرة، 1974م، (1-6).
- الزّبيدي محب الدين أبو الفضل السّيد محمد مرتضى الحسيني (ت1205هـ).
- **تاج العروس في شرح القاموس،** المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة، 1986م، (1-8).

- الزّركلي، خير الدين.
- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط14، بيروت، 1999م، (1-8).

- الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر الزّمخشري، (ت 538هـ).
- **الديوان**، تحقيق: عبد الستار ضيف، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2004م.

- زغلول، محمد سلام.
- **تاريخ النّقد العربي في القرن الخامس إلى القرن السّابع**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

- زهير بن سلمى، ربيعة بن رياح المزني (ت 13 ق. هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988م.

- الزّوزني، عبد الله الحسن بن أحمد، (486هـ).
- **شرح المعلقات السّبع**، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا ، بيروت، 1998م.

- ابن السّاعاتي، بهاء الدّين أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز الخرساني (ت 604هـ).
- **الدّيوان**، الجامعة الأمريكية، (د.ط)، بيروت، 1938م، (1-2).

- سبط بن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن الكاتب، (ت553هـ).
- **الدّيوان**، دار صادر، اعتناء: د.س مرجليوث، مطبعة المقتطف، (د.ط)، (د.م)، 1903م.

- السّحراني، أسعد.
- **التّصوف منشؤه ومصطلحاته**، دار النفائس، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- السّراج، عبد الله بن علي الطوسي (ت 378هـ).

- **اللمع في التّصوف**، تصحيح: نيكلسون رينولد إلن، (د.ط)، ليدن هولندا، 1914م.

- سليمان، أماني.
- **الأسلوبية والصّوفية**، دار مجدلاوي، (د.ط)، عمان، 2000م.

- الشّايب،أحمد.
- **الأسلوب**، مكتبة النّهضة المصرية، ط12، القاهرة، 2003م.
- **أصول النّقد الأدبي**، مكتبة النّهضة المصرية، ط8، القاهرة، 1973م.

- ابن الشّعار الموصلي، كمال الدين أبو البركات المبارك، (ت 654هـ).
- **قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزّمان المشهور بـ (عقود الجمان في شعراء هذا الزّمان)**، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م، (1-10).

- الشّناوي، علي الغريب.
- **الصّورة الشّعرية عند الأعمى التّطيلي**، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2003م.

- الصّفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك، (ت764هـ)
- **الوافي بالوفيات**، الجزء (1-4)، باعتناء:هلموت ريتر، فرانزشتاينر، ط2، فيسبادن، 1962م.
- الجزء (5) س. ديدرينغ، فرانزشتاينر،بفيسبادن، مطابع دار صادر، بيروت،1401هـ-1981م.
- الجزء (9) باعتناء: يوسف فان إس، فرانزشتاينر، (د.ط) شتوتغارت، 1991م.
- الجزء (10) تحقيق: جاكلين سوبله وعلي عمارة، فرانزشتاينر،ط2 شتوتغارت، 1992م.
- الجزء (18)،باعتناء محمد الحجيري، فرانزشتاينر، شتوتغارت، 1991م.
- الجزء (19)، باعتناء: روان السّيد، فرانزشتاينر، ط1، شتوتغارت،

1992م.

- الجزء(22)، باعتناء رمزي البعلبكي،فرانزشتاينر، ط2،شتوتغارت، 1992م.
- الجزء (27)، تحقيق:أو تفريد فايتنرت، الشّركة المتحدة للتوزيع،ط1، بيروت،1997م، (1-30).

- ضيف، شوقي.
- **دراسات في الشّعر العربي المعاصر**، دار المعارف، ط9، القاهرة، (د.ت).

- ابن طباطبا، محمد بن أحمد (ت 322هـ).
- **عيار الشّعر**، تحقيق عبد العزيز المانع، دار العلوم، (د.ط)، الرياض، 1985.

- طبانة بدوي.
- **البيان العربي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1962م.

- الطّغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي، (ت515هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: علي جواد الطّاهر ويحيى الجبوري، سلسة كتب التّراث، العراق، (د.ط)، 1976م.

- ظافر الحداد، ابن منصور بن عبد الله من بني جذام، (529هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)

- عباس، إحسان.
- **فن الشّعر**، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- عبد الله، محمد حسن.
- **الصّورة والبناء الشّعري**، دار المعارف، (د.ط)،القاهرة، (د.ت).

- عبد المطلب،محمد.
- **البلاغة الأسلوبية**، الشّركة المصرية العامة للنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ط).

- عبد الوهاب، شكري.
- **الإضاءة المسرحية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، (د.م)، القاهرة، 1985م.

- عتيق، عبد العزيز.
- **علم العروض والقافية**، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، 1987م.

- العجاج، عبدالله بن رؤبة، (ت90هـ).
- **الدّيوان**، برواية الأصمعي، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق، (د.ط)، بيروت، 1971م.

- ابن عذيبة، شهاب الدّين أحمد بن محمد بن عمر الشّافعي المقدسي، (ت856هـ)
- **إنسان العيون في مشاهير سادس القرون**، تحقيق: إحسان ذنون الثّامري، ومحمد عبد الله القدحات، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007م.

- العروضيّ، أبو الحسن أحمد بن محمد، (ت 342هـ)

الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهد، وهلال ناجي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1996م.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الشّافعي، (ت571هـ).
- **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998م، (1-70).

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت 395هـ).
- **كتاب الصّناعتين،** الكتابة والشّعر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989م.

- عرقلة الكلبي، حسان بن نمير بن عجل، (ت 567هـ).
- **الدّيوان،** تحقيق: أحمد الجندي، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1992م.

- علي، إبراهيم محمد.
- **اللون في الشّعر العربي قبل الإسلام،** (قراءة ميثولوجية) جروس برس، ط1، طرابلس، 2001م.

- العماد الأصبهاني، عماد الدّين الكاتب، أبو عبدالله محمد، (597هـ).
- **خريدة القصر وجريدة العصر،** قسم شعراء الشّام، تحقيق: شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، (د.ط)، دمشق، 1959م، (1-17).
- **الدّيوان،** تحقيق: ناظم رشيد، جامعة الموصل، (د.ط)، الموصل، 1983م.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت 1089هـ).
- **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب،** دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1-8).

- عمارة اليمني، نجم الدّين عمار بن الحسن علي بن محمد بن زيدان القحطاني اليمني، (ت569هـ).
- **الدّيوان،** تحقيق: عبد الرحمن يحيى الإرياني، وأحمد عبد الرحمن المعلمي، مطبعة عكرمة، ط1، دمشق، 2000م، (1-2).
- عمر بن أبي ربيعة، عبدالله بن أبي ربيعة، أبو الخطاب، (ت93هـ).
- **الدّيوان،** قدم له: عبد ،أ، علي مهنا، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت)

- عنترة العبسي، عنترة بن شداد بن عمرو (ت 22ق هـ).
- **الدّيوان**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1958م.

- ابن عنين، شرف الدين، أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري الدّمشقي، (ت630هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، ط2، بيروت، 1959م.

- عياشي، منذر.
- **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، مركز الإنماء الحضاري، ط1، القاهرة، 2002م.

- ابن الفارض، أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي، (ت 632هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق،كرم البستاني، دار بيروت،(د.ط)، بيروت، 1979م.

- فتيان الشّاغوري، الشهاب البستاني، فتيان بن علي الأسدي،(ت615هـ)
- **الدّيوان**، تحقيق: أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، (د.ط)، دمشق، 1976م.

- أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد، بن حمدان،(ت357هـ).
- **الدّيوان**، شرح: عباس عبد السّائر، دار الكتب العلمية،(ط5)،بيروت 2003م.

- الفيروز آبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ).
- **القاموس المحيط**، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1999م.

- القاضي الفاضل، عبد الرّحيم بن علي البيساني، (ت596هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وإبراهيم الإبياري، دار المعرفة، ط1، القاهرة، 1961م، (1-2).

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 226هـ).

- **الشّعر والشّعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث،(د.ط) القاهرة، 2003م، (1-2).

- قدامة بن جعفر، أبو الفرج (ت 327هـ).
- **نقد الشّعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- ابن قسيم الحموي، شرف الدّين أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم التّنوخي الحموي، (ت 542هـ).
- **جمع ودراسة**، تحقيق: سعود محمد عبد الجابر، دار البشير، ط1، عمان، 1995م.

- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، (ت 465هـ).
- **الرّسالة القشيرية**، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، (منشورات محمد علي بيضون) ط1، بيروت، 1998م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ).
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنّشر، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، (د.ط)، القاهرة، (د.ت) (1-14).

- ابن القيسراني، أبو عبد الله، محمد بن نصر بن صغير، (ت 548هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: عادل جابر صالح محمد، الوكالة العربية للنّشر والتّوزيع، ط1، الزرقاء، 1991م.

- القيسي، نوري حمودي.
- **الطّبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد (د.ط)، بيروت، 1970م.

- الكتبي، محمد شاكر، (ت 764هـ).

• **فوات الوفيات والذّيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1974م، (1-5).

- كثير عزة، عبد الرحمن بن الأسود، (ت 105هـ).
• **الدّيوان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط) بيروت، 1971م.

- الكندي، البغدادي، أبو اليمن تاج الدّين زيد بن الحسن البغدادي، (ت613هـ).
• **الدّيوان**، تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، (د.ط)، بغداد، 1977م.

- كوين، جون.
• **بناء لغة الشّعر**، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف، ط3، مصر، 1993م.

- مبارك، زكي.
• **مدامع العشاق**، المكتبة العصرية، ط3، بيروت،1971م.

- مبروك، مراد عبد الرحمن.
• **من الصّوت إلى الصّورة، نحو منهجي لدراسة النّص الشّعري**، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2002م.

- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، (ت 354هـ).
• **شرح ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى، (التبيان في شرح الدّيوان)**، ضبط نصه وصححه: كمال طالب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م، (1-4).

- المجذوب، عبد الله.
• **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، مطبعة البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1955م، (1-2).

- المحبي، محمد أمين بن فضل الله، (ت1111هـ).
- **جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1981م.

- ابن المرزبان، محمد بن إسماعيل الكرخي البغدادي، (ت 330هـ).
- **الشّوق والفراق**، تحقيق: الدّكتور خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م.

- المرزوقي، أحمد بن محمد، (ت 421هـ).
- **شرح ديوان الحماسة**، نشره: أحمد أمين وعبد السّلام هارون، مطبعة لجنة التّأليف والنّشر، ط2، القاهرة، 1967م، (1-4).

- ابن مطروح، جمال الدّين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم، (ت 649هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط)، القاهرة، 2004م.

- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 845هـ).
- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة، 1956م، (1-11).

- المقري، أحمد بن المقري التّلمساني، (ت 1041هـ).
- **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1997م، (1-8).

-الملك الأمجد، بهرام شاه بن فروخ شاه بن أيوب، (ت 628هـ).

- **الدّيوان**، تحقيق:ناظم رشيد،(د.ط)، وزارة الأوقاف والشّؤون الدينية، بغداد، 1983م.

- مندور، محمد.
- **الأدب وفنونه**، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ).
- **لسان العرب**، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م، (1-15).

- ابن منير الطّرابلسي، أبو الحسين أحمد بن منير بن مفلح الطّرابلسي الرفاء، (ت 548هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2005م.

- المهذب بن الزّبير، أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير المصري، (ت 561هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: محمد عبد الحميد سالم، هجر للطباعة والنشر، ط1، الجيزة، 1988م.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518هـ).
- **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1-2).

- النّابلسي، عبد الغني، (ت 1143هـ).
- **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1984م.

- ابن النّبيه المصري، كمال الدين علي بن محمد يوسف، (ت 619هـ).
- **الدّيوان**، تحقيق: عمر بن محمد الأسعد، دار الفكر، ط1، (د.م)، 1969م.

- نصر، عاطف جودة.
- **شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشّعر الصّوفي**، دار الأندلس، ط1، بيروت، 1982م.

- ابن الهبّاريّة، محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن العباسي، (ت 509هـ).
- **الدّيوان،** تحقيق: محمد فائز سنكري طرابيشي، تقديم: الدّكتور محمد حموية، منشورات وزارة الثقافة (إحياء التراث العربي)، (د.ط)، دمشق، 1997م.

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الأنصاري، (ت 213هـ).
- **السّيرة النّبوية،** تحقيق: مصطفى السّقا وصاحبيه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة، 1955م، (1-4).

- هياجنة، محمد سليم.
- **الاغتراب في القصيدة الجاهلية،** دار الكتاب الثقافي، (د.ط)، إربد، 2005م.

- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني، (ت 768هـ).
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان،** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط4، بيروت، 1970م، (1-4).

الدّوريات

- بدوي، عبده.
- **الغربة المكانية في الشّعر العربي**، (13-40)، مجلة عالم الفكر، الكويت، م15، ع1، 1984م.

- الحمداني، هادي.
- **شعر السّجون و الأسر في الأدب العربي**، (550-577)،مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع13، 1970م.

- ابن المرزبان، محمد بن سهل، (ت 330هـ).
- **كتاب الحنين إلى الأوطان**، (129- 174)، تحقيق: جليل العطية، مجلة المورد، بغداد، م 16، ع1، 1987م.

الرّسائل الجامعية

- إبراهيم، صاحب خليل.
- **الغربة والحنين في الشّعر العربي قبل الإسلام**، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.

- حبيب، وهران محمود.
- **الحنين في شعر صدر الإسلام**، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.

- الرّجبي، عبد المنعم حافظ.
- **الحنين إلى الدّيار في الشّعر العربي إلى نهاية العصر الأموي**، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

- سليمان، رولا ناصر.
- **شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت).

- عمرو، علي عبد الله،
- **تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره**،رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م .

.

Abstract

Nostalgia has accompanied literature, especially poetry throughout centuries.

Nostalgia is homesickness and longing for people whom we heartfully love and who are absent far away from us.

Later on two types of nostalgia have existed: longing for sacred locations and Sufis' nostalgia.

This thesis is but a link in a chain of nostalgia studies, and it is not the first one in this fieldMany have preceded me. Of them, for instance, are the following:

1. Abul-Mun'im Al Rajabi in his doctorate of letters titled "Nostalgia for homelands in Arabic Poetry up to the end of the Umayyad Age".
2. Muh'd Ibrahim Hawwar in his book "Arabic Literature up to the End of the "Umayyad Age".
3. Muh'd Ahmad Daqqali in his book "Nostalgia in the Andalusian Poetry in the Seventh Century A.H".

In my study I have used the descriptive analytic and introductive approach, pointing out technical and aesthetic aspects of the poems. I also have shed light on the poets personalities.

My thesis consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The introduction defines nostalgia phenomenon linguistically and terminologically. The first chapter discusses what nostalgic poetry contains of lamenting homelands ruins and longing for the compelled people (people who were forced to depart their homes in spite of their free will).

The second chapter focuses on nostalgic poetry in the Zinki and Ayyubi Ages. It includes longing for homelands, beloved people, past memories, religious longing and longing for sacred locations.

The third chapter adresses the technical aspects of nostalgic poetry in these two ages: building the poem (its style and rhythm). It also clearly shows the poetical portraits.

The conclusion sums up the main points I have remarked in the Zinky and Ayyubi nostalgic poetry. Here are they:

1. Poets of this period used traditional approach in their long poems, especially the pre-Islamic age. In other words they built their poems on the traditional pillar. They did so to prove their ability of imitating previous poets, especially pre-Islamic ones.
2. The texts I have collected are a clear portrait of nostalgic poetry in these two ages.
3. Nostalgic poetry of the Zinki and Ayyubi ages reveals the technical aspects of this poetry, such as short poems and long ones, styles and rhythm; and the literary portraits, especially figures of speech.